



تصدرها  
وزارة الشؤون الثقافية  
الرباط - المغرب

أسسها : الحاج محمد أبا حنيني سنة 1974  
تولى إدارتها : محمد الصباغ

### مستشارو التحرير

د. محمد بنشريفة، عبد الله شقرون، محمد الفاسي الفهري، امحمد احميدة

المستشار التقني  
إدريس برادة

المستشار الإداري والمالي  
بنيونس مشيشي

### هيئة التحرير

الأدب : ناصر الدين الاسد، عبد الكريم غلاب، عباس الجراري، ربيع مبارك،  
علي الصقلي، محمد الحلوي، ابراهيم الخطيب، نجاة المريني.  
اللغة : عبد القادر الفاسي الفهري، محمد شفيق، إدريس السغروشني.  
الدراسات الإسلامية : محمد الكتاني، محمد الحاج ناصر، محمد الراوندي.  
الدراسات القانونية : عبد الهادي بوطالب، محمد الادريسي، العلمي المشيشي،  
محمد ميكو.  
العلوم والتكنولوجيا : رشدي راشد، إدريس خليل، عمر الفاسي، مصطفى بنخلف.  
الفنون : عبد العزيز بنعبد الجليل، عبد اللطيف بنمنصور، أحمد الصياد،  
محمد بوعلام، حياة دينية.  
العلوم الإنسانية والفلسفة : محسن مهدي، أحمد الحسناوي.  
التاريخ والآثار : محمد المنوني، محمد القبلي، عبد العزيز توري، أحمد شوقي بنبيين.  
الثقافة الشعبية : أحمد بدري، أحمد سهوم، بوعزى أوحى.

### المدير : المهدي الدليرو

#### بمساعدة

محمد أيت وعلي، عبد المالك تمان، صالح الحمزاوي، خليل الصافي.

عدد : 45 السنة التاسعة عشرة - صفر 1415 - يوليوز 1994

المواد الموجهة إلى المجلة لاتعاد إلى كتابها و إن لم تنشر، و الآراء المعبر عنها تلزم كتابها فقط.

صورة الغلاف للفنان التشكيلي الليبي عوض عبيدة

## قضية المرأة

### III – في الأدب والفنون

- دراسات
- إبداع
- نصوص

## كلمة شكر

بصدور هذا العدد يتم ملف « المناهل » الخاص بـ « قضية المرأة »، ويستهدف إعطاء نماذج لإسهام المرأة في « عالم الآداب والفنون »، بعدما كشف العدد الثالث والأربعون عن ظهور هذه الإشكالية في عالم اليوم، وعرض العدد الرابع والأربعون لدور المرأة المغربية ومنزلتها في الفترات القديمة والحديثة.

وأسرة المجلة، تجدد مستحق الشكر وأوفاه، إلى جميع من استجاب من الأقلام الباحثة والمبدعة، لإثراء محتويات أعداد الملف المذكور.

## تأملات حول : المسرح ... والمرأة

عبد الله شقرون (\*)

### إثباتات :

يكاد يكون من المؤكد أن المسرح، أدبا وفنا، ما اكتمل كيانه، وأصبح متين الدعائم، شامخ الصرح، ثابت الأركان، وجيه المقام... وما غدت الجماهير تؤمن بمقولته صادق الأيمان، وتقدر رسالته جملة وتفصيلا، وتقبل على مشاهدة عروضه الاقبال الذي يلفه الوعي العميق، ويغلفه التنبيه الحصيف... إلا عندما أخذت المرأة، على قدم المساواة مع الرجل، تعتلي ركحه الاعتلاء المكين، وتؤدي أدواره الأداء الصائب، وتتقمص مشاعر شخصياته كأتم ما يكون عليه التقمص، وتتغلغل، بكل يقظة وإحساس، في نفسية هذه الشخصيات، وتعمل على تجليتها من خلال الحركة والحوار.

وليس مفهوم هذا أن المسرح العتيق، إذ لم يحظ في جملة منشطيه بوجود المرأة، كان في حكم العدم أو كان الاقبال عليه غير موفور... لا، أبدا، ولكن مسحة « الواقعية » ومسحة « المصدقية »،

---

(\*) كاتب مبدع وناقد مسرحي، الأمين العام سابقا لاتحاد إذاعات الدول العربية، مدير ديوان وزير الشؤون الثقافية.

كثيرا ما كانتا معا غير ملموستين في نطاقه. فمهما كانت براعة الرجل في أداء دور المرأة على خشبة المسرح، ومهما علت كفاءته في التقمص، يبقى المتفرج مؤمنا في قرارة نفسه بأن هذا «الممثل» ليس امرأة، وإنما هو مقلد لها، وما يأتيه من الحركات والأقوال والأفعال أمام الناس هو مجرد تزوير في تزوير عليها. وهذا الواقع هو الذي ساد الكثير من المجتمعات البشرية التي عرفت، مبكرا، المسرح خلال عصوره الأولى - عند الإغريق والرومان ومن كانوا قبلهم - وأثناء القرون الوسطى عند المسيحيين وسواهم. إن تلك المجتمعات قد عرفت ظاهرة «رجالية» طاقمها التشخيصي، استمرارا، شبان وكهول من الذكور.

ولنا أن نستبشر بالزمن الحاضر الذي كتب الله لنا أن نحياه وقد أصبحت الدنيا قسمة سوية بين الرجل والمرأة، وأضحى التمثيل مشاعا بين آدم وحواء، فعمت من خلاله نوعية من المصداقية، مظهرا ومخبرا : على المسرح كما في السينما، وعبر الاذاعة كما في التلفزيون. ولنا أن نتمعن، ولو تمعنا عابرا؛ فيما عرفتة غير ما بقعة من البقاع التي انتشر المسرح فيها قبل عصرنا هذا، لا سيما وقد حدث تقلد الرجال لأدوار النساء على المسرح حتى في أعظم عصور هذا الفن ازدهارا، بانجلترا مثلا، وعلى عهد عبقرى المسرح الذي لم يجد الدهر بتمثيل أو شبيه لما خلده، ونعني الشاعر الكبير وليم شكسبير (1564-1616).

ونحن العرب الذين لم نهتد فعليا إلى المسرح فنا وأدبا إلا انطلاقا من منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، أي منذ نحو قرن



ونصف قرن، قد سلكننا نفس ذلك المسلك قبل الآن. وما كان حظنا في المغرب بأفضل مما عرفتته بلدان مشرقية شقيقة، وما ينبئك في هذا الصدد مثل من خبر هذا الواقع، وعائشه، وقاسى بكل تواضع ومحبة جانباً من متاعبه في مطلع عودة السلام إلى المعمور على إثر الحرب العالمية الثانية... في أوائل الخمسينات من هذا القرن وحتى سنة أو سنتين قبلها...

### خلفيات :

لكي يكون كلامنا مرتكزا على أساس ملحوظ، ومادما قد أُلحنا إلى العصر « الشكسبيرى »، وهو أوجُ مذهب في هذا المجال، تجدر الإشارة إلى أن الممثلين - الذكور - الذين كانوا متخصصين في القيام بأدوار الفتيات والسيدات على المسرح قد تميزوا شعبيا بمقام معلوم، ولا ندري بالتدقيق ماذا كان الجمهور يرى فيهم، لكن، كيفما كان شأنهم إذ ذاك، فقد أشير إليهم بالبنان. كان هناك، على سبيل المثال، ممثل مقتدر - ومستهتر ماجن في نفس الوقت - يسمى « نيد فيلد » امتاز في وقته امتيازاً مرموقاً في أداء أدوار الفتيات على المسرح الانجليزي، وكان الناس يتقاطرون من كل حدب وصوب على مشاهدته، علما بأنهم كانوا محيطين كل الإحاطة بأنه ولد وليس أنثى، ولكنه من بين معاصريه الممثلين كان مجرد مقلد، لكن بإتقان، لأدوار الفتاة في أشهر المسرحيات. وقد عاش عمر الزهور، من 1587 إلى 1620 م.

إن السعي - سواء في عهد وليم شكسبير أو بعد وفاته - قد ظل جادا في المسرح الانجليزي لتوفير النساء الممثلات، وظل البحث

قائما عنهن. ولكن، ومع كل الجهود المبذولة، بقي العنصر النسوي في ذلك المسرح أعز من بيض الأنوق... حتى قيل إن التاريخ لا يستذكر من أسماء ممثلات النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي - بانجلترا - إلا اثنتين، إحداهما كان اسمها «ماري كنيب» متوفاة سنة 1677 م - أما الثانية فقد فتنت بجمالها أهل عصرها، من القاعدة حتى الذروة، واسمها «نيل كوين» وقد عاشت من 1650 إلى 1687 م<sup>(1)</sup>.

وتلك الظاهرة كانت بخلاف ما كان عليه شأن المسرح الفرنسي في نفس الفترة الزمنية على وجه التقريب، إن المسرح الفرنسي كان أسعد حظا وأوفر زادا، وازدهى بأعلى الكفاءات النسوية وأسمائها قدرا وشهرة... وإن كان عبقرى المسرح الفرنسي في كل الأجيال - موليير (1622-1673م) - قد دون عن بعضهن مستملحات ممتعة، مثلما قال عن أحدهن «إنها كانت تحتفظ بوجه مشرق ضاحك حتى في تمثيلها أشد المواقف حزنا وألما، ومع ذلك كان الجمهور يحبها حبا جما، وظلت تشخص أدوار الفتاة الأولى حتى وهي في سن متقدمة من عمرها»<sup>(2)</sup>. في تلك الفترة الزمنية بالذات - القرن السابع عشر الميلادي - تميز المسرح الكلاسيكي الفرنسي - وكان شعريا - بتألق ممثلات «تراجيديات» على أعلى الكفاءة الفنية والموهبة في أداء أدوار مسرح الشعراء راسين، ومسرح الشعراء كورناني، وغدون من الشهيرات في سجل المسرح، وأسماءهن معروفة حتى الآن. وقد تخلدت بخلودهن الأدوار النسوية «البطلة» أو الشخصيات النسوية «البطلة» التي أدينها

على الركح بمقدرة تثير نشوة الإعجاب، ومن بينها شخصيات «هرميون»، و«بيرينيس» و«روكسان»، و«أندروماك»، و«فيدر» في مسرح راسين، فضلا عن شخصيات مسرح الشاعر كورناني النسوية: «شيمين»، و«كامي»، و«إيميلي»، و«بولين»... فيما يرجع، في كلتا الحالتين، إلى الأدوار النسوية التراجيدية الكبرى، وفضلا، من جهة أخرى، عن مسرح موليير، ومنها: أدوار مسرحية «المتحذقات السخيفات»، ومسرحية «مدرسة النساء»، وشخصية «إيلمير» في مسرحية «طرتوف» وشخصية «ماريان» في مسرحية «البخيل»... وأدوار مسرحية «النساء العالمات»... وما إلى هذه الشخصيات التمثيلية التي من خلالها - وبصفة مبكرة وفي الحالات جميعها - رسخت قدم المرأة في الأداء المسرحي، وبالتالي في المجتمع.

وفي المراجع المتوافرة في هذا الميدان ومن خلال المذكرات النقدية نجد متعة وأية متعة عما قدمته المرأة، بقطع النظر عن جنسيتها، إلى المسرح الانساني في شتى الأمصار والعصور، كما هو الأمر مثلا، بالنسبة للمسرح الألماني الذي ظل حتى اليوم يفتخر باسم السيدة «كارولين» التي عاشت سنة 1697 إلى سنة 1760 م، وكانت في مجاله أول مديرة لفرقة مسرحية كبرى وأعظم ممثلة في وقتها... وليست المتفردة بالذكر في ألمانيا، بل لها شبيهات...

ومن المعلوم من جهة أخرى، أن العصر الذهبي للمسرح الايطالي هو الفترة المتخللة بين أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن



السابع عشر للميلاد... وهو عصر له حظوة مميزة في تاريخ المسرح الأوروبي - اللاتيني - إلى درجة اعتباره مدرسة ونهجاً لما آل إليه مسرح الكوميديا في فرنسا... وقد ازدهى بممثلات مقتدرات إتصفن في غالبيةهن بأنهن كن زوجات لأزواج هم أيضاً كانوا ممثلين إلى جانبهن...

والملاحظ في المسرح الانجليزي أن القرن الثامن عشر الميلادي قد زخر زخورا ملحوظا بنوابغ الممثلات. واعتبارا لطابع المحافظة الذي يميز بصفة تقليدية المجتمع الانجليزي فقد شاع القيل والقال حينئذ حول النساء المشتغلات في المسرح على قلة عددهن حينئذ وهكذا مال الشعب ميلا شديدا، بالمحبة والعطف والتقدير، نحو ممثلة ظهرت أواخر القرن السابع عشر الميلادي اسمها «آن براصجيردل»، ليس فحسب بالنظر إلى عبقريتها وتدفق موهبتها، ولكن أيضا تقديرا لسيرتها الخلقية الحسنة وسلوكها السليم، وكانت حديث المجالس بهذا الخصوص. ولذلك فإنها لما اعتزلت المسرح مبكرا - «التزمت» كما يقال الآن - تألم الجمهور لغيابها، وتأسف القاصي والداني لانسحابها من ساحة الفن التمثيلي (توفيت سنة 1748 م)، لكن سرعان ما خلفتها ممثلة متميزة أخرى اسمها «أنا أولد فيلد» تجلت موهبتها في الملهاة والمأساة على حد سواء... ولم يعرف نجاحها توقفا ولا حدا، وتميزت بفصاحة اللسان وجمال القوام، وبالحزم والسلطان... وفي الفصل الذي خصصه كتاب «الممثلون الكبار» حول الممثلين الانجليز في القرن الثامن عشر الميلادي، رجالا ونساء<sup>(3)</sup>، نعثر على بيانات قيمة عن الممثلات النوابغ اللواتي خلفن، بوفرة عددهن وسمو عبقريتهن، ما عرفته الأعوام الخوالي من الشح في هذا المجال...



وذلك ما أفرغ على المسرح الموروث عن الشاعر وليام شكسبير حلة جديدة ورونقا أصيلا، وحببه أكثر فأكثر إلى الشعب الانجليزي الذي أمكنه، بفضل تفوق المرأة في الميدان المسرحي، أن يكتشف أجمل الروائع المسرحية الانسانية وأغناها.

ويروق للفرنسيين كثيرا التحدث عن ماضي نوابغهم من سيدات المسرح - وهن، والحق يقال، مرموقات فعلا - ولا يملون أبدا من ذكر الممثلتين الخالدتين راشيل وساره بيرنارد (القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين للميلاد) لاسيما والنظام الاجتماعي والسياسي الذي تولد عن الثورة الفرنسية كان في واقعه نعمة على المسرح وعلى قيام «الكوميدي فرانسيز» (بإرادة الامبراطور نابليون الأول)، وعلى انتشار المسرح الشعبي الذي دعي «مسرح البولفار».

ولا نقول إن العشرات من الممثلات الفرنسيات المتميزات قد تألقن في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد، أو كان لهن جميعا صيت بعيد، ولكننا نقول، والواقع يؤيد، إن مالا يقل عن عشر ممثلات مقتدرات قد سطع نجمهن إذ ذاك - فضلا عن النكرات والثانويات اللواتي لا يخلو زمان ولا مكان من وجودهن إلى جانب أمثالهن من الذكور - وقد تميز العطاء النسوي في المسرح الفرنسي بالخصوص على عهد ملك المسرح دون منازع ولا خلاف : الممثل الكبير والفنان المبدع «طالما» الذي عاش في فترة 1763-1826، وكان ذا حظوة واعتبار ومحبة لدى الامبراطور نابليون الأول... لقد كان شاغل الناس، وغطى وجوده أو كاد على كل من سواه من الممثلين والممثلات.

كان الفنان «طالما» نصير المسرح الكلاسيكي الرفيع، ممثلاً ومخرجاً وذواقة... وبذهابه خمدت جذوة هذا المسرح، وانتظر الناس منقذاً لأمد محدود... وجاء ذلك المنقذ المنتظر، وظهر في شخص الممثلة الشابة «راشيل»، التي لم تعمر طويلاً (1820-1858م)... وسرعان ما غدت الممثلة المتخصصة في أداء روائع الشعاعين : راسين وكورناي. وقد كتب الشاعر الرومانسي المبدع ألفريد دي موسي وصفاً دقيقاً حل فيه «التقنية» الأصيلة التي اتبعتها هذه الفنانة بكل تلقائية، وبها أدركت، من حيث تدري أو لا تدري، نجاحها الباهر. (ومرارا وتكرارا عدت إلى ذلك الوصف الدقيق أقرأه وأعيد قراءته لأنه في عمقه «قاعدة» من أمتن القواعد في التعليم المسرحي والإلقاء التمثيلي بل في الالتقاء بوجه عام وكيفما كانت اللغة المستعملة). وبفضل عبقرية الممثلة راشيل هذه، أمكن إذ ذاك، عرض مسرحية «فيدر» أربعاً وسبعين مرة تباعاً دون توقف، وهو أمر كان غير مألوف ففرضه فنها ونبوغها.

وهكذا أمكن امرأة أن تعلي في مجتمعها من شأن المسرح، كما أمكن المسرح أن يعلي من مقام امرأة.

وقد لا نكون في حاجة ماسة إلى الإستشهاد بالمرأة الممثلة المسرحية الفنانة الأخرى التي هي أرفع منزلة وشهرة، وسارت بذكرها الركبان، وظلت أعواماً متتالية شاغلة الرأي العام داخل بلادها وخارجها وخضعت لفنها وعبقريتها «الرقاب»، واستقبلها الملوك والأمراء ورؤساء الدول استقبالات الفاتحين الأبطال : إنها ساره برنارد.

... ولقد حظيت المرأة باعتبار وجيه في المسرح، وظهرت كفاءات نسوية متفوقة فيما بينها، وذلك في وقت لم تكن للناس فرجة أو وسيلة للفرجة إلا المسرح... لم تكن هناك سينما أو تلفزة ولا حتى إذاعة، فكان الفن المسرحي الوسيلة المتفردة لامتاع الناس والتسلية عنهم، وتجلت المرأة في المسرح وتجلى المسرح بفضلها. ومن حسن حظ أهل البلدان الأوروبية في القرون المتأخرة - كما كان الاغريق والرومان وقبلهم فئات من أهل آسيا في القرون المتقدمة - أنهم استمتعوا بهذا الفن الأدبي أو هذا الأدب الفني... وكان للمرأة دور وأي دور لا يبرز أدواره... فلم تكن البلدان الأوروبية التي أومأنا إليها المتميزة وحدها... ولم تكن ساره برنارد هي النجمة التي أضاءت وحدها سماء المسرح الفرنسي في وقتها (1844-1923)، ولكنها من حيث شخصيتها أكسبت المرأة الممثلة صفة لم تكن لصيقة بها، صفة الفنانة المتمردة على شتى الأوضاع التي كانت سائدة مجتمعيا إذ ذاك... إلى درجة يمكن معها القول إن المسرح في القرن التاسع عشر وجزء ملحوظ ومحدود من القرن العشرين للميلاد كان، في بلدان من أوروبا، مسرح نساء، ولولا المرأة ما كان صدها يتجاوز محيطه... فلقد انشغل الرأي العام الباريسي، مثلا، بنجمات المسرح المتجليات، سواء بمسرح «الكوميدي فرانسيز» أو بقاعات «مسرح البولفار».

### المرأة في المسرح العربي :

من المعروف في المسرح، عند نشأته في أي من البلدان العربية، أن المرأة المسلمة قد أبطأت، نسبيا، في خوض غمار

ممارسته وتعاطيه، فكان الذكور، كما سبق القول، يقومون بأدوار الاناث. جرى هذا في بلدان المشرق (مصر، وسوريا، العراق، إلخ)، كما جرى في بلدان المغرب (تونس، الجزائر، والمغرب إلخ). ولما بدت الحركة المسرحية الناشئة هنا وهناك، وأخذت تجذب بعض العناصر النسوية إلى حلبتها، حدث أن الممثلات لم يكن جميعهن من المسلمات. لقد كانت المسيحيات وحتى بعض اليهوديات في طليعة من بادرن إلى اعتلاء خشبة مع الرجال. وقيل إن الشاميات (من سوريا ولاسيما من لبنان) أقبلن على المسرح إقبالا ملحوظا لما أتيحت لهن فرص الظهور على ركحه.

والذين يحيطون علما بوضع نساء بلدان المشرق والمغرب عبر العصور التاريخية يعلمون جيدا تلك القيود المتعددة التي كانت تقيدهن اجتماعيا وتقليديا. ولما ظهر المسرح في المشرق، قبل المغرب، كن في وضع لا يسمح بتوفير العناصر النسوية التي من شأنها ولوج هذا الميدان.

لكن شاءت المقادير أن قيام الحركة المسرحية العربية اقترن فعلا بقيام الحركة التحريرية للمرأة في المشرق أولا وبالذات. وكان بعض الرجال الواعين عند منبج القرن العشرين الميلادي، وحتى قبيله قد أخذوا يدعون إلى تعليم المرأة، وإكسابها حقوقا جديدة، وإفساح المجال الذي تستحقه في المجتمع (رفاعة الطهطاوي، وعلي مبارك... ثم قاسم أمين، ومصطفى كامل). وسرعان ما التحقت بهذه الحركة بعض النساء الواعيات (صفية زغلول مثلا). وكان هذا النضال مشتد الأوار حتى قبل نشأة الاتحاد النسائي بمصر في العشرينات. وقبل تجليات هدى شعراوي ومثيلاتها مشرقا ومغربا.



ومما لاشك فيه أن الحركة النسوية، ولأسيما من حيث إلحاق المرأة بصفوف التعليم - بما فيه التعليم العالي - كان لها أثر وجيه في تطور النهضة الثقافية، والمسرح في مقدمتها، علما مؤكدا بأن الممثلات «الرائدات» في مصر كما في سواها من البلدان العربية لم يكن جميعهن من حاملات المؤهلات والدرجات العلمية. وقد ظل المستوى التعليمي المتواضع ملتصقا بزمرة كبيرة منهن أمدا مديدا، لأن المقياس في اختيارهن قد ظل لأعوام عديدة، مرتكزا على مايلي :

- البحث عن المرأة - فتاة كانت أو سيدة - التي يمكن أن تقبل - أو تقبل أسرتها - عملها بالمسرح ، وكان هذا بمثابة توفير العملة الصعبة زمن الحرب!

- الانتباه فقط إلى إجادتها أو عدم إجادتها القراءة والكتابة... وبعض الممثلات العربيات الأوائل كن شببيات بالأميات كما كان الشأن حتى في أوروبا من قبل (وراشيل المشار إليها آنفا مثال في هذا الصدد).

وليس ولوج المرأة ميدان المسرح وحده هو الذي لقي اعتراضا من طرف قدماء المحافظين والمتشددين، بل إن ولوجها التعليم وجوانب من الحياة الاجتماعية المتحررة كان مثار غضبهم. وقد قيل إنهم في دمشق مثلا، لم يتقبلوا بالرضى حتى ظهور شخصيات تاريخية على المسرح، مثل شخصية الخليفة «هارون الرشيد»، والظرف كان إذ ذاك ظرف الحكم العثماني على بلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين)، والمسرحية كانت هي القصة المسلية المعروفة في قصص «ألف ليلة وليلة» : «أبو الحسن المغفل وهارون الرشيد»... وحدث، من جهة أخرى، على إثر تشخيص موقف مسرحي - غرامي - بين رجل وامرأة (وهما معا كانا رجلين) أن اشتد غضب فئة من

المتفرجين، فسافر واحد منهم إلى العاصمة العثمانية الآستانة (استنبول)، وفي أعقاب صلاة الجمعة، والخليفة عبد الحميد هناك، صاح الرجل بأعلى صوته : « أدركنا يا أمير المؤمنين، فإن الفجور قد تفشى في الشام، فتهتكت الأعراض، وديست الفضيلة، ووند الشرف، واختلط النساء بالرجال! »<sup>(4)</sup> فكان أن أمر عبد الحميد بمنع التمثيل في جميع الأقطار العثمانية. ومعلوم أن هذا الخليفة عاش من سنة 1842 إلى 1918. وكان حكمه قد انتهى في سنة 1908.

وهكذا فإن اختلاط النساء بالرجال، حتى في مكان الفرجة، لقي اعتراضا شديدا بالنظر إلى تقاليد ذلك الزمن، وهذا مع العلم بأن المحاولات المسرحية، الأولى للمسرح بالشام انطلقت في سنة 1847، كما أن القاهرة احتضنت أول قاعة للمسرح - بالأزبكية - سنة 1868، وأول دار للاوبرا خلال السنة الموالية أي في سنة 1869 وتخصصت هذه الدار في المسرح الغنائي الأجنبي أعواما متوالية.

أما الحركة المسرحية الرائدة بمصر فهي تلك التي حملها إليها الرجل النابغة المسمى يعقوب صنوع (1839-1913) - والذي عرف باسم « أبو نظارة ». فقد كون فرقته في سنة 1870 من فتیان كان بعضهم يقومون بأدوار النساء قبل أن يعثر أبو نظارة على فتاتين فقيرتين فعلمهما الكتابة والقراءة بنفسه، وكان ظهورهما على المسرح « ثورة في الحياة الشرقية قوبلت بالسخط من المتزمتين، وبالتشجيع والحماس من المثقفين »<sup>(5)</sup>. والغريب أن المسرحية التي مثلها بعنوان : « الضرتان » حول تعدد الزوجات كانت سببا في

غضب الخديوي اسماعيل عليه" إذ رأى فيها خروجاً على ما أباحته الشريعة...

وظهر، بمصر، رواد للمسرح العربي - أواخر القرن التاسع عشر للميلاد - كانت لهم محاولات بدائية في المسرح وأغلبهم كانوا من سوريا ولبنان... ويحتفظ التاريخ بأسماء بعضهم (سليم النقاش، ويوسف الخياط، وسليمان القرداحي وأبو خليل القباني...) أما ما تميزوا به فهو أنهم قد تمكنوا من البحث عن ممثلات كن من غير المصريات، وكن لاسيما من بلاد الشام لكنهن كن أقل من المبتدئات، إلا من رحم ربنا...

وشياء فشيئاً أخذت قواعد المسرح ترتكز على الصلب وتتقوى، وقيل إن الفترة التي شغلها في مصر الممثل المغني الراحل الشيخ سلامة حجازي، خاصة فيما بين 1905 و1912، كانت زاخرة بالمسرحيات القيمة. ولكن الفتيات والسيدات اللواتي تولين التمثيل والغناء على المسرح خلالها كن - جميعهن - من الواردات على مصر، من بلدان عربية أخرى، ومن غير المسلمات، وكن موهوبات فعلاً وإن لم يتلقين مبادئ الفن مسبقاً. وهذه أسماء بعضهن قد ندرك من خلالها انتماءاتهن : المز استاتي، ووردة ميلان، ومريم سماط، وماثيل نجار، وابريز استاتي، ونطلي مزراحي، وصالحة قاصين،... ولبيبة مانيللي.

وفيما يخص الأجنحة أو الجهة التي كانت محجوزة للنساء والباب الذي كان مخصصاً لدخولهن يجدر التلميح إلى اهتمام الرأي العام حينئذ بهذه الظاهرة حفاظاً على العرض والشرف.

وقد أوردت جريدة لذلك العهد، هي جريدة « المؤيد » ليوم الأحد 14 أكتوبر 1906 - بحسب ما أثبتته صاحب « تاريخ المسرح العربي » - ملاحظة بشأن موقع الباب الذي كان مخصصا للسيدات فقالت هذه الجريدة من غير اللائق أن « تدخل منه المخدرات من النساء، نظرا لما حوله من الحانات وبيوت الفجر »، كما لاحظت الجريدة أن « الخدم الذين يقومون بخدمة النساء هم من الرجال، وهذا لا يليق أبدا... » وكل ذلك يؤكد لنا مدى « المحافظة » التي كان عليها المجتمع المصري إزاء مشاهدة الفن والتردد على قاعاته.

وقد سجل تاريخ المسرح العربي تقديرا وإشادة نحو الممثلة مريم سماط، لأنها كانت هي ساره برنارد بالنسبة للمشرق... وقامت بأقوى الشخصيات في المسرح العربي الرائد ومنها أدوار قيمة من المسرح التراجيدي العالمي مثل شخصية : « ماري تيودور » وشخصية « مسيا »، وشخصية « الملكة أم هملت »... ومثلت مع جورج أبيض مسرحية « أوديب الملك »... ومثلت دور « الساحرة » الذي مثلته « ساره برنارد »... وكانت مثقفة ثقافة متينة، وكتبت مذكراتها بنفسها ونشرتها لها جريدة « الأهرام » سلسلة في سنة 1915 وتشكل هذه المذكرات وحدها تاريخ ربع قرن من الحركة المسرحية العربية... وتتحدث مريم سماط في بعضها عن « غير الممثلات » بعضهن من بعض، كما تشير إلى « إفراط الأوانس في تبرجهن ومغالاتهن في سفورهن و زينتهن مما كان يلقي الشك والريب في خلد الصالحين من الأدباء، ويوقع البشر والسرور في أفئدة ذوي القلوب المريضة من عشاق الغزل وفساق النظر! »<sup>(6)</sup>.. وقد تبين من مذكراتها هذه سلامة طويتها ورفعة نفسيتها عندما



تحدث عن إحدى منافستها وهي السيدة ميليا « فقد ظهرت مظهر الممثلة الأولى بعد أن علمها الأستاذ الشيخ سلامة سرا وعين لها مدرسا يعلمها على نفقته الخاصة، فأنثر فيها التمثيل، وكانت زهرة المسارح العربية، أقول ذلك، وإن كثر بيني وبينها الخلاف والتنافس» (7).

وتطور المسرح العربي الأول تدريجيا، وإنفتحت دار الاوبرا لبعض فرقته المحلية الرائدة، علما بأن المسرح المشرقي - بعكس المسرح المغربي - قد بدأ احترافيا بالرغم من فجاجة نشأته، فكان الممثلون و الممثلات منقطعين للعمل فيه والتعيش من دخله.

ثم تجلت في تلك الفترة المتخللة بين 1914 و 1920، أي في زمن الحرب العالمية الأولى، ممثلات موهوبات كانت من بينهن سارينا إبراهيم، وماري كافوري فضلا عن ابريز استاتي سالفه الذكر... ولعل المطربة المغنية الشهيرة « منيرة المهدية » كانت أول مصرية دما ولحما تعاطت اعتلاء المسرح في كثير من الشذو والطرب والمواويل، وقليل جدا من التمثيل والتشخيص، ولكنها اعتبرت أول ممثلة... أو هكذا قيل.

ومعلوم أن المرحلة المتقدمة للمسرح العربي، ولاسيما في مصر، انطلقا من العشرينات، قد زخرت بالممثلات المقتدرات. إن المرأة العربية قد أثبتت مقدرتها وكفاءتها. ولم تذهب عبثا جهود عزيز عيد، ونجيب الريحاني، ويوسف وهبي، وزكي طليمات... ومن لف لفهم... لقد أنشأوا هرما جديدا إلى جانب أهرامات الكنانة

الفرعونية. وهذا واقع لا ينكر أبدا كيفما كانت مواقفنا من التجارب الميلودرامية والشبيهة بالعتيقة التي اقتفاها المشرق وتثبت بأذيالها أمدا مديدا.

وفي كتاب : « ذكريات » للمناضلة الشهيرة في دنيا المسرح وعالم الصحافة السيدة فاطمة اليوسف، والددة الصحافي الأديب إحسان عبد القدوس ومنشئة مجلة « روز اليوسف » على اسمها<sup>(8)</sup>، نعثر على إشارات وتلميحات قيمة عن دور المرأة في المسرح العربي، وموقف هذا المسرح ورجاله من المرأة...

وإلى الآن يذكر الذاكرون مهارة فاطمة اليوسف، وزينب صدقي، وفاطمة رشدي... وأمينه رزق!!

على أن موقف المتشددین حتى من بین الحكام والوزراء ظل غیر رحیم إزاء المسرح والمرأة في المسرح. وظهر هذا الموقف حتى في مطلع الثلاثينات وليس فقط في أواخر القرن التاسع عشر أو أوائل القرن العشرين للميلاد كما قد يظن. ففي سنة 1930، على سبيل المثال، أنشأت وزارة المعارف المصرية «معهد التمثيل» لتكوين الممثلين والممثلات وتدريبهم وتخريجهم. إلا أن أحد الوزراء - واسمه حلمي عيسى - سرعان ما أغلق هذا المعهد معللا قراره هذا بأنه «يبيع الاختلاط، ويبذر بذور الفساد بين الجنسين»<sup>(9)</sup>، فظل مغلقا حتى سنة 1944. وهذا الاجراء وحده كان مؤشرا ذا دلالات شتى!

لكن المسرح العربي، في مصر كما في سوريا ولبنان، وفي العراق كما في فلسطين والأردن، وفي العديد من البلدان العربية الشقيقة، خليجا ومغربا، قد استقطب النساء، متفرجات وممثلات استقطابا تاما في الأربعينات والخمسينات والستينات وما بعدها، وهذا الواقع ما زادت السينما والاذاعة والتلفزة إلا تألقا وبروزا وتمكينا.

### المرأة في المغرب المسرحي :

نعم هكذا : « في المغرب المسرحي »، وليس فقط « في المسرح المغربي »، لأن الحركة المسرحية المغربية - وكذلك التونسية - هي في نظرنا امتداد أصيل للمسرح العربي، وامتداد متأصل عن المسرح العربي، وذلك قبل أن تستقل هذه الحركة وتصبح هي ذلك المسرح المغربي الابداعي المتطور الذي نهض في وقت من الأوقات نهضة سعيدة ملحوظة، وأخلد خلال فترات متقطعة إلى ما يشبه راحة اليقظان العليل أو العليل المستيقظ. والمرأة في المغرب المسرحي اليوم هي كائن موجود، وعنصر فعال، وأساس مكين، أخذ في العلم أن المظاهر التمثيلية الشعبية التي عرفها المغرب القديم - مثل فرجة « البساط » ومشتقاتها - كانت موقوفة على المبسطين الرجال.

وفي أواخر العشرينات وخلال الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي تعرف المغاربة على المسرح العربي الحديث :

أولا : وافدا إليهم مع بعض الفنانين المصريين،

ثانيا : ممارسة فعلية من طرف الشبان المغاربة أبناء المدارس

والواعين في مدن وجيهة مثل : الرباط، وسلا، وفاس، والدار

البيضاء وما إليها. ويبدو أن سنة 1927 قد سجلت انطلاقة صحيحة وجيدة للمسرح العربي بالمغرب وعلى يد الشبان المغاربة<sup>(10)</sup>.

وإذا كان المسرحيون في محاولاتهم المبكرة القيمة والجادة، قد أسندوا إلى الذكور تشخيص الأدوار النسوية، فإن المغاربة عموما كانوا في المغرب شاهدوا، ويشاهدون، المرأة العربية على المسرح، وكثيرا ما أشادوا عالي الإشادة بكفاءتها في مسرحيات الفرق العربية الوافدة من المشرق. ولن ينس التاريخ الحفاوة التي أحاطت المغاربة بها الفنانة المصرية فاطمة رشدي التي تخلد قدومها في سجل تاريخ الوعي الأدبي والفني للحركة الوطنية التحررية<sup>(11)</sup>.

وكان المتفرجون المغاربة، أوائل الثلاثينات، قد ملوا من مشاهدة الأولاد في أدوار البنات على المسرح، حتى أن صحافيا في جريدة «السعادة» التي كانت تصدر بالرباط قال في مقال بتاريخ السبت 11 يونيو 1932 تعليقا على حفلات مسرحية مع فرقة عزيز عيد وفاطمة رشدي إن من مميزات مسرحهما وجود المرأة على المسرح «حيث لا يستطيع أن يقوم بدور الأنوثة من الأدوار إلا الأنوثة نفسها بما وهب الله الفتاة من خصائص الرقة والدمائة والمرح والخفة والعذوبة والمقبولية». إلا أن هذا الصحافي - المسكين - قد خاف على نفسه، دون شك، من ردة المتشددین إذ ذاك، فزاد قائلا، ومتناقضا مع نفسه، مرغما: «نحن لا ندعو إلى تشريك الأنثى في تمثيلنا...».

ومع كل ذلك، فإن دوام الحال كان أمرا محالا. نعم، إن بعض الممثلين المغاربة - الذكور - قد عرفوا في الثلاثينات وقبلها وبعدها



بنوع من الإجادة والإتقان في أداء الأدوار النسوية. وقد عرفت المرحوم البشير العليج - الصديق العزيز - فعرفت أنه من قبل - أي من قبل أن أعرفه - متخصصا متفوقا في تقمص الأدوار النسوية... وكذلك كان التسولي، وإدريس بن مسعود وآخرون هنا وهناك من المدن والحوضر المغربية : نفس الشأن كان في فاس وسلا وسواهما. وعندما اندمجت في الحركة المسرحية الوطنية بالرباط (سنة 1948) أذكر أن اثنين من أصدقائي فيها كان يجيدان أداء الأدوار النسوية على خشبة المسرح إجادة مثلى، وكان الجمهور - المتعود على المسرح - يجد متعة وأية متعة في التصفيق الحار لهما<sup>(12)</sup>.

وإذا كان البشير العليج - قبل تعرفه على بوشعيب البيضاوي أكبر فنان تفوق في تقمص أدوار المرأة الشعبية في الدار البيضاء - وإذا كان الصديق الراحل الآخر الفنان عبد الواحد الشاوي قد تعبنا معا، كل من جهته، تعبنا شديدا - كما تعب غيرهما - في التمكن من إسناد الأدوار النسوية إلى نساء حقيقيات، فإن عذرهما في هذا الصدد، بوصفهما فنانيين رائدين في ميدان الاحتراف كان عذرا مفهوما ومقبولا. وقد توفقا تارة، في ذلك المسعى، ولم يتوفقا تارة أخرى، إذ كان لابد حينئذ من مساهرة المجتمع، ولابد من انتظار نضج ثمار التعليم النسوي لاقتطافها... كانت المهمة صعبة... وقد واجهها كاتب هذا العرض في مطلع حياته المهنية وواجهته، وما كان بالامكان تخضيد أشواكها تدريجيا إلا بمساعدة وطنية صادقة، تحديا فعليا لظروف الحجر والحماية. وكان التوفيق من الله تعالى رغم اليقاعة وتواضع الحنكة... فكان منذ ذلك الوقت العزم الذي لا رجعة عنه سعيا إلى جعل المرأة المغربية تحترف العمل التمثيلي

في الوقت الذي كانت فيه الحركة المسرحية المغربية الهاوية قد عرفت نوعا من التوقف أو التردد على إثر ظروف الحرب العالمية الثانية.

لقد كان العزم في سنة 1949 على ذلك القرار، وكان أن أخذ المتحدث في مزاولة مسؤوليات إنشاء قسم البرامج التمثيلية للإذاعة المغربية وتشكيل فرقة التمثيل العربي للإذاعة والمسرح - وفيما بعد للتلفزيون كذلك - فقرر ذلك العزم على أن تسند أدوار المرأة - دائما وأبدا - إلى المرأة، ولا تساهل في هذا المبدأ مهما كانت المصاعب، وبالتالي كان لابد من البحث عن فتيات مغربيات وتكوينهن وتدريبهن في وقت لم تكن في البلاد جهة متخصصة في هذا النوع من التعليم... وما كان يسيرا العثور على تلك العناصر النسوية، وكان أصعب من اكتشافهن إقناع ذويهن بالعمل في ميدان التمثيل ومعاشرة الرجال مهنيا ولو من وراء المذياع، ولو متحجبات!!.

ويمكن سرد شتى الذكريات المغريات التي قد لا يصدقها أحد من القراء. فمن غير الممكن أن يتصوروا، فأحرى أن يصدقوا، أن هناك من الفتيات - المجلوبات إلى ميدان التمثيل الإذاعي - من كن يمثلن أدوارهن أمام المذياع محجبات بينما مهندس الصوت في «الكابين» يصيح محتجا على تشويه الصوت الوارد إليه عبر القماش «المغربل»... وكانت الواحدة تتمرن في الاستوديو أو تشخص مباشرة على الهواء بينما غير بعيد عنها يوجد «ذو محرم»: أبوها أو أخوها... وذلك كان شرطا مقبولا. إلا أن هذه

الحال لم تدم، وشيئاً فشيئاً أمكن جعل حد لذلك التخوف إن لم نقل لذلك التهور.

والآن، مع تباعد السنين، يبدو أن التدريب على تلوين الصوت، والارتقاء، وعدم الانقباض، والتدريب على التقمص وإجادة التنفس، فضلاً عن التدريب على إجادة الالقاء في قراءة النصوص وتشخيصها، وفضلاً كذلك عن التدريب على معرفة المزيد من قواعد اللغة العربية والتبحر فيها : أمر كان في التمثيل الاذاعي تمهيداً وأساساً للعمل المسرحي مع فارق مقايضة الصوت بين الوضعين والاحاطة بتقنيات التقمص المسرحي... فما أن مضت ثلاث سنوات بعد تشكيل فرقة التمثيل العربي بالرباط حتى غدا العمل المسرحي على خشبة نشاطاً مألوفاً لدى سيداتها دون خدر ولا حجاب، وإنما في نطاق التحرر التام، فاكتسب المغرب عن هذا النهج المتأني أولى ممثلاته المحترفات، المنقطعات لهذا المجال.

وهنا تجدر الإشارة، للذكرى والتدبر، بالتعليم وحركته الوطنية ودعم الوطنيين والواعين بكل جديد في المجتمع. فنحن لم نجيء إلى فن التمثيل بالعناصر النسوية من الشارع، أو من بين غير الواعيات. فلقد أتينا بهن من التعليم العمومي ومن التعليم الوطني الحر على حد سواء... في الرباط كما في سلا... وفي الدار البيضاء كما في فاس وسواها... وكان التمسك بحسن السلوك مشجعاً في هذا السبيل.

وعمليات انتقاء الممثلات - وحتى المذيعات - لم تكن سهلة من حيث المحافظة والإبقاء على من يقع عليهن الاختيار الأولي بعد

الجهود التي تصرف في البحث عنهن وفي إقناع ذويهن. فقد كان يحدث أن الفتاة التي تحظى مبدئياً بعونها يتبين، من خلال الممارسة، أنها غير متوافرة على الموهبة الفنية اللازمة، وليست لها المعدات الجبلية التي لابد منها مثل: الصوت المبلغ، والشعور النفاذ، والفهم السريع، والذكاء المناسب، والجرأة المسرحية، والقوة على مواجهة الجمهور، وبالتالي يتبين أنها عبء ثقيل حمله و«متاع» غير صالح! فكان السبيل إلى التخلص منها والحالة هذه عملية لا تقل جساماً عن عملية الاهتداء إليها... وكم من «مطبات» وقعنا فيها بهذا الخصوص، لاسيما والغيرة بين الفتيات واللامعة التي قد تصدر عن بعض العائلات كلاهما مصدر عداً ما أخرى «فاعل الخير» بالبعد عنه وتجنبه لاسيما في «سوق النساء»... ولكن الله سلمنا من كل وبال بهذا الصدد طيلة القيام بهذا «المشوار» على مدى نحو خمس عشرة سنة من تسيير الممثلين والممثلات والعمل على رأس فرقة التمثيل العربي للإذاعة والمسرح ثم التلفزيون، وهي فترة أمكن العبد لله أن يساهم خلالها، ما وسعته المساهمة، وبكل تواضع، في اكتشاف مواهب مسرحية نسوية وتدريبها، وتكوين جيل محبوب من سيدات الفن المسرحي المغربي، والعمل مع بعضهن والتعرف إلى أخريات... وإذا كان لابد في هذا العرض عن «المسرح... والمرأة» من الإشارة إلى أسماء، فإن الذاكرة «خوانة» ولا تستأمن. فتحية التقدير والإجلال إلى السيدات الفنانات اللواتي أثرين بعطائهن المسرح المغربي أعواماً متوالية، وكثيرات منهن مستمرات في هذا العطاء بكل كفاءة ومقدرة وإبهار حتى اليوم، ولا إحصاء حصري في هذا المقام، ولا ترتيب في ذكر الأسماء، فما منهن إلا النجمات الساطعات: حبيبة



المذكوري، وأمينة رشيد، والثلاث اللواتي اسأثر المذيع بمواهبهن : لطيفة الفاسي، وبديعة ريان، ولطيفة القاضي، ثم وفاء الهراوي، وفاطمة بن مزيان، وصفية بلعيد الزياتي... وقد كان من حظي أستاذًا في مركز البحوث المسرحية بالرباط أن كانت فاطمة الركراكي، ومليكة العماري من بين تلميذاتي، كما أن الفنانة نعيمة المشرقي ظلت على الدوام قريبة قربا حميما من ميدان عملي ولاسيما لما أتيح لي في الستينات والسبعينات أن أكون مسؤولا عن إدارة التلفزة الوطنية حيث التعامل مع رجال الفن ونسائه أساسا ولا محيد عنه، وحيث لا يمكن التغافل مطلقا عن ذكر أسماء الفنانات : الشعبية العذراوي، وثريا جبران، وزهور المعمرى، والباتول السباطي، وخديجة أسد، ولطيفة الصقلي، ورشيدة الحراق، ونزهة الركراكي، ونعيمة إلياس، وعائشة ساجد، وسعاد صابر، وزهور فليفل، وأمينة بركات، وأمل التمار، ورشيدة مشنوع، وسلوى الجوهري، وماجدة بدر الدين، وماريا صادق...

وفي ربيع سنة 1993 زارتني في مكتبي ممثلة مغربية كانت قد صالت على مسارح المغرب وجالت قديما، لكن إسمها، منذ زمن بعيد، قد غاب عن الساحة : خديجة جمال... فعادت بي الذاكرة، من خلال زيارتها، إلى ثلاثين سنة قد خلت في ميدان الحركة المسرحية يوم أن كانت فرقة المعمورة في أوج نشاطها... وتذكرت حتى فترة مطلع الخمسينات حينما اكتشف أخونا الأستاذ محمد التازي - السفير - ممثلة موفقة لفرقته الوطنية بالدار البيضاء. فرقة المنار. ولعل اسمها إذا لم تخني الذاكرة هو ربعة بن عبد الله، بل وتذكرت أيضا لنفس الفترة تقريبا فرقة مسرح مدينة سلا مع

نجميها أحمد السفيناني ومحمد بن عياد وممثلتهما موفورة الموهبة إذ ذاك، زهور الادريسي، وكذا فرقة التجديد المسرحي لمدينة الرباط مع نجميها محمد الدغمي وعبد القادر بن سليمان وممثلتيهما. إلا أن التمييز لا بد منه في هذا الصدد. فالهواية هي مثار هذه الذكرى الاستطراذية بينما ما يعنينا حقا هو المسرح المحترف، واللواتي أشرنا إليهن قبلا هن البعض فقط من سيداته. وإلا فإن ميدان الهواية فسيح عريض وبحر لا ساحل له.

وختاما، إن المغرب المسرحي معتز أيما اعتزاز بأولئك الممثلات المحترفات المقتدرات، فما منهن إلا نجمة تضيء أختها، وأملنا جميعا أن تتحقق النهضة المرجوة للحركة المسرحية بالمغرب حتى تكون الاستفادة منهن أوفر، فإن الكثيرين من أبناء الجيل الحالي وبناته لا يعرفونهن حق المعرفة.

- (1) «الممثلون الكبار» تأليف فيليب فان تييرغ، باريس 1960 ص 15.
- (2) يعني الأنسة بوشاطو التي عاشت من 1615 حتى 1683 م أي بعده بعشرة أعوام... المصدر السابق ص 18.
- (3) الفصل الثامن، ص 8، المصدر السابق.
- (4) «تاريخ المسرح العربي» تأليف فؤاد رشيد القاهرة 1960 ص 16.
- (5) المرجع السابق، ص 21.
- (6) جريدة «الأهرام» الخميس أغسطس 1915 والمرجع السابق ص 47.
- (7) جريدة «الأهرام» 12 سبتمبر 1915 والمرجع السابق ص 52.
- (8) «ذكريات» فاطمة اليوسف - كتاب روز اليوسف - القاهرة 1953.
- (9) «ازدهار وسقوط المسرح المصري»، فاروق عبد القادر، دمشق 1983 (منشورات وزارة الشؤون الثقافية) ص 54 بالهامش.
- (10) كتاب «فجر المسرح العربي بالمغرب»، من تأليف عبد الله شقرون، والصادر سنة 1988 بتونس، يؤرخ للحركة المسرحية بالمغرب من ميلادها ومنبعها حتى سنة 1956.
- (11) انظر تفصيلا مدققا من ص 93 إلى 111 لكتاب «المسرح العربي بالمغرب» الموماً إليه.
- (12) يرحم الله أخي عبد الحميد حساني، أحدهما، وأطال عمر أخي ادريس الزباني ثانيهما.

## صورة المرأة في الخطاب المسرحي التقريري

فاطمة شبشوب(\*)

### I - مميزات الخطاب المسرحي التقريري :

يقول ابن منظور عن الأعرابي «الْقَرُّ: ترديدك الكلام في أذن الأَبْكُمْ(\*\*) حتى يفهمه»<sup>(1)</sup> وعن شمر يقول: «قَرَرْتُ الكلام في أذنه أَقْرُهُ قَرّاً وهو أن تضع فاك على أذنه فتجهر بكلامك كما يُفعل بالأصم»<sup>(2)</sup>.

نلاحظ في هذا التعريف التركيز على أربعة عناصر يتم بها التواصل بين مرسل ومرسل إليه متميزين :

مرسل إليه	أذن	فم	مرسل
مستمع كالأبكم	قرار	كلام	متكلم كالأصم

وإذا ما اعتبرنا أن القرار هو «ماقر فيه الماء»، «ومن الأرض : المطمئن المستقر»<sup>(3)</sup> فإن الفعل الذي يتم في عملية التواصل بين المرسل والمرسل إليه هو فعل «التقرير بالشئ» : جعله في قراره<sup>(4)</sup> حيث يقر ويطمئن. من هنا تأخذ عملية التقرير معنيين :  
- معنى فزيولوجي يتمثل في التقرير بالكلام عن طريق ذبذبات قوية توصله إلى الأذن.

(\*) أستاذة بكلية الآداب مكناس.

– ومعنى أيديولوجي يتمثل في التقرير بالصورة عن طريق العبارات الجاهزة والتلوينات المألوفة في الحركة وفي الكلام توصلها إلى الذهن. وبعبارة أخرى إن عملية التقرير تصبح ذات طابع صاخب لا تحتل الهمس ولا الصمت، كما أنها لا تحتل بلاغة جديدة ولا تصويرا غريبا. لذا يمكن اعتبار أهم مميزات الخطاب المسرحي التقريري هي :

(1) اعتبار المتفرج أبكما (محذوف النطق) ولذلك فهو لا ينتظر منه سؤال ولا تساؤل ولا تعليق. إنه مجرد أذن يقر فيها الكلام الذي يصاغ في هيئة نص خطابي حين يبتغي التأثير الأيديولوجي أو نص تهريجي حين يروم التأثير النفسي (كالإضحاك أو إثارة الشفقة).

(2) وما دام المتفرج في اعتبار هذا الخطاب أبكما، فإن جميع حواسه تعتبر معوقة بالأساس. لذلك تكون فرجة هذا المسرح عبارة عن برنامج تمثيلي إذاعي يختزل كل جمالياته في الإلقاء الصوتي (الذي قد يتلون هو أيضا بالرتابة والجفاف). وهكذا يظل المخرج والممثل حائرين بين شتى التيارات الفنية دون القدرة على هضمها والاستفادة منها.

(3) انطلاقه من صورة رسمية يتخذها قرارا له في عملية التقرير من حيث هي عملية تواصلية وحيدة لدى أصحابه. لذلك يصبح الخطاب المسرحي التقريري عبارة عن مرآة تعكس واقعا معيناً يعيش في ثنايا المنطق الرسمي المحدد للصورة المجردة للأشياء وللإنسان بدل أن يعكس الواقع الذي يعيشه المجتمع فعلا ولا يفتأ يفعل في تصوره ويغيره.



ولقد اتخذ هذا الخطاب لنفسه شكلين : تقريرى وصفى وتقريرى رومانسى.

فأما الخطاب المسرحى التقريرى الوصفى فإنه يكاد يشبه الرسوم البدائية التى تعرف عند الشعبية وأمثالها من الرسامين الذين يتميزون بحفاظهم على الألوان فى شكلها الخام وعلى الرموز المألوفة جدا لدى مجتمع معين، مما يضيف على رسومهم غرابة مزعجة. ويدخل ضمن هذا الخطاب جل تمثيلات البدوى، وكل تمثيلات الخلفى، والزر والى، وموهوب، والبصرى، وعبد الرؤوف وكثير من أعمال عبد السلام الشرايبي الذى اخترنا له تمثيلية الحراز.

وأما الخطاب المسرحى التقريرى الرومانسى فإنه يتميز عن الأول بكون المؤلف يحاول التعامل مع التلوينات النفسية، خاصة، تعاملًا فنيا شاعريا يضيف على التمثيلية طابعا رومانسيا لاحتدام المشاعر واصطدام الأهداف وتوهج العواطف وقساوة القرارات وهذا ما يلاحظ فى معظم تمثيلات عبد الله شقرون، وإبراهيم الوزانى وكثير من أعمال أحمد الطيب العليج وكل أعمال علّال الهاشمى الخيارى الذى اخترنا له تمثيلية : ربة شاعر.

## II - صورة المرأة فى الخطاب التقريرى

### تمثيلية « الحراز » لعبد السلام الشرايبي

#### (1) قصة التمثيلية :

« الحراز » تمثيلية من تأليف عبد السلام الشرايبي المراكشى أصلا، البيضاوى دارا. ألفها فى غضون سنة 1963 مباشرة بعد أن

أخذت ضجة تمثيلية «الشرع عطانا ربعة»<sup>(5)</sup> تخدم لتصمت بالمرّة. ولقد استقى الشرايبي موضوع تمثيليته من قصيدة الحراز للشاعر ابن علي وهي حسب تصريح الكاتب «أضعف القصائد التي نظمت في الحراز»<sup>(6)</sup> وتحكي القصيدة قصة عاشق تعلق بامرأة جميلة حجبها عنه رجل كهل طمع فيها لنفسه، فحاول العاشق حيلة كثيرة للقاء حبيبته متنكرا مرة في هيئة ولي صالح، ومرة في هيئة قاض، ومرات في هيئات مختلفة. ولكن الحراز كان يكشف عن كل تنكراته، ويطرده شر طردة، وفي الأخير تتظاهر الحبيبة بمرض شديد، فيأتيه العاشق في هيئة فقيه حكيم، وتنطلي الحيلة على الحراز، ويتم اللقاء في بيته حيث يغتم العاشق لذة الوصال.

ولقد لقيت التمثيلية إقبالا كبيرا بفضل التقنيات التي أدخلها عليها الطيب الصديقي عندما أعدها للعرض. فكانت بذلك قد جمعت بين كتابة نصية تقليدية، وكتابة ركحية حديثة. ولسنا ندري كم كان عدد عروضها داخل المغرب وخارجه، ولكن المؤكد، أنها قدمت في التلفزة المغربية وحصلت على إعجاب نظارتها. وطبعت سنة 1981 بدار الستوكي بالرباط.

وعندما سألنا الشرايبي عن سر اختياره لموضوع قصيدة الحراز في تلك الفترة بالضبط، أجاب: «لقد ألقت مسرحية الحراز سنة 1968، وفي تلك الفترة كان الانسان العربي قد أصبح يطرح حول نفسه تساؤلات عديدة لما واجهته أحداث سياسية وإجتماعية مختلفة. في تلك الفترة إذن كتبت الحراز وضمنتها أحداثا كثيرة تبدو لنا حيلة باسم المسرحية. ولقد بينت كيف ان الرجل حاول

طرقا ووسائل متعددة ومع ذلك لم يفلح حتى تدخلت المرأة بتعقلها وثباتها «(7)،

الظاهر إذن، أن الشرايبي يربط التمثيلية بالاحداث العربية، ويعطيها أبعادا سياسية، فتصبح عويشة في رأيه «ذلك الشيء الذي يحلم كل عربي بالوصول إليه : الحرية» وفي الوقت نفسه ترمز إلى «الأمة العربية المحاصرة التي لا يمكن أن يفك الحصار عنها إلا إذا هي قامت بتدبير شؤونها بنفسها وبالرجوع إلى العقل والأصالة العربية». ولما تعجبنا من تجمع كل هذه الرموز - على اختلاف مادتها وتركيبها - في شخصية «عويشة» أجاب الشرايبي: «هذا شرف للمرأة في نظري أن تجتمع فيها كل هذه «الوصاف» على عكس الرجل. إن المرأة في حد ذاتها سر رباني لها قوة لا يشعر بها إلا الرجل، ولكن المرأة تجهلها فتحط من قيمة ذاتها بنفسها»(8).

إن التمثيلية إذن - حسب قول صاحبها - تستجيب لظروف تاريخية سياسية معينة . وتجدر الإشارة هنا إلى أن الكاتب لم يربط خلال حوارهِ معنا بين التمثيلية وظروف المرأة المغربية ولا حتى العربية . ربما لأنه يعلم جيدا أن مسألة الحجة و«التحراز» قد تجوزت بعقود كثيرة (على الأقل في المدن الكبرى، وبعض المدن الصغرى أو القرى المجاورة لها وأن القصيدة الملحونية في حالها الراهن لم تعد تعبيرا عن الواقع بقدر ما أصبحت نوعا من التراث الفني المغربي القديم. فكيف قدم الشرايبي صورة المرأة في هذه التمثيلية؟

## (2) ملخص التمثيلية :

تحكي التمثيلية قصة عويشة ومحمود اللذين تحابا منذ الصغر، ويوم مات أب عويشة، فوجيء عمها عثمان بوصية أخيه التي يشترط فيها أن لا يتم توزيع الارث إلا بعد زواج عويشة. لذلك، حاول عثمان التخلص من عويشة بتزويجها من الحراز مقابل أن يتنازل هذا عن الارث . وتنتقل من بيت أبيها مع خادمتها فاطمة إلى بيت الحراز الكهل الذي يجهل الوصية ، لكن محموداً وأصدقائه ، وعلى رأسهم عبد الله، يصممون على انتزاع عويشة من بين يدي الحراز الذي كان يقف بالمرصاد لكل حيلة . ورغم مساعدة فاطمة لعاشقها عبد الله في مهمته ، باءت كل المحاولات بالفشل . لذلك ، قرر عبد الله عزل الحراز عن أصدقائه بما فيه عثمان حتى يصبح أسهل للاقتناص . لكن ذلك لم يزد الحراز إلا تعلقاً بعويشة إلى حد التعجيل بالزواج منها . عندها اشتدت مصيبة محمود . ورغم انضمام عثمان إلى صفه ، لم يزد إلا بأساً ، فصار لا يدري كيف ينقذ حبيبته . غير أن عويشة استطاعت في تلك الأثناء إيجاد الحيلة الناجحة : هي أن تهرب فاطمة لتشغل الحراز بالبحث عنها . وما أن يغيب الحراز حتى يأتي عبد الله متنكراً في زيه ليأمر الحارسين بالذهاب - عوضه - للبحث عنها . فيخلو الجو، ويختطف محمود حبيبته . وحين عاد الحراز مرة أخرى اكتشف اللعبة، ثم ظل يناجي نفسه حول الغدر والثقة.

## (3) البنيات المكونة لشخصية المرأة في التمثيلية :

أ - البنية الخارجية : لقد اختار الشرايبي للتمثيلية جوا غنائياً يساعده كثيراً على وصف شخصياته النسوية بدقة وتفصيل.



ـ عويشة : فتاة يتيمة الأبوين، رهينة وصاية عم طماع. ويبدو من تصرف هذا معها أنها ماتزال صغيرة السن (مراهقة)، وهي تتمتع بجمال يجعلها « زينة البدور » ويجعل الحراز يناديها : « طلي علي يا عويشة بسود شفارك وسكريني بدون مدام، ما فاز حد بزيناك يا بنت الكرام ولا نظر خوه حتى فمنامه ». إنها مثال « الزين العربي »: شهية مثل « البطيخ البلدي »، ولذيذة كـ « اللحمية بين السنان » (!). ذات جلال وهيبة مثل « اللبية »، ومنورة كـ « القمر ». وبكلمة، إنها « راحة القلب » بالنسبة إلى محمود، و« راحة العقل » بالنسبة إلى الحراز.

ـ فاطمة : خادمة عويشة. يقدم لها الكاتب صورتين مختلفتين: فهي في نظر عاشقها عبد الله « الريم فاطمة » و« الغزال الشارد »، بحيث « مللي نظرت جمالها طار عقلي وتغير حالي ». وهي أيضاً ترى نفسها « زوينة » و« صغيورة »، قسيبر فسيلة. لكنها في جانب آخر قليلة الحياء « وهي عندها بعده الوجه علاش تحشم ؟ »، كما أنها كثيرة الحيل و الشيطنة « هديك الجنية ديال فاطمة »، وكثيرة الدهاء « وطرني ماسهالة أفاطمة، ضبعت جوج تالرجال كل واحد منهم يصارع سبع » إلى درجة مخيفة جعلت عبد الله، رغم حبه يتخوف منها: « بحركم ما ليه قياس، حارت فيه الناس، شحال غرق من ناس... ياك ما يغرق بي ؟ فاذا كان هذا حال عبد الله الداهية الماكر، فلا عجب أن تعتبر فاطمة عقاباً لزحروق الخادم » أنا أسيدي إلى باقي نعست زوجني كاع بفاطمة ». لهذا فهي تبدو للخائف منها دميمة مثيرة للسخرية « فاطمة تبارك الله مجردة والسر عليها، شعرها ما غطى حتى ودنيها ».

ب - البنية الفعلية : لم يزد الكاتب في هذه التمثيلية عن أنه أفرغ قصة بسيطة الحدث في قالب بسيط الهندسة. لذلك جاءت الحركات الدرامية في التمثيلية قليلة الأبعاد وسطحية إلى حد الافتعال، بحيث يمكن حصر كل أفعال الشخصيات (ذكورية ونسوية) في خانتين : خانة الحب وما يتعلق به من شكوى، وحنين ومغازلة، ولقد خصص لها الكاتب بدايات الفصول الخمسة، ونهاية الفصل الخامس (خاص بالحراز)، وخانة الحيل وما يدخل فيها من تخطيط، وتدبير، وتنفيذ من أجل تحقيق غاية واحدة : سعادة محمود بعويشة.

وعند النظر في هذه التمثيلية نجد المرأة قد ساهمت بقدر كبير في الخانتين معا إلى جانب الشخصيات الأخرى. وحتى يبرز ذلك بوضوح، سنخصص علامة 0 لخانة الحب وعلامة x لخانة الحيل لنرى حظ الشخصيات من كل خانة في هذا الجدول.

الفصل	I	II	III	IV	V
الشخصية					
التهامي والعربي	x	x	x	x	x
عبد الله	0	x-0	x-0	x-0	x-0
محمود		x	x	x	x
فاطمة	0				
عويشة					
الحراز				x	0

فكيف تتجلى البنية الفعلية لعويشة وفاطمة انطلاقا من هذا الجدول؟ إنها على ما يبدو واحدة في خطها الرئيسي سواء من حيث الإرسال أو من حيث التلقي. ليس هناك إلا بعض اختلافات وليدة التمييز الطبقي الذي يميز عويشة عن خادمتها فاطمة.

ولهذا، يمكن تقسيم إرسالهما إلى أفعال «طبيعية» تعود إلى طبيعة المرأة بصفتها أنثى، وأفعال مكتسبة من الوضع المجتمعي الذي تعيشه الشخصية. كما يمكن تقسيم تلقيهما إلى معاملات «منطقية»، وأخرى مبالغ فيها حسب نوع المتلقيّة ومصدر الفعل.

### \* مادة الإرسال :

+ الأفعال «الطبيعية» : وتنحصر في فعل التحايل، ذلك لأن من طبيعة المرأة حسب تفكير الشرايبي «عدم المواجهة بالقوة والعنف»<sup>(9)</sup> فلقد خلقت «ضعيفة من ضلع أعوج»<sup>(10)</sup>. لذلك، فهي «لا تحسن إلا التلوي كالأفعى والتلون كالحرباء». وسواء كانت مراهقة أو مسنة، سيدة أو خادمة، محجوبة أو لا، فإنها تنجح دائما في حيلها على عكس الرجل الذي لا يعرف كيف يسدد ضرباته، فتأتي حيله مكشوفة سخيفة. ولقد رأينا كيف وزعت الحيل على الشخصيات، بحيث لم تقم عويشة إلا بحيلتين : عندما تظاهرت بصد عمها وتعلقها بالحراز، وعندما تمارضت بدعوى أن عمها وتر أعصابها باقتراحه عليها الهروب من دار الحراز .. أما فاطمة فقد قامت بخمس حيل :

- 1 - حين كانت تحدث عبد الله المتنكر في زي عثمان لتشكيك الحراز في صداقته.
- 2 - وحين توصلت برسالة محمود.
- 3 - ثم وهي ترد الجواب أمام مرأى ومسمع من الخادمين اللذين كانا يحرسانها،
- 4 - وحين أقنعت زحروق ومحروق برغبة الحراز في عدم تزويجهما حتى يظلا في خدمته.
- 5 - وأخيرا حين اقترحت عليهما الهروب مبتدئة بنفسها.

وهكذا قامت المرأتان بسبع حيل فقط كانت أكثر فعالية من حيل المجموعة الذكورية، لأنها كانت في حاجة إلى الإتقان، والروية، والتنسيق، إذ يبدو أن المجموعة لم تكن تنسق فيها بينها مثل ما حدث لما سقطت عويشة « صريعة » نوبة عصبية مفتعلة، وكان الحراز في أمس الحاجة لمن « يصرع عنها » فأتى العربي والتهامي في هيئة فقيهين قادرين على الصرع قبل أن يرسل الحراز في طلب أي فقيه حتى إنه تعجب من سرعة الاستجابة : العجب ! اشكون علم هادو بللي عويشة طايحة بلرياح ؟ . وقد كادت الحيلة أن تنطلي عليه لولا التحاق محمود وباقي جماعته في فرقة كناوية.

إن فشل حيل محمود (وهي أربع) وحيل التهامي والعربي (وهي أربع كذلك) وحيل عبد الله ليس طعنا في ذكاء الرجل ولا في فحولته، بقدر ما هو تأكيد لقدرة المرأة على النجاح حيث يفشل الرجل، أي النجاح في ميدان الخبث، والتمويه، والتمثيل، وهو ميدان لا يفلح فيه من تعود الصدق، والاعتماد على النفس. وبعبارة أخرى أنه ميدان « خاص » بالمرأة التي « جبلت على الكذب، والتلون، والتخابث » لأنها أنثى.

+ الأفعال المكتسبة : وتنقسم إلى أفعال سادة وأفعال خدم.  
- فأفعال السادة تنحصر في التخطيط وتوزيع الأوامر، وقد مارسها عويشة على فاطمة والحراز، كما مارسها فاطمة على الخادمين زحروق ومحروق. وهكذا تبدو عويشة هي المخطط الرئيسي لتحركات الشخصيات الأخرى حيث كانت حاضرة رغم اختفائها.



- افعال الخدم التي اختصت بها فاطمة لوحدها : وتتجلى في تفهم سيدتها ومواساتها : «مالك ألا غير مكدره؟ وحاملة هم الدنيا؟... من نهار جابنا عمي عثمان لهذا المكان وأنت عقلك مخطوف... فرجي على قلبك، ولوحي عنك لهموم، ولحمل اللي تقال عليك... ضربيه لراسي»<sup>(١١)</sup> انها، لشدة تفهمها لسيدتها، أصبحت ذراعها الأيمن ومساعدتها الوحيد، بل أصبحت «هي ساروت القفل باش مسدود قلب عويشة»<sup>(١٢)</sup> تتحكم فيه وفي عواطف سيدتها. وهذا ما يعلل قيمة فاطمة في الحدث. إنها تشبه تماما الخادمة المولييرية في «الذجال» وفي «ولي الله»، حيث تكون كل خيوط الحدث بين أصابعها تحركها حسب رغباتها التي هي أصلا رغبات الأسياد وان ابدوا معارضة أو تصلبا في البداية. غير أن هذا الوضع لم يكن كافيا لكي تشعر فاطمة بالاطمئنان، لذلك، كانت متوتبة في كل لحظة للدفاع عن نفسها بكل ما أوتيت من ذكاء وسلطة لسان.

انها في موقف ضعف (خادمة) رغم ما تبديه من قوة (تدبير). والذي يكون في موقف ضعف يكون عادة شديد الحساسية. متأهبا للرد على ما يستوجب من عنف وضرر. لذلك، نجد فاطمة لا تتوانى عن ترديد جمل مثل : «يشوين فيك» أو «فاطمة غير شايفة ليكم» أو «ايو زوينة!» أو «اشنا هو؟ هذا هو الجزاء ديالي؟» وقد تعلن عن غضبها مهددة باضرابها عن التعامل الطيب (فصل III).

#### \* مادة التلقي :

+ المعاملات المنطقية : لقد بينت التمثيلية بوضوح بأن المرأة، عموما، تكون في حاجة دائمة إلى من يتغزل بها. ولذلك، كانت

معظم الشخصيات الذكورية لا تكل من التغزل بعويشة وبفاطمة سواء كان الغرض الخلقي وصالا أو مجرد «تلف» ومجاملة تقتضيها الأعراف البرجوازية في المغرب. والغريب، أن جميع من تغزلوا بالمرأتين (محمود، الحراز، عبد الله، زحروق، محروق) اتفقوا على معجم خاص نصنفه كما يلي :

أعضاء جسدية	حيوان	نبات وفواكه	أطعمة	أشياء مادية	أشياء ذهنية
شفة قرفية سود لشفار سود لنجال سابغ سواف نهود	لبية لغزال الشارد خناري الريم غزالي بودلال عوارم	البطيخ البلدي التفاح الحباري التفاحة الطايبة قزير فسليلة	اللحمة بين السنان الدخيرة بين الضروس قشور الهندية : (طعام البقر) العضام : (طعام الكلاب)	القمر زينة البدور ضيا للماح العنبر صوارم مراشف	راحة القلب راحة العقل الزين العربي بنت الكرام الباهية الدامية

نلاحظ إذن أن ريشة المتغزل تقف عند صدر المرأة، ووجهها، وشعرها<sup>(13)</sup> ليؤلف باقي جسدها من حيوانات<sup>(14)</sup> ونباتات وأشياء مادية مختلفة، ثم يضيف عليها من ذهنه نكهة أطعمة يعلمها أو يتخيلها، ليجعل الصورة في إطار هلامي من مقاييس جمالية عربية مائعة. من هنا ندرك سر تعامل الرجال مع المرأة في التمثيلية بـ «لطف» لأنها في اعتبارهم «تحفة». طيبة للاستهلاك، وقابلة للعبادة كالألهة التي تصنع من الحلوى فتعبد نهارا وتؤكل ليلا.

ومن المعاملات المنطقية أيضا الحذر وعدم الثقة في المرأة لأنها «خبثة بطبعها»، وشديدة الدهاء، كثيرة الحيل. لذلك، يجب

التعامل معها بحذر شديد. ولقد عبرت الشخصيات الذكورية عن هذا الحذر من المرأة عموماً غير ما مرة. نذكر منها مثلاً قول الحراز في عويشة :

- الحراز : هاك على حروب النساء... عاملة راسها ما سمعت والو وهي كانت مدلية ودنيها حتى لكعابها « (فصل I).

وقول عبد الله في فاطمة :

- عبد الله : وطرنى ما ساهلة أفاطمة... ضبعتي جوج ترجال كل واحد منهم يصارع سبع. بحركم مالىه قياس، حارت فيه الرياس، شحال غرق من ناس... ياك ما يفرق بي ؟ (فصل IV).

+ أما المعاملات المبالغ فيها، فإنها اختلفت باختلاف وضع المرأة المفعول. فالسيدة مثلاً تعرضت لمعاملتين مشينتين تماماً. الأولى حين استعملها عمها كمادة للمقايضة مع الحراز مقابل كل ما جاء في الوصية : «عثمان : ما كنطلبكشاي أ الحراز... كنشروط عليك، ما نزوجك بعويشة حتى تنازل لي على كل ما فلوصية» (فصل III). وهذه معاملة مبالغ فيها لأنها تريد التعبير عن طمع لا محدود، وجشع شديد لا يفرق بين حبيبين فقط، بل ويفرق بين سيدة ووضعيتها كما يعاملها معاملة الجواري.

والثانية، تتجلى في صراع الحراز ومحمود على تملكها والاستحواذ عليها. واللهفة، والغيرة، وكل ما يفرزه النسق البدوي من عواطف مريضة. والثاني، يحاول خطفها كالصقر (على طريقة الفرسان في القرون الغابرة) غير يائس في فشل محاولاته. أما

الخادمة، فإنها تعامل بسخرية وتهكم رغم قوة دفاعها وأهمية دورها. بل انها تتلقى كل التهكم الذي كان من المفروض أن تشاركها فيه سيدتها بصفتها امرأة. لكنها خادمة، وهذا يكفي لان تقي سيدتها كل الضرر. وينصب هذا التهكم بالخصوص على الجانب الجسدي لأنه - حسب الكاتب - هو أضعف نقطة تمس فيها المرأة. مع أننا منذ قليل رأينا الشخصيات الذكورية يتملقون المرأة بواسطة الجسد نفسه. إلى جانب هذا، تتلقى الخادمة أوامر كل من هو أعلى منها مرتبة كالحراز، وعويشة، وعبد الله صديق محمود، بل وحتى من زخروق ومحروق عندما يتكلمان باسم المجتمع الذي يمنع على المرأة الخروج من البيت. أما حينما يتكلمان بصوتيهما، (صوت الخادم الذكر) فانهما يكونان أضعف منها وأكثر قابلية لأوامرها. إن الشرايبي في عرضه لهذا التمزق الذي يعيشه الخادم في مسرحيته لا يخرج عما هو شائع في المسرح المغربي، ولعل هذا يستحق وقفة تأمل جدية، ومسؤولية قد تساعد على فهم بنية العقل المغربي من خلال ابداع أصحابه، ومن خلال معاملاتهم اليومية.

ج - البنية النفسية: ماذا بإمكان شخصية نمطية موضوعة في اطار تقليدي بسيط أن تعاني، خصوصا إذا كانت تمثل فتاة مراهقة معزولة عن الحياة؟ ان عويشة لا تعاني من المقايضة التي مارسها عمها عليها بقدر ما تعاني من فراق حبيبها الذي ألقته منذ الصغر فهي تزداد سقما وتحولا ليس من الغضب لكرامتها كانسانة تختزل في عملة تجارية، ولكن من الحزن والأسى لفراقها عن محبوبها الذي يفشل في اختطافها.



أما فاطمة، فأنها لا تعاني بالمرّة. انها لا تعاني من الحب الا بما يسمح لها وضع الخادمة، ولا تعاني من الفراق ما دام حبيبها عبد الله (الذي يقوم هنا بدور الخادم المولييري) قريبا منها يتلون واياها في تدبير الحيل، ولا تعاني من «أي ظلم» لأنها في النهاية تستطيع الدفاع عن نفسها وأخذ حقها بالكامل.

وخلاصة القول، ان الشرايبي قد أمدنا بصورتين متكاملتين للمرأة : المراهقة الجميلة التي تستحق الحب لجمالها، ولأصلها الكريم، وراثتها الكبير. والمرأة الشابة المليحة التي تستحق الحب، والمداعبة، بل والاعجاب أحيانا لذكائها وقوتها وشطارتها. غير أن المرأتين معا لا تخرجان من صنف الأنثى الخبيثة، ذات ألف وجه ولون، والتي لا تفي بوعده إلا للذي تريده هي. وهذا حسب ما يستشف من التمثيلية يبدو عيبا لأن الذي يجب أن يريد ويحقق إرادته هو الرجل لا المرأة.

### III – صورة المرأة في الخطاب الرومانسي.

تمثيلية « ربة شاعر »<sup>(15)</sup> لعلال الهاشمي الخياري :

#### (1) قصة التمثيلية :

إنه من المرجح جدا أن هذه التمثيلية التي ألفت سنة 1952 سابقة لتمثيلية « حسناء الأندلس » التي ألفها ابراهيم الوزاني، لأن هذا كان قد بدأ بالاعتباس، ولم يتعاط التأليف الا بعد التحاقه بالاذاعة (1959) مخرجا ومنتجا. ودليلنا في ذلك إشارات الاخراج التي تدل على أن التمثيلية وضعت أساسا للتمثيل الازاعي، إذ نجد الموسيقى

الانتقالية والأصوات تعوض حركات التغيير التي تساعد المستمع على الانتقال من مشهد إلى آخر ومن جو إلى جو آخر (١٦).

وقد يلاحظ المطلع في التمثيليتين وجود اختلاف بينهما سواء في عدد الشخصيات (١٤ عند الوزاني و١٩ عند الخياري)، أو في نوعها (فعائشة المغربية تختلف تماما في تكوينها ونوعها وأهدافها عن نائلة الدمشقية)، أو في نهاية التمثيلية، بحيث تقف تمثيلية الخياري عند نبأ وفاة العميد، وتعويض ابنه له خلال هروب ابن زيدون من السجن، بينما تتجاوز تمثيلية الوزاني ذلك إلى لقاء جديد بين ابن زيدون وولادة التي تفضل أن تتخلى عن حبها من أجل إنقاذ قرطبة مادام «القلب الواحد لا يستطيع تحمل حبين : ولادة وقرطبة» (١٧) غير أن هذه الاختلافات وأخرى ناتجة عنها لم تغير من جوهر الرسالة.

ولما سألنا الدكتور الخياري عن سبب اختياره لموضوع حياة ابن زيدون كمادة لتمثيليته أجاب : « لا تنسي أن سنة ١٩٥٢ كانت سابقة لفترة الاستقلال، وأننا كمغاربة كنا نعاني كثيرا من الضغط الاستعماري. وفي تلك الفترة كانت فورة الشباب تجعلنا نميل أكثر إلى المطالبة بالحلول السريعة من أجل تخليص المجتمع المغربي وقد طال به الانتظار. فكان لابد من إيجاد قالب عربي يتسع لوضعية مجتمعنا آنذاك. فلم نجد خيرا من قصة ابن زيدون يوم كانت الأندلس تعاني من الزلازل السياسية وكان المغاربة يمهدون لقدم ابن تاشفين. لذلك بالضبط اخترت شخصية عائشة وعبد الله المغربيين لتمثيل الوفد المغربي الذي مهد للحكم

المرابطي في الأندلس. فشخصية عائشة خيالية، لا وجود لها في التاريخ بالمفهوم الذي وجدت به ولادة مثلاً والجارية الاسبانية أو سارة أم الشاعر ابن زيدون. فأنا اخترت قصة ابن زيدون من الماضي لأسقطها على الحاضر لعل القارئ والمشاهد يتعظ بها ويحاول صدع الشرخ الذي أصبح المغرب متعرضاً له بسبب الاستعمار. هذا واني اخترت قصة ابن زيدون أيضاً لأنه شاعر. ولقد كتبت المسرحية شعراً - وهي أول مسرحية شعرية في المغرب - حتى لا يتنافر شعر ابن زيدون مع باقي الحوار، وحتى يظل الجو شاعرياً جميلاً ومؤثراً» (18).

لكن هذا الكلام يبدو مردوداً عليه في معظمه إذا أخذنا بعين الاعتبار ما جاء في رسالة حسن الطريبق حول «الشعر المسرحي في المغرب حدوده وآفاقه» (19) حيث قال: «ان علال الخياري عندما يثير قضية ابن زيدون بهذه الصورة، إنما يثير قضية أدبية تاريخية لا تحمل خلفيات معينة إلا في نطاق خافت محدود الومض والإيحاء. فهو ذكر الشعب، والإسلام، والإتحاد، والعروبة في كثير من الأبيات، ولكن ذلك لم يكن فيه تدفق فني محبوبك التواصل والافصاح (...) ان قيد الترابط منفلت من يد الشاعر الشيء الذي لا يعطي لمثل هذه المعاني دلالات خاصة في إطار وحدة الموضوع حتى كأنها مجرد خواطر ومشاعر صادقة تتدفق في بساطة تعبير يعتوره النقص في الأداء الدرامي» (20).

ومهما يكن، فإن التمثيلية لقيت تجاوباً هاماً من قبل الجمهور سواء كعرض أو كنص ظل مخطوطاً حتى سنة 1985 ثم نشره صاحبه في طبعة أنيقة.

## (2) ملخص التمثيلية :

يشعر ابن زيدون بالضيق في بيته المتواضع رغم مواساة أمه سارة له، ولكن، سرعان ما تزوره مجموعة من الأصدقاء (ابن عبدوس، وابن المكري، وابن الحناط، وأبو بكر القاضي). وبينما هم يتحدثون في الشعر، والحب، والسياسة، وجمال كل من ماري عشيقة ابن زيدون، وولادة أديبة العصر، تدخل عائشة لتبشر ابن زيدون بتعيين الأمير له وزيرا. وحينما تأتي ماري وتبدي حبها لابن زيدون تهينها الجماعة، فتغضب، وتخرج رغم دفاع ابن زيدون عنها. مما يجعل عائشة تقضي بالقطيعة بين ماري وابن زيدون بدعوى أنها جاسوسة الإسبان على العرب. وبعد حديث طويل بين ولادة وعائشة حول علاقتها بابن عبدوس، وطمعها في ولاية قرطبة، وتحسن وضع ابن زيدون، تبدي ولادة ما كانت تخفيه من حبها للأخير. عندئذ، تأتي ماري فتظهر لها عائشة عداوتها رغم دفاع ولادة عنها، وتفلق في إثارة غيرتها بالتلميح إلى علاقة ممكنة بين ابن زيدون وولادة، الأمر الذي أفقد ماري زمام غيرتها حتى أثارت غضب ولادة التي عجلت بدعوة ابن زيدون إلى ناديها حيث نوقش الشعر والسياسة ووحدة الأندلس، كما تقرررت علاقة ولادة بابن زيدون. ونظرا لإنشغال هذا بمصير البلاد وبتحقيق طموحاته السياسية، ظل حريصا على إعجاب العميد رغم تحامل ابن ذكوان عليه، وكيد ابن عبدوس له إلى أن حظي بثقته ليصبح سفيراً له في بلاد العدو، وأستاذا لابنه أبي الوليد، ولقد عز على ماري وابن المكري وابن عبدوس نعمة الحب والجاه التي أسبغت على ابن زيدون، فكادوا له حتى زج به في السجن رغم توسل أبي الوليد. ولكن عائشة وولادة استطاعتا تدبير حيلة لتهريبه بمساعدة أبي الوليد قبل أن ينصب هذا أميرا عوض أبيه في ذلك اليوم بالذات.



### (3) البنيات المكونة للشخصيات النسوية في التمثيلية :

أ - البنية الخارجية : في البداية، يجب أن نلاحظ انعدام أية إشارة مميزة لثلاث شخصيات : سارة، ومنية، وصوفيا. كل ما نعرف عن هذه الشخصيات هو أصلهن ووضعهن. فسارة، أم الشاعر ابن زيدون، من أصل عربي أرستقراطي. ومنية من أصل مولد، لذا، فهي تحسن العربية ورواية الشعر ككل قينات ذلك العصر. وصوفيا بنت أمير السويد وسفيرته لدى العميد في بعثة ثقافية.

أما عائشة، فإن التمثيلية لم تزد عن وصفها ب «نجمة أفق»، غير أنها أفسح لها المجال لكي ترسم شخصيتها بنفسها من خلال أفعالها التي تدل على حنكتها وقوة شخصيتها وسعة نفوذها : الأمر الذي يوحي بأنها امرأة أرستقراطية في سن الكهولة ذات هيئة صارمة.

ورغم طول الحديث عن ولادة في مجالس مختلفة، فإننا لا نعرف عنها شيئا كثيرا. إنها امرأة جميلة ساحرة بعيونها، وصوتها ونبرة كلامها، ورقة شعرها. تؤثر في محدثها بحلاوة حديثها وجمال طبعها. وهي امرأة طموح تحلم بولاية قرطبة لاسترجاع عز أبيها المستكفي. لذلك، فهي تبحث عن الوسيلة الأنجع للوصول إلى غايتها بحث لا يهم في ذلك فتور عاطفة (خلال ارتباطها بالوزير ابن عبدوس)، ولا طول عذاب (خلال علاقتها بابن زيدون). ولعل هذا ما يجعلها منشغلة بجمالها وزينتها لأنها من أهم الوسائل التي تساعد على تحقيق أمنيتها.

أما ماري، فإنها تظل الشخصية الوحيدة التي عرفت تلوينات هامة. فهي مرة «فاتنة النظرة»، و«قمر العاشقين» : جميلة إلى حد

وقوع ابن زيدون وابن المكري في حبها. ومرة أخرى تبدو امرأة مستعدة للغدر، واللفجور، والخيانة ككل بنات الغرب بسبب «دم القوط في عرقها»، ثم انها بالاضافة إلى كل هذا امرأة غريبة عن الحضارة العربية لا تفقه لغتها. وهي تشبه ولادة في استغلال جمالها لبلوغ مآربها. الا أن استغلال ولادة لجمالها كان مستحبا لانه كان من أجل هدف «سام»، بينما استغلته ماري من أجل الانتقام، وهو هدف منحط.

ب - البنية الفعلية : يتم حضور الشخصيات النسوية في كل فصول التمثيلية حسب الموضوع الذي حدد للفصل. وهكذا نجد شخصيات يحضرن في 5 مشاهد مثل ماري وعائشة اللتين حضرتا في الفصول الثلاثة الأولى. وهناك شخصيات يحضرن في 3 مشاهد مثل منية وولادة. الأولى وزعت مشاهدتها على فصلين II و III والثانية على فصلين أيضا II و IV. في حين لا تظهر سارة إلا في مشهدين من الفصل I وصوفيا في مشهد واحد من الفصل III وحتى نقف على نوع الأفعال التي قامت بها خلال حضورها اضطررنا إلى تقسيم مواضيع التمثيلية إلى : مقصودة مباشرة ومقصودة ضمنية، كما ترد في الفصول الأربعة، فوجدنا ما يلي :

- (1) مواضيع مقصودة لذاتها في القول وفي الفعل : الشعر، والسياسة، وشخصية ابن زيدون.
- (2) مواضيع مقصودة في الفعل وان كانت ثانوية في الكلام : المكر، والخداع، والغدر.
- (3) مواضيع مقصودة في القول وثانوية في الفعل : الجمال، حرية المرأة.

يبدو من التمثيلية أن الحدث يتمحور من حيث الموضوع حول علاقة ولادة وابن زيدون، ومع ذلك، نجد أن المحرك الرئيسي للأحداث في صف النساء يتمثل في شخصيتين : عائشة وماري. في حين، تبقى الشخصيات الأخرى رهينة الموضوع المهيمن على الفصل. لكن، عندما ننظر جيدا في ارسال وتلقي كل الشخصيات النسوية نلاحظ انهن يتوزعن على ثلاث فئات :

\* فئة الشخصيات الثانوية جدا التي تكاد لسطحياتها تدخل في باب النماذج الفاعلية. وقد كلفت إما بخدمة (منية وصوفيا) أو بمواساة البطل (سارة).

\* وفئة الشخصيات/المحور، التي يدور حولها الحدث، وتتمثل في ولادة وحدها التي كانت تقوم بأفعال مباشرة : كنظم الشعر، وتنظيم الندوات الشعرية والتباهي بجمالها وذكائها، والدفاع عن صداقتها، والجهر بحبها والتضحية من أجله. كما كانت تقوم بأفعال غير مباشرة مثل الغرور، والطموح السياسي في عودة عزها وحكمها على قرطبة. وفي المقابل، تتلقى الاعجاب من الذكور والإناث، كما تتلقى الحب والإطراء والغيرة أيضا لأنها السبب (من جهة ماري)، أو لأنها الموضوع (من جهة ابن عبدوس).

\* وفئة الشخصيات/المحرك التي كانت توجه دفة الحدث حسب رغباتها وأهدافها. وتشمل ماري وعائشة. فكلاهما كانت تدافع عن هدف في نفسها. لكن ماري لم تكن ذات هدف ملح في البداية، كل غايتها كانت تنحصر في الاحتفاظ بحب ابن زيدون إلى أن جاءت عائشة بأمر القطيعة بينهما. إذ ذاك، أصبح هم ماري هو التفريق بين ولادة وابن زيدون لعل هذا يعود إليها. ولقد اتضح ذلك في كل تحركاتها بما فيها تماطلها في قبول ابن المكري زوجها لها. لقد كانت

دائماً تعيش على أمل عودة ابن زيدون. أما عائشة، فأنها أتت إلى الأندلس محملة برسالة كان لابد من تبليغها : وهي توحيد كلمة العرب لانقاذ البلاد من العنصر الغربي الطامع فيها. وهكذا فرقّت عائشة بين ماري الأجنبية (رمز الاستعمار) وبين ابن زيدون (رمز الوطن العربي) لتربط علاقة حب بين هذا وولادة فتصبح العلاقة في حد ذاتها رمزا للوحدة العربية. ويظهر من خلال حركات هذه الشخصية أنها كانت أقوى من أن يخيب لها مسعى، حتى ليظن أنها كانت السبب في اختيار العميد لابن زيدون. أو لم تكن أعلم بالخبر من ابن عبدوس الذي كان وزيرا؟!.

ولقد أثارت أفعال المرأتين ردود فعل مختلفة تماما. فبقدر ما كانت عائشة تعامل بالاحترام وبالتكريم، بل وبالأعجاب والاحلال (ربما لكونها خيالية) كانت ماري، على العكس من ذلك (وربما لأنها مستقاة من الواقع) هدفا للاهانات، والقذائف، والسخرية، والشهوة، والحب أيضا. إنها حزمة من العواطف يصبها الكاتب في قوالب مختلفة، وأحيانا يجعلها كلها في قالب شخصية واحدة مما يضع الكاتب في موقف تناقض والتمثيلية في موقف ضعيف. وفي هذا الصدد يقول حسن الطريبق «إن ما يدخل ضمن المعقول المقبول في التعامل والعلاقة، يتضاءل أحيانا لدى الشاعر في بعض الحوارات، ولعل ذلك واضح فيما حصل بين «ماري» وبين ابن المكري (...) فكيف يعقل أن نقبل احتقار ابن المكري لماري واتهامه لها بالفسق والمجون، وأمام الملأ، وفي ذات الوقت، تكون ذات حظوة تحضر الاجتماعات والمسامرات والمساجلات والمؤامرات التي تحاك ضد هذا وذاك؟ ثم إن المستوى الذي كان عليه ابن المكري كقاض



للمسلمين وكعالم دين، ما كان ليدفعه إلى الوقوع في الشطط المبالغ فيه مع من؟ مع ماري الجميلة والجذابة» (21).

ج - البنية النفسية : لن نتحدث عن فئة الشخصيات الثانوية لأنها، كما ذكرنا من قبل، سطحية لا تتكون إلا من بعد واحد على أبعد تقدير. وعليه، تبقى مجموعة الشخصيات الثلاث الأخرى التي حاول الكاتب تقسيمها إلى فئتين : محورية (ولادة) ومحركة (ماري وعائشة). لكن تحليل البنيتين الخارجية الفعلية بين خطأ هذا التقسيم (وان فرض عدد المشاهد العكس)، لأنه انطلق من معيار سياسي جعل النساء الثلاث يكون ثلاثيا سياسيا تشمل فيه ولادة الهدف وماري وعائشة الخصمين المتصارعتين حولها : من يربح ولادة؟ لذلك رأينا الشخصيات الثلاث تتحولن إلى رموز : ولادة ترمز إلى البلاد العربية الجميلة التي يشتهيها كل انسان، وماري ترمز إلى العنصر العربي الدخيل الذي يعبث بالبلاد العربية و عائشة ترمز إلى الشعب المغربي الذي يسعى إلى تحرير البلاد العربية من الاستعمار. وبناء على هذا، سوف لن نحتاج إلى تحليل البنية النفسية لهذا الثلاثي ما دامت الرموز، كما يؤكد بريخت وأوجيستو بوال BRECHT, AUGUSTO BOAL، لا تعاني لأنها لا تملك أبعادا متناقضة تخول لها ذلك (22).

لكن، إذا عدنا إلى البنيتين الخارجية والفعلية نلاحظ أن هناك فئتين بالفعل ولكنها مقسمتين حسب معيار مرفلوجي، أي انطلاقا من الوجود وليس من المراد. والموجود يدل على أن الفئة الأولى تتكون من شخصية خيالية : عائشة المغربية التي حملها الكاتب كل

رغباته وإرادته، وجعلها ممثله الرسمية بين الشخصيات الأخرى  
 تناقش السياسة بصوته، وتحسم في أمور ابن زيدون حسب  
 رغبته. ولقد رأينا كيف كانت هذه الشخصية صارمة قوية في  
 قراراتها لا ترد كلمتها ولو أدى ذلك بشخصية ما إلى التناقض  
 مثلما حصل لابن زيدون الذي برهن على سداد رأيه في الأمور  
 السياسية، وطول باعه في العلم والأستاذية ومع ذلك فقد تصرف  
 كرجل عديم الشخصية أمام أمر عائشة بكتابة رسالة القطيعة إلى  
 ماري التي كان يدافع عنها منذ هنيهة. بل، وزاد أن قال فيها ما لم  
 يقله فيها من أهانوها أمامه. وهكذا تبدو شخصية عائشة صارمة  
 حديدية كتلك التي توجد في أفلام الخيال العلمي حيث تكون  
 شخصية ما قوية أما لأنها مصنوعة من آلات بطريقة تجعلها تشبه  
 الإنسان في أفعاله دون أن تشبهه في أبعاده الداخلية، أو لأنها من  
 كوكب آخر غير الأرض، وبذلك تكون أقوى من الإنسان، وأكثر  
 تحكما فيه لخلوها من فضائله ونقائصه. فهي لا تملك سوى شيئين :  
 هدف تسعى إليه، وذكاء تسخره في ذلك السعي.

أما الفئة الثانية، فتتكون من ماري وولادة اللتين كانتا تمثلان  
 وجهين مختلفين لعملة واحدة. فمهما قيل عن تجسس ماري ضد  
 العرب (وهذا يعني أنها تحمل هما سياسيا معينا)، ورغم تصريح  
 ولادة بطموحها في ولاية قرطبة، فإنهما معا حصرتا همهما في  
 شخصية ابن زيدون : ولادة أحبته في صمت يوم كان هو عنها لاه  
 بماري، وربما لذلك أطالت فترة خطبتها من ابن عبدوس، وماري  
 أحبته جهرا، رادة بذلك الأيادي المعروضة عليها (ابن المكري). ولولا  
 غيرة ماري من ولادة ماكانت هذه تعجل بلقاء ابن زيدون وهي

الواثقة من جمالها وفتنتها. هل هو التحدي؟ هل هو العناد؟ أم تراه غرور ولادة الذي يأبى الهزيمة؟ بل أنه الطمع، على الأرجح، مادام ابن زيدون سيصبح وزيرا، وأبواب الخير تفتح أمامه، ليس بعيدا أن يصبح واليا على قرطبة، وتصبح هي بموجب علاقتها معه حاكمة أيضا على المدينة. لكن هذا الحافز يظل فاترا غامضا بالمقارنة إلى حافز تحقيق الذات بواسطة الجسد الذي ستحدد قيمته بمقدار اقبال ابن زيدون عليه. هذا الرجل الذي يمثل الشاعر الفذ، والوزير الداهية، والعاشق الرقيق، والأستاذ المقتدر، والابن البار، والصديق الوفي، والعربي الفحل الغيور على عروبتة وبلده. ورجل كهذا يصبح وحده المعيار الذي تقوم به الأخلاق والحكمة والجمال والفنون. لهذا، كان الصراع قائما ضمنا بين ماري وولادة. وإن كان في الظاهر قائما بين ماري وعائشة.

انطلاقا من هذا المعيار إذن تصبح «ولادة» الجانب المقبول، وماري الجانب المرفوض من المرأة التي تريد اثبات وجودها في إطار علاقتها الجسدية بالرجل<sup>(23)</sup> ورغم انهما معا قادرتين على تبادل الحب والوفاء له، والتضحية من أجله، ترفض ماري لأن «دم القوط من عروقها». هذا الدم الذي يجعلها «تغني وترقص للمعجبين وابليس في شخصها قد تمثل»<sup>(24)</sup> في حين، لم تقذف ولادة في عرضها رغم تخليها عن ابن عبدوس، بدون أي سبب معقول، جريا وراء ابن زيدون. ولكأن العرق العربي كاف لمحو خيانتها لابن عبدوس. أم تراه اعجاب «مفرط» بابن زيدون<sup>(25)</sup> جعل شاعرنا الخيار لا يتنبه لمثل هذه المزالق؟ قد يكون هذا، سائدا في بعض المناطق، حيث تسود فكرة «العرق دساس» التي

عبرت عنها معظم التمثيليات اليونانية وكثير من الأعمال الغربية حتى عهد الطبيعيين<sup>(26)</sup> وهي فكرة تزعم أن الشخصية ترث خصال أجدادها الحميدة والقبيحة، كما ترث أفعالهم وسماتهم الجسدية. ونظرا لاجاب كاتبنا بالأصل العربي وحقده على العنصر الغربي لما يحملة من اختلافات وتقاليد تنافي التقاليد العربية، فانه كان لابد أن يجعل ماري عرضة للقذف رغم وفائها، وأن ينزه ولادة من كل عيب وهي التي تجهر بمجونها. إنه المبدأ القبلي القديم: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما»!

### صورة المرأة في المسرح التقريري - استنتاجات :

من المؤكد أن الذي كان يقصد في تمثيلية «الحراز» وتمثيلية «ربة شاعر» هو بلورة قيمة الرجل في مواضيع حساسة كالفحولة التي ترجمت ابداعا في الحيلة والتعبير عن العواطف عند محمود، والسياسة التي ترجمت ابداعا في الشعر عند ابن زيدون. وحتى يتميز البطل عن الشخصيات الأخرى، كان لابد من احاطته بخضم أضعف منه في ميدانه. فكان ابن عبدوس لا يرقى إلى مكانة ابن زيدون في الرقة والابداع الشعري، ولذلك، كانت المطارحات الشعرية تنتهي دائما لصالح ابن زيدون. أما الحراز الذي لا نعرف عن شكله أو اسمه شيئا، نراه يكتفي بموقف دفاعي ضد حيل محمود وجماعته، ولا يبتكر أية حيلة مضادة. وفي خضم هذا الصراع كانت المرأة تمر عبر قناة الكلام من أقصى مراتب الصورة إلى أدناها. وأول ما يلاحظ على هاتين التمثيليتين :



١ - شخصية الخادمة التي لن تقدم في إطار صورتها الواقعية، سواء في « الحراز »، حيث تجاوزت واقع الخادمة المغربية في الفعل، وصارت تشبه بحركاتها الدرامية الخادمة الفرنسية كما صورتها تمثيلات القرن السابع عشر، أو في « ربة شاعر »، حيث ظلت أدنى من واقع الجارية الأندلسية التي كان لها شأن كبير في عهد ابن زيدون وولادة، وأرقى من الخادمة المغربية التي لا تحسن غير الطبخ والغسل، أما أن تغني وتضرب على العود(!).

2 - وهناك نماذج فاعلية استعملت كإطار خاص بالمرأة/التحفة مثل القصر في التمثيلية مع ما يتبعه من أبهة في الملابس والزينة التي تعتبر أيضا من النماذج الفاعلية، مادامت تحدد نوع الأيقونة التي ستمثل المرأة المعروضة. وقد تعرض الكاتبان لهذه النقطة بصريح العبارة. غير أن الشرايبي فضل الإيجاز، فأشار إلى ذلك على لسان فاطمة.

- فاطمة : « بغات توريك التحليقة اللي عملت ليها.. وتشوف واش جات معها ولا تغيروها » (فصل ٧). أما الخياري فأنه أفرد خمسة حوارات بين ولادة وعائشة حول زينة ولادة وجمال ملابسها وفتنتها (اللوحة ١ من الفصل II).

3 - بالإضافة إلى هذا، نجد البطلتين معا - عويشة وولادة - تسبحان في جو من الغيرة التي تعني التملك، إذ كان صراع محمود والحراز حول عويشة، وصراع ابن زيدون وابن عبدوس حول ولادة، عبارة عن تنازع للملكية خاصة.

لن ننخدع بمسافة الكلام التي اعطيت لها في التمثيلية («الحراز» = 121 حوارا للنساء أي 11,8٪ من مجموع الحوارات، و«ربة شاعر» = 195 حوارا للنساء أي 19,9٪ من مجموع الحوارات). فرغم هذه المسافة التي استلزمت حضورا وحركات درامية معينة، لم تزد المرأة عن التفوه بما يلائم الجو السائد.

ففي «الحراز» نجد الحب لا يتحقق الا بين مراهقين (عويشة ومحمود) تطبقا للفكرة السائدة التي تصنف الحب في باب الحماقات، ولذلك، فهو يمنع على «العاقل» وان جنح اليه. وهكذا كانت كل الحركات الدرامية لدى فاطمة وعويشة تصب في هذا الاتجاه مدعمة هذا الفكر بالاسطورة («لرياح»، والجن، والصرع، والسحر، والجذبة)، وبالتنفيذ البدائي (الشيخات والمسايفة)، وبالاغراء الجنسي الذي يتخذ مطية إلى الأهداف الأساسية.

أما «ربة شاعر»، لم تكتف بتقديم نساء من وسط أرستقراطي حالم يعيش البذخ السياسي والترف الفكري - وهو جو بعيد عن واقع الأوساط المغربية بما فيها الأرستقراطي أيضا - ولكنها زادت على ذلك أن قدمت شخصية لا شيء فيها مؤنث غير الاسم (عائشة المغربية). أما حركاتها الدرامية، ومنطقها، وتصورها لعلاقة الناس، فإنها لا تبعدنا عن صورة المرأة فقط، بل وعن صورة الانسان العادي عموما. انها مجرد قذيفة معبأة بإرادة المؤلف ومبادئه فجرت في علاقتي ولادة بابن عبدوس، وماري بابن زيدون لتكوين علاقة جديدة بين ولادة وابن زيدون. لهذا، كانت هذه الشخصية تمثل البوق الأول لأفكار الكاتب تليها ولادة ثم ماري.

وهذا ما يفسر تناقض ماري في معاملة ابن زيدون بعد أن أرسل إليها بالقطيعة. فعوض أن تظل وفية لشخصها وطبعها العنيد وتذهب إلى حبيبها لتسأله عن السبب مادامت تحبه دون أن ترى منه في حضورها ما يقلقها، وإن كانت في الحقيقة لم ترتح كثيرا لدفاعه الفاتر عنها. فإنها انصاعت بكل بساطة لقرار ابن زيدون، كما صارت تكيد له بواسطة ابن عبدوس وابن المكري. والشيء نفسه يلاحظ على ولادة التي ما كادت تظفر بحب ابن زيدون حتى نسيت طموحها السياسي، لأن طموح المرأة داخل الإطار الاقطاعي ينحصر فعلا في أن تظفر برجل يحبها و«يحميها» بزواجه منها. وهنا بالضبط يسقط الخيار في تناقض لا تفسره إلا رومانسيته بصفته شاعرا. ويتجلى هذا التناقض في كونه لم يلمح، ولو بحوار واحد، إلى طمع ماري أو ولادة في الزواج من ابن زيدون. في حين أكد غير ما مرة عزم ابن عبدوس على الزواج من ولادة وابن المكري من ماري، وهذا تناقض يثير أكثر من تساؤل، إذ كيف يعقل أن ينحصر هم المرأة في الزواج، وفي الوقت نفسه تفضل التفاني في حب غير مضمون على زواج مضمون؟ إن جمهور الخمسينات الذي وجه إليه هذا الخطاب، وهو لما يتخلص بعد من وطأة نمط من الفكر، ما كان ليستسيغ هذه الصورة لولا أنها توافق بنيته العقلية.

والواقع أن هذه الصورة لا توافقه فقط، بل وتتملقه أيضا. لأنها تمثل نموذج المرأة المتفانية من أجل الرجل البطل. إن موقف ماري وولادة لا تقفهما في المغرب إلا عاهر عشقت رجلا حتى الجنون وانكار الذات، فلا تجرؤ على التفكير في الزواج منه حفاظا على

سمعته ومركزه، خاصة في تلك الفترة التي كانت المرأة فيها لا تعد إلا لوظيفة الزواج والإنجاب. وحتى في فترتنا الحالية قد توجد من بين المثقفات من تفضل التسري le concubinage على الزواج لما يتيح لها من حياة حرة مليئة بالحب الرومانسي، المحفوف بالمغامرات. ولكنها ما ان تقتنع بالرجل الذي بين يديها حتى تشرع في التفكير في الارتباط به داخل اطار يضمن لها الاستقرار والطمأنينة.

وغالبا ما تختار مؤسسة الزواج كحل اضطراري يفرضه عليها المجتمع المغربي الاسلامي سواء في الشارع، أو في الفنادق، أو في الحياة الداخلية الحميمة. فالغرض المقصود من عرض صورة ولادة ومباري بهذا الشكل، هو تصوير تفاني المرأة في حب الرجل إلى حد نكران الذات، وقبول كل المغامرات من أجله. أما فكرة التفاني هذه، فقد ألح عليها الكثير من أصحاب الخطاب المسرحي الرومانسي، ونذكر منهم على سبيل المثال فقط : ابراهيم الوزاني في تمثيلية «حسنا الأندلس»، وعبد الله شقرون في تمثيلية «طوق الحمامة» ومحمد الدحروش في تمثيلية «الوارثون والدار». ان إلحاح هؤلاء وأمثالهم على فكرة تفاني المرأة في خدمة الرجل دليل على رغبة أكيدة، واعية أو غير واعية، في تعميق بعض ملامح الصورة المجردة كملامح الصبر، والتضحية، والخصوع لارادة الرجل من أجل اسعاده، وانقاذه. ومعنى هذا أن الخطاب الرومانسي ليس فقط تقريرا وتكريسا للصورة المجردة، ولكنه أيضا تشويه وتوريم لما فيه من عيوب سابقة.

## الهوامش :

- (\*\*) التشديد من عندنا.
- (1) لسان العرب لابن منظور مادة قرر.
- (2) المرجع نفسه.
- (3) المرجع نفسه.
- (4) المرجع نفسه.
- (5) ألفها محمد أحمد البصري في أواخر الخمسينات وتحكي قصة رجل زوجه عمه بأربع نساء مع أجل أن يلدن له ولدا الذي هو شرط في وصية العم لابن أخيه. وقد اعتمد فيها الكاتب الافراط في مشاهد الضحك. بحيث كانت لا تخدم إلا هذه الغاية.
- (6) هناك 32 قصيدة في الموضوع. انظر كتاب «معلمة الملحون» لمحمد الفاسي.
- (7) حوار معه بالدار البيضاء في دجنبر 1984.
- (8) حوار معه بالدار البيضاء في دجنبر 1984.
- (9) حوار معه بالدار البيضاء في دجنبر 1984.
- (10) هذه العبارة تنطلق من الأسطورة التي تقول : تكون المرأة من أقصر ضلع في جسد آدم. وهي أسطورة شائعة جدا في الأوساط المغربية على اختلافها. أما اقتران المرأة بالحية والحرباء فيمكن الرجوع إلى موسوعة الفلكلور والأساطير العربية. لشوقي عبد الحكيم، دار العودة بيروت 1982 - ص 185-191.
- (11) الحراز - الفصل 1.
- (12) الحراز - الفصل 11.
- (13) وهي الأعضاء التي يركز عليها عند تزيين العروس وتقيينها قبل جعلها في «الميدة» للطواف بها جالسة لا يظهر منها إلا وجهها وشعرها وصدرها وقد غيبت باقي الأعضاء في ملابس وحلي وأثواب فضفاضة جدا.
- (14) أنظر تفصيل ذلك في بحث قيم جدا لمارينا ياجيللو. Les Mots et les Femmes. Marina Yaguello, Paris - Payot: 1978.
- (15) فضلنا هذه التمثيلية على غيرها من التمثيليات ذات الخطاب التصحيحي القومي لكونها تحتوي على شروط متعددة تفرقت في غيرها كتنوع الشخصيات النسوية ووفرة عددها، والدعوة إلى تحرير المرأة وإلى الثورة على المستعمر، واستعمال الأسلوب الرومانسي سواء في التعامل مع الشخصيات أو في أفعالها. هذا علاوة على استعمالها للفضول والمشاهد واللوحات وهو خليط من



- تقنيات كلاسيكية وحديثة توجد متفرقة، أو مجتمعة في مثيلاتها من التمثيليات التي كانت وما تزال تعد طليعية.
- (16) أنظر ثبت التمثيليات في مجلة «الفنون» عدد خاص رقم 3-4، سنة 1976.
- (17) مجلة الفنون عدد خاص 3-4 أكتوبر 1976، ص 169.
- (18) حوار معه بمكناس يوم 1986/12/6.
- (19) «الشعر المسرحي في المغرب حدوده وأفاقه» (رسالة جامعية أعدت تحت إشراف الدكتور عباس الجراري وذلك لنيل شهادة الدراسات الجامعية العليا بكلية الآداب فاس) سنة 1979-1980.
- (20) المصدر نفسه، ص 143-144.
- (21) الطريبق حسن «الشعر المسرحي في المغرب، حدوده، وأفاقه» رسالة السلك الثالث كلية الآداب فاس، سنة 1979-1980، ص 156-157.
- (22) Augusto Boal : Le théâtre de l'Opprimé. ed Maspero - Paris .
- (23) يقول الطريبق حسن في هذا الصدد : «لقد أورد الخياري في رسمه لشخصيات مسرحيته أربع شريجات : الشريحة الأولى قيادية (...) أما الشريحة الثانية، فإنها شريحة من نساء الأندلس والمغرب وتتمثل في ولادة وماري وعائشة. ولقد ركز الشاعر على إظهار اقتصار اهتمامها بعواطفها المنغلقة وتكيف مواقفها بما تمليه هذه العواطف، على العادة الغالبة عند النساء في كل الأزمان، باعتبار ما للمرأة من اهتمام متصل بعالم نفسها» - الشعر المسرحي في المغرب، حدوده وأفاقه - كلية الآداب والعلوم الانسانية فاس 1980/ 79، ص 153-154.
- (24) ربة شاعر، الفصل 1، اللوحة 2، ص 40 مطبعة النجاح الجديدة 1985.
- (25) انظر رسالة حسن الطريبق المذكورة أعلاه، ص 143.
- (26) نجد هذه الفكرة واردة بكثرة ووضوح في تمثيلية أوديب لصفوكل، وفي درا لراسين. وقد تبناها طبيعيون في القرن التاسع عشر وعلى رأسهم اميل زولا الذي أبرزها في روايته «الصراعة» L'Assommoir عن طريق شخصيته جرفيز : Gervaise.

## تشكلات الخطاب التخيلي في كتابة الأدب النسائي : الإشكال، التصور، الوظائف

(تحليل نماذج وقراءة لنصوص مغربية)

بشير القمري(\*)

مداخل عامة : في التصور والمفاهيم والمتمن.

1.0. ماذا نقصد بالتشكلات ؟

إذا انطلقنا عموماً من تصور لغوي - معجمي يبحث في معنى مفهوم « التشكل » (التشكلات)، فإننا قد نقربه من عدة حقول معرفية ومفاهيم إجرائية رائجة في مجال الدراسات الانسانية عامة، وفي مجال الدراسات الخاصة بالأدب والأدبية. وفي مقدمة ذلك مفهوم « التكون » (La genèse) الذي يعني تارة - من منظور مقولة التطور - النشأة والأصول والامتدادات؛ ويعني في حالة أخرى ما نسميه عادة المكونات الأساسية، أو البنيات الرمزية في إشتغال الظاهرة الأدبية وغيرها. وتلتقي هذه المعاني في فرضية المراهنة على دراسة « الشكل » فيراد بالتشكل حينئذ « ماكان من الهيئات [...] كالاستدارة والاستقامة والاعوجاج »، كما يراد به « التنظيم » و« الترتيب » و« البناء » و« المعمارية ».

أما إذا حصرنا التشكل في إطار مقارنة تهم الخطاب الأدبي وحده، فإن التشكل يعني طبيعة تمظهر المحكي (السرد من خلال

(\*) أستاذ بكلية الآداب بالقنيطرة

ثنائية القصة والخطاب) كملفوظ لغوي - أسلوبى ذي هيكلية خاصة. ومن ثم يرتبط التشكل بتصورات أخرى لا تقف عند حدود الاشتغال، وإنما تراهن على مظاهر التحفيز التيمى (الموضوعاتى) والايديولوجى والرؤيوى بكل ما يتضمنه هذا التحفيز من أطر مرجعية تحيل إلى خلفية الخطاب. ويترتب عن هذا الانخراط فى شبكة مظاهر التحفيز اعتبار المظهر السردى وسيطا فى نقل (حمل) بنيات أخرى، بعضها أصلى يعود إلى الجذور، وبعضها فرعى (تابع) يرتبط فى بنياته الخفية (العميقة) بأطر جمالية (استطبيقية). وحينئذ لا يمكن رصد التشكل إلا فى إطار «ثوابت» و «متغيرات» و «بدائل» تحل محل النماذج الأصلية أو تنبتق فى إطار سيرورة مستقلة نسبيا عنها.

ويقتضى مثل هذا التصور كما يقول (غريماس) و(كرتيس). 1979، ص 59/ ص 60، تصور نحو سردي ذي اجراءات تربط اللغة بالتلفظ والملفوظ، واقتراح سيميائية تشخيصية متطورة عن السيمسائيات الشكلية والسردية؛ ثم الاسترشاد بسيميائية الخطاب. كما يقتضى الفصل - حسب (غريماس) و(كورتيس) دائما - بين نوعين من القضايا : قضايا البناء، وقضايا الاندماج داخل سياقات قولية أخرى. ثم الفصل فى النهاية بين التشكل الموضوعاتى والتشكل الرمزي.

## 2.0. ماذا نقصد بالخطاب التخيلي؟

لا نجد تصورا نظريا جاهزا لمفهوم «الخطاب التخيلي»، غير أننا إذا استلهمنا نموذج (تودوروف 1972)؛ سنكتشف أن المقصود بهذا

المفهوم هو تلك العلاقة التي يشيدها الخطاب مع المرجع، بحيث لا يحيل عليه مباشرة وإنما يتخذ لذلك نوعاً من «التخيل» Fiction وليس «مرجعاً فعلياً» («المعجم الموسوعي...»، ص 333).

ويستدعي هذا التصور التمييز بين «الحقيقة» و«الواقع»، كما يستدعي الحفر في ما قد نسميه عامة «المظهر التصويري» أو «التشخيص» الذي يعقد موثيق مرجعية متساوقة مع ما هو خارج أدبي دون أن يكون لحفور هذه المرجعية صورة فعلية. بعبارة أخرى: إن الخطاب التخيلي خطاب مواز للواقع المادي، لكن دون أن تبقى لهذا الواقع وظيفة توثيقية.

إذا تركنا هذه التحديدات جانباً إلى حين، وحاولنا تقريبها من خطاب تمثيلي نقصد من ورائه تقديم ملحوظات حول تشكلات الخطاب التخيلي انطلاقاً من نماذج محددة: ما هو الاشكال الذي يفرض نفسه عند ممارسة التحليل وفعل القراءة؟ وما هو التصور الشمولي الذي يمكن تبنيه؟ وما هي الوظائف التي يمكن استخلاصها؟.

### 3.0. اخترت لمحاولة الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها النصوص التالية :

- أ - نص «غدا تتبدل الأرض» للكاتبة المغربية (فاطمة الراوي). وهو نص سردي صدر سنة 1967 عن دار «امبريجيما» بالدار البيضاء.
- ب - نص «الصمت الناطق» للكاتبة المغربية (خناثة بنونة). وهو عبارة عن مجموعة قصصية تتكون من اثنتي عشرة قصة. وقد صدرت هذه المجموعة سنة 1987 عن دار «عيون المقالات» بالدار البيضاء.

ج - نص « كتابات خارج أسوار العالم »، ونص « أصوات حنجرة ميته »، وهما للشاعرة المغربية (مليكة العاصمي) : النص الأول ديوان شعر، يتكون من ثلاث وحدات مستقلة، تحتوي الوحدة الأولى على ست قصائد، وتحتوي الوحدة الثانية أربعة نصوص شعرية، وتحتوي الوحدة الثالثة نصين شعريين. وقد صدر هذا الديوان في طبعته الأولى عن « دار الشؤون الثقافية »، بغداد، سنة 1987. أما النص الثاني فهو بدوره ديوان شعر، ويحتوي وحدتين : الأولى تتضمن سبعة نصوص شعرية، والثانية تتضمن ستة نصوص شعرية. وقد صدر هذا النص / الديوان عن دار « الرسالة » (كتاب العلم)، سنة 1988 بالرباط.

## 1 - في التحليل و«قراءة» المتن المقترح.

1.1. قبل ممارسة تحليل هذا المتن المشار إليه قبل قليل تستدعي الضرورة إثارة الانتباه إلى ملحوظة مركزية هي أن اختيار هذا المتن ليس مقصودا في حد ذاته ومن أجل ذاته، وإنما هو مجرد متن «تمثيلي» عام، لأن هناك نصوصا أخرى كان من الممكن الانطلاق منها، خاصة بالنسبة إلى الكاتبة (خناثة بنونة) التي تمتلك تراكما متنوعا بين القصة والرواية وغير ذلك. غير أن هذه الملحوظة لا تمنع من الاعتراف بأن اختيار هذا المتن - من جانب آخر - يحتوي على بعض القصدية، ومن ذلك التنوع والاختلاف : تنوع الكتابة واختلاف «الجنس الأدبي» الذي تؤول إليه النصوص المختارة المذكورة نقديا على مستوى التلقي والتصنيف والنمذجة. يضاف إلى ذلك البعد الدياكروني عند محاولة تطوير الاشكال الخاص



بالتشكلات، وهو البعد الذي يجعلنا وظيفيا - متى ألحت نزعة المقارنة - نطرح أسئلة تكوينية حول مدى التحول المحايث الذي طبع (يطبع) سيرورة «الكتابة النسائية» في المغرب، خاصة عندما ننطلق من نص سردي شبه منسي مثل «غدا تتبدل الأرض» مقابل نصوص لاحقة كنصوص الكاتبة (خنائة بنونة) وسواها في مجال السرد القصصي والسرد الروائي. ثم - من جهة ثانية - عندما ننطلق من رغبة الكشف عن طبيعة نبرة «الخطاب التخيلي» (من منظور الفرضية البنيوية) لمعينة طبيعة تظهر «اللغة السريديّة» مقابل «اللغة الشعرية»، كما تمثل ذلك الشاعرة (مليكة العاصمي). بل إن هذا البعد الدياكروني - أحيانا - قد يوفر لنا إمكانات تعدد القراءات التفكيكية لسلط الخطاب الأدبي التخيلي في علاقته (علائقه) بخطابات و/أو «لغات متعددة ليس أقلها» الخطاب الايديولوجي و«الخطاب التعليمي» و«الخطاب الأطروحي» وسوى ذلك من الخطابات المتقاطعة في نسخ الخطاب الأدبي حول الذات والمجتمع والهوية وما إلى ذلك.

2.1. سعيا وراء استراتيجيات مثل هاته نقترح في مايلي تقديم المتن (النصوص المقترحة للتحليل) على مستوى الشكل والمورفولوجيا : أولا كمبنى ومتن حكايتين بالنسبة إلى نص «غدا تتبدل الأرض»، ونصوص «الصمت الناطق». وثانيا : كمعمار «استطقي» بالنسبة إلى ديواني الشاعرة (مليكة العاصمي).

أ - يستند نص «غدا تتبدل الأرض» إلى هيكلية قد ننعتها منذ البداية بـ «البناء الكلاسيكي» لأن القصة فيه تحتكم إلى تنام

عمودي (خطي) تروي من خلاله فتاة مغربية هي (أمنة) قصتها الذاتية منذ أن كانت في «الرابعة عشرة» من عمرها (ص 9) وفقدت أمها، لتنتقل بعد ذلك إلى مدينة (الرباط) للدراسة قادمة من (أغادير) في جنوب المغرب. ثم تروي بعد ذلك حياتها في (الرباط)، وتعرفها في الثانوية على صديقتها (لطيفة) التي ستصبح زوجة أبيها، ثم تعرفها على (عبد الله) الذي أحبته والذي سيتحول إلى مناضل نقابي بعد أن طرد من المدرسة نتيجة تزعمه لاضراب الطلبة في «الداخلي» فيرحل إلى (أغادير) - مسقط رأسه بدوره، وعندما يحدث زلزال (أغادير) تعود (أمنة) لتبحث عنه، وعن أبيها وزوجته اللذين ماتا تحت الانقراض، فلا تجد أحدا، وتقضي حياتها مع امرأة مسنة، وصارت بدورها مناضلة نقابية.

إن هذا النص - رغم بساطته الظاهرة في نمط البناء الذي يظل محكوما على امتداد خمس وثمانية و مائة صفحة بمنطق «التسلسل» (Enchaînement) - يستعمل آليات أخرى نسيجه السردي. ومن ذلك ما نسميه نظريا «المحكيات الصغرى» (Les micro-récits) إلى حد أننا قد نراهن على فرضية وجود ما هو قريب من نمط «التضمين» (L'enchaînement) أو «التوليف» (L'enfilage)، أي وجود محكي مصغر (أو عدة محكيات) داخل المحكي - البؤرة أو المحكي - النواة الذي هو «محكي» (أمنة) المسرود والمعرض بشكل «مذوت» (Subjectif) منسوب إلى معين ضمير المتكلم منذ بداية النص : «كانت سني لا تتجاوز الرابعة عشرة، ولكن مشاعري مع ذلك لا تقل عن مشاعر فتاة في العشرين أتألق في اختيار ملابس، وأقضي الساعات أحيانا في ترتيب شعري،

وأحرص أن أظهر بمظهر المرأة الرزينة... (إلخ) (ص 9). ونمثل لهذا النمط من ورود الحكيات الصغرى بمايلي:

أ - محكي (عبد الله) الذي يكسر السرد العمودي لقصة (أمنة) كساردة ذاتية الحكى (homodiégétique) بسرد ذاتي بدوره تصبح معيناته بمثابة «تبئير» (Focalisation) تمارسه هذه الشخصية بعد أن قدمتها «الساردة» دون تحديد فيما سلف من خلال المقطع السردى التالي : «... فسارعت إلى الوقوف في صف طويل كان يتقدمني فيه طالب من مدرستنا سبق لي أن درست معه في أحد الأقسام الابتدائية بأكادير، وهو معي الآن في نفس المدرسة التي أدرس بها، فتشجعت بوجوده أمامي... (إلخ)» (ص 34). ويتخذ هذا المحكى صبغة «ارجاع ذاتي» نستطيع اعتباره «ارجاعا موازيا» بالنسبة إلى محكى (أمنة) الأصلي، لأنه بدوره يبدأ من بؤرة سردية أولى، ثم يلجأ بعد ذلك إلى «الايجاز». ويمتد هذا المحكى من صفحة (116)، حيث تقول الشخصية (عبد الله) : «انتظري يا أمنة سوف أقول لك كل شيء عن حياتي، سوف تعرفين الحقيقة التي لم أحكها لأحد يوما ما...» (ص 116) إلى صفحة (119) حيث ينغلق بتعليق أمنة / الساردة: «لقد أصبح حبي لعبد الله يملأ كل قلبي».

ب - محكى (أحمد)، وهو صديق (أمنة) و(عبد الله)، وطالب يدرس مثلهم بنفس المدرسة. وهو محكى متعدد البؤر السردية لأنه يتقدم في البداية كخطاب معروض، ويتحول بعد ذلك إلى ارجاع مبار : في الحالة الأولى يقول (أحمد) : «انه أبى معدم فقير لا يملك شيئا في الحياة وأنا ابنه» (ص 124)، وفي الحالة الثانية يقول

(أحمد) : « لقد كان أبي خماسا عند أحد أكبر الفلاحين المعمرين » (ص 125)، ويستمر الارجاع في شكل « موجز » : « اعتقل أبي وسيق إلى السجن [...]، وقضى في السجن عشر سنوات [...] كفلني عمي [...] اختفت أمي [...] سهر على دراستي ... (إلخ) » (ص 126) وهو الارجاع الذي يتحول إلى « استباق » عندما نقارنه بإرجاع لاحق له، لكنه يسبقه حسب منطق « خطاب القصة »، حيث يقول لـ (أحمد) في نفس السياق : « لقد ولدت في البادية وتفتحت عيناى على جمال الطبيعة... (إلخ) » (نفس الصفحة).

ج - محكي أب (أمنة). ويأتي تقريبا في الخمس الأخير من النص، وفيه يستعيد الأب حياته في (باريس)، ويستعيد عدة مواقف من حياته، قبل أن يوافق على علاقة ابنته مع عبد الله. ويمتد هذا المحكي من صفحة (153) عندما يقول الأب : « انهيت دراستي في باريس سنة 1940 ». وينغلق بقوله في صفحة (155) : « تيقني أن أية معارضة لن تصدر منى عندما تقررين ربط مصيرك به ».

د - محكي أحد أصدقاء (عبد الله) بعد أن وقع زلزال (أغادير)، ويرد بدوره في نهاية النص ابتداء من صفحة (165) عندما يقول هذا الصديق : « سوف أحكي لك كل شيء، كنت مع (عبد الله) نتجول في المدينة، ووجدنا والدك أمام السينما وهو يغادر السيارة مع زوجته وأخيك خالد ». وينتهي هذا المحكي بقول هذا الصديق : « لا تبكي يا أمنة - إن أي واحد لم يتصور يوما ما أن المدينة الجميلة أكادير سوف لا يصبح لها وجود وتنمحي » (ص 166).

وإذا كانت هذه الحكيات الصغرى بنيويا ظاهرة سردية ترتبط بخطاب شخصيات تتركها الساردة تتحدث عن نفسها بنفسها، دون وساطة من ذات أخرى، عن طريق مؤشرات خطابية قولية تتلون بتلون صيغة الخطاب وتحيينها من حالة إلى أخرى، وبالتالي تصبح محكيات وظيفية تندرج ضمن متواليات المحكي - النواة (؟؟) محكي (أمنة) كسارد مركزي ذاتي المحكي)، باستثناء المحكي الرابع - محكي الصديق (سعيد)، ص 166 الذي يقوم بوظيفة مساندة لما قد نسميه «المشهد» عندما يصف هذا الصديق زلزال (أكادير) قائلا : «وبرهة قفزت الأرض من مكانها في رقصة غريبة... بقيت أتدحرج معها في الشارع وانطفأت الأنوار، وانتشرت زوبعة مطبقة من الغبار...» ودون أن أعني ماذا يحدث حولي كنت أجري بسرعة مذهلة كما يجري باقي الناس، وعدت إلى بيت عبد الله فوجدت أن العمارة تهاوى نصفها ووقفت أصبح عبد الله... عبد الله... (إلخ)» (ص 166) - فإننا نجد داخل نص «غدا تتبدل الأرض» ظاهرة سردية أخرى تقوم بوظائف معادلة لوظائف الحكيات الصغرى المذكورة إلى حد ما. وهي ظاهرة «النص الموازي» (المُنَاص - Le paratexte). ونقصد بهذه الظاهرة ورود «نصوص» مستقلة نسبيا من حيث التمظهر التركيبي، ولكنها مضمنة في سيروية النسيج السردية. ورغم اختلافها «الشكلي»؛ فإنها تشترك كلها في صفة «رسائل» تبعثها الشخصيات إلى بعضها البعض. ويتعلق الأمر بأربع رسائل تتلاحق داخل النص على الشكل التالي :

أ - رسالة (علي) إلى (فريدة) إحدى صديقات (أمنة) اللواتي يدرسن معها (ص 63/64) (1).

ب - رسالة (عبد الله) إلى (أمنة) بوصفه نائبا عن كاتبة عامة لنقابة مصابر السمك، يدعوها فيها إلى الحضور لاجتماع المسيرات (ص 89) (2).



ج - رسالة (عبد الله) إلى (أمنة) بعد طرده من المدرسة، ورحيله من (الرباط) (ص 135)<sup>(3)</sup>.

د - رسالة (عبد الله) إلى (أمنة) مرة ثالثة، وفيها يتحول الخطاب من نبيرة المرارة واليأس، إلى نبيرة توشي بالأمل حيث تقول الرسالة : «عزيزتي أمنة. أكتب لك اليوم لأعبر لك عن مدى سروري وفرحتي بانتظار قدومك في عطلة العيد... كل شيء يسير على ما يرام... إن آمالي تتجدد في كل لحظة وكم أشعر الآن بجمال المدينة... مدينة أغادير... بطبيعتها الخلابة... سوف لا أطيل عليك وإلى اللقاء يا عزيزتي (ص 167/168).

3.1. ليست هذه الآليات وحدها هي التي تطبع اشتغال الخطاب السردي في نص «غدا تتبدل الأرض»، وإنما تسندها - من منظور التحليل التلغظي - مظاهر أخرى لا تندرج ضمن ما قد نسميه «تشكل الخطاب التخيلي» في تحبيك قرائن القصة بقرائن الخطاب، ولكنها تنتظم ضمن إشكال آخر هو طبيعة الملفوظ السردية من حيث هو خطاب متراكب السمات الدالة على الحكي الخالص؛ وهو تضمين «خطابات» (أو لغات) أخرى - بالمفهوم الباختييني - في نفس الوقت وحينئذ (قد) نراهن على مقولة «التهجين» التلغظي الذي يعني في حد ذاته «ملفوظا» ينتمي، حسب مؤشرات النحوية التركيبية والتوليفية، إلى متكلم واحد، لكن يمتزج فيه عمليا، ملفوظان، وطريقتان في الكلام، وأسلوبان، و«لغتان»، ومنظوران دلاليان وإجتماعيان (م. باختين، «الخطاب الروائي»، ترجمة : محمد برادة 1987، ص 66).

عموما : يتخذ نص « غدا تتبدل الأرض » صفة ملفوظ مسند إلى ضمير المتكلم (« أنا ») الذي يؤطر عمليات الترهين السردية منذ المقاطع الأولى في النص؛ ونادرا ما يتحول هذا الاسناد إلى ضمير المتكلم (« نحن ») كما في صفحتي (11/10)، عندما تقول الساردة : « لكن ما دور المدرسة في حياتنا نحن الفتيات، فتيات مجتمعنا بالأخص، إن هناك طريقا رسمها لنا الأجداد... (إلخ) ». غير أن هذا لا يعني الثبات عند « نبرة » أو « لغة » واحدة، ومن ثم قد يراهن هذا الملفوظ على الوعي بالذات و/أو الوعي بالعالم الخارجي. ونمثل لذلك بمقاطع سردية مختلفة تجعلنا نحس بالفعل بورود هذه الهجانة هذا التعدد نسبيا رغم غلبة الطابع المونولوجي الذي يسم « الصوت السردية » :

- ص 11/10 : « لقد غادرت منذ لحظات البيت، وكيف هو البيت؟. إن عائلتي التي تسكنه يترأسها أبي وهو الرأس المدبر للصغيرة والكبيرة ولا كلمة إلا كلمته ولا رأي فوق رأيه فهو يفرض سلطته علي وعلى المجموعة الخاضعة لارادته. وعندما يدخل البيت ينكمش الجميع... (إلخ) ».

- ص 12 : « إن الانسان يمتاز بخواصه الذاتية التي يحملها معه، وإذا كانت ملايير أشجار العالم لا تتشابه وتختلف، فإن الناس كذلك. كل إنسان يمتاز بمحاسن وتعيبه نقائص، لكن دادة عوضتني من الكل الذي فقدته في والدتي ».

- ص 16 : « وقالت (سعاد) : لقد كانت المسكينة خالتي في منتهى اللطف والنبيل. وفكرت في كلمة كانت... انها تعني الماضي المنقرض. فهل انقرضت أمي فعلا؟ هل ماتت حقيقة؟ أم أنني أعيش خيالا... إنني أشعر بفقدان صوابي، فأنا لا أكاد أفرق بين

الحقيقة والخيال... لقد أصبحت الآن نوعا من الحيوانات الهائمة التي لا تدرك واقعها».

- ص 21 : «بقي أن أعرف من أين لأبي بهاته النفسية المتحجرة، وكيف يحلل المواقف الدقيقة في وجود الناس بطريقة حسابية جامدة... الأمر واضح. إنها لغة الرياضيات التي درسها قبل أن يصبح مهندسا معماريا، والذين يحاولون دراسة الرياضيات، على حساب نفسياتهم يتحولون مع الأيام إلى قطع غيار في محركات كبيرة».

- ص 23 : «... ووجدت أن أبي ينافق صديقه الحارس العام، ألم ينس أُمي بسرعة؟ ألم تكن أفكاره ملخصة في ترك العاطفة جانبا وتحكم الأرقام، إذ بالأرقام وحدها يمكن بناء مدينة كما قال غير مأمرة، لكن الأرقام لن تعمر مدينة والانسان مجبور على العاطفة والمعاملة الطيبة حتى ولو نافق».

- ص 26 : «... ولم أجدا أَدفع به الحرج عني سوى الحقائق ففتحتها جميعا وبدأت أخرج بذلاتي وفساتيني الفاخرة فستانا بعد الآخر [...] وكأنني أصبحت عارضة أزياء».

- ص 28/29 : «ولاحظت من خلال خريطة العالم أن أفريقيا هي الأخرى تحتوي على قواعد عسكرية عالمية كما تشير بعض النقاط الزرقاء في الخريطة فقلت مع نفسي أن هناك أشياء كثيرة تهم حياتنا بالدرجة الأولى ولا نوليها الاهتمام الذي تستحقه...».

- ص 32 : «...إن النفسية الكبيرة هي التي تتألم عندما ترى الحياة لا تسير في مجراها الطبيعي...»

- ص 40 : «... ورجعت توا إلى غرفتي، ووقفت أمام المراة أصلح شعري بينما انشغلت لطيفة في رفع ذراعيها إلى أعلى وإلى أسفل

متجهة نحو النافذة وفكرت في نفسي من تكون هذه المرأة؟ لن تستطيع أن تفرض وجودها على شخصيتي مهما كانت الظروف...». - ص 46 : «وتوقفت السيارة. كنا قد وصلنا وزوجة أبي لم تنبس بنصف كلمة خلال الطريق، فالغضب أكل صدرها [...] بدأت تتحدث بأسهاب عن أفكار راشية وقديمة في دماغها، فجمعت نفسي لمواجهتها».

إن هذه الأمثلة وغيرها<sup>(4)</sup> تؤكد فرضية استقطاب الصوت السردي ذي اللغة الواحدة فيما يبدو لعدة «لغات» واعية بذاتها وتصدر عنها «الذات المتكلمة». ولعل أول «لغة» يمكن الاهتداء إليها في ثنايا الملفوظ لغة إداثة المجتمع الأبيسي (أو الذكوري) كما نجد في النموذج الأول (ص 11/10) بصدد تيمة الأب. وهو النموذج الذي تلحق به نماذج أخرى (نموذج صفحة 21 ؛ نموذج ص 23)، غير أن هذه النماذج سرعان ما تتحول إلى «وجهة نظر أخرى تقترب بالذات مرة أخرى، وتأتي مقترنة بنبرة «متعالة» (Savante) إلى حد أننا قد نراهن على امتزاج لغة السرد (السارد) مع لغة المؤلفة (الكاتبة). تضاف إلى هذه «اللغة» لغة «الوعي بالعالم» التي تتحول إلى لغة «ذات متعالية»، ومن ذلك ما يرد في نموذج (صفحة 29). وليست مثل هذه اللغة المذوتة وحدها هي التي تعبر إلى «لغة» النص، وإنما نجد في ثنايا هذه الأخيرة لغات أخرى مترسبة، منها «لغة الجدل» حول «الذات» و«المجتمع» و«الوطن» و«الآخر». وإذا كنا ننسبُ كلية لغة النص إلى الصنف الأول - لغة الجدل حول الذات - وإلى الصنف الثاني أحيانا - حول المجتمع، فإن مقاطع أخرى داخل النص تحيل إلى لغة الجدل حول «الوطن». ونقدم نموذجا لذلك من

مناقشة (لطيفة) - صديقة (أمنة) قبل أن تصبح زوجة أبيها - مع أب (أمنة) :

- ص 51 : « أوه... لا يمكن أن نعرف أن الهولانديين سعيّدون بوطنهم في ظل خوف أو غير سعيّدين، ورغم أنهم يشعرون بلذة الكفاح ضد البحر، فإن هذا يجعلهم يحسون بالضعف الممزوج بالقوة فالذي يحاول أن يحدثك ويسهب في حديثه عن البطولة هو جبان في نفس الوقت [...] ولولا حب الهولانديين لوطنهم لما اختاروا أرضاً في مستوى قعر البحر. إن هذا يدخل في حب الإنسان للأرض وإلا فكم هم الذين هاجروا أوطانهم وهي تقع في مناطق عالية ومطلّة على غيرها، لأن حب الوطن لم يتمكن من قلوبهم [...] فما رأيك بـ (أمنة) ؟ ».

إن هذا « الصوت » اللغوي - بالمفهوم الباختيني - يحفز « الآخر »، ويدفعه إلى الجدل والرد والحوار. ومن ثم تتعارض « الأصوات » وتتقابل، وتتحوّل الشخصيات إلى أبطال أيديولوجيين يمتلكون رؤية إلى العالم ويحاولون تمريرها، أو على الأقل دفع هذا « الآخر » إلى الكشف عن رؤيته ونواياه، لذلك ترد (أمنة) : « إن حب الكل يقتضي حب الجزئيات، والذي يحب وطنه حبا حقيقيا لابد أن يعبر الجبال والسهول والمناظر والطقس وكل جزئيات الوطن ومن يدعي حب الكل مع كراهيته لجزئيات الكل إنما يكذب على غيره أو يحاول أن يكذب على نفسه » ( ص 52/51 ).

ورغم أن هذا « المنطق الاقناعي » الذي يطبع « صوت » (أمنة) قد يبدو « معقولا » لكنه يقع دون مستوى ما يصبو إليه « صوت »



(لطيفة) التي تريد أن تكون قطب جاذبية بالنسبة إلى غيرها. ولعل هذا هو الذي يجعل «صوت الأب يتعارض مع صوت ابنته فيعقب قائلاً : «قد يكون كلامك هذا صحيحاً إلا أن أخذ أي كلام على أساس اليقين أمر بعيد عن اليقين نفسه، فالعرب مثلاً خرجوا من الصحراء القاحلة ورحلوا عبر الأراضي حتى بلغوا أطيبها، بل ووصلوا إلى الأندلس، إلا أن هذا لم يمنعهم من نظم الأشعار التي تتحدث عن بيئتهم القديمة بينما هم في بيئة تمتاز بالطقس الجميل والطبيعة السخية... (إلخ)» (ص 52).

إن هذه «الأصوات» - رغم أنها تندرج بنيوياً ضمن ما قد نسميه بخطاب الشخصيات سردياً - تعكس «خطاباً معرفياً» أو «خطاباً ثقافياً» يلقي الظلال على الأوعية الممكنة للذوات، وإذا كان «صوت» (لطيفة) يبدو «مقنعاً»، فإن «صوت» (أمنة) يأتي مكرساً بدليل أنها تعقب على قولها هي بالذات: «كنت أريد من كلامي أن أقصد واقع بيتنا أكثر مما أقصد غيره إلا أن أبي الذي لم يساعده تفكيره الرياضي على الالتقاء معي في الغاية المنشودة ردّ عليّ (نفس الصفحة). وعندما نتأمل «صوت» الأب، ونقارن بين حمولته «المعرفية» (الجدالية في ظاهرها) وبين خطاب (أمنة) ابنته حوله، فإننا نكتشف تقابلاً بيناً بين عدة أوضاع لحقيقة شخصية الأب بحسب الصورة التي يرسمها هو لنفسه عن ذاته، والصورة التي تقدمها عنه ابنته (أي السارد)، دون أن نغفل صورة هذا الأب كشخصية يقدمها الكاتب، وبالتالي تتكشف داخل نفس الشخصيات أبعاد متعارضة ومتباينة. وليس هذا البعد وحده داخل الملفوظ السردي لنص «غداً تتبدل الأرض» هو الذي يسم اشتغال

وتشكل الخطاب التخيلي، وإنما نجد أبعاداً أخرى ترتبط بالكون «الروائي» عامة، سواء على مستوى الفضاءات أو على مستوى «الأفعال» لمفهومها السيميائي، حيث يتحول هذا الكون إلى عوالم متآزرة بين الذوات أو مبنية على أساس الدسياسة والمؤامرة : تمثل المظهر الأول شخصيات (أمنة) و(دادة) و(سعاد) - بنت خالة (أمنة) - في الثلث الأول من النص، كما تمثله بعد ذلك شخصية (أمنة) و(لطيفة) - قبل أن تصبح هذه الأخيرة زوجة أبيها - في فضاء المدرسة الداخلية، وتمثله أيضاً شخصية (أمنة) وشخصية (عبد الله) في مواجهة تسلط الإدارة وتزعّم حركة الاحتجاج في نفس المدرسة وتنفرد به في النهاية كل من (أمنة) و(عبد الله) على حدة بالنسبة إلى الدفاع عن مطالب العمال في (أكادير). أما المظهر الثاني فتمثله (أمنة) بالذات في الفترة التي تقع بين ذهابها إلى (الرباط) للدراسة وبين عودتها الأولى إلى (أكادير) لزيارة والدها الذي تزوج في غيابها، فتقرر أن تتخلص من هذه «المرأة» التي حلت محل أمها، فتعمل على التخطيط لزواج أبيها من صديقتها (لطيفة). ولكي ندرك هذا البعد نقدم المقاطع السردية التالية على سبيل التمثيل لهذا المظهر المذكور:

- ص 38 : « ترى كيف ستكون هذه المرأة معي. لاشك أنها أوحث لأبي بعدم القدوم لاحتضاري بعد العطلة، وهاته بداية للنهاية التي سأنتهي لها مع هذه المرأة... (إلخ) ».

- ص 45/44 : « ...وظهرت [...] بمظهر المتكبرة، لأن الأنانية وحدها تنفع مع أناس لا يفهمون معنى التواضع، وأن التجاهل هو الجواب الصائب لمن يحاول أن يتجاهل... (إلخ) ».

- ص 47 : « امتد حصارها ثلاثة أيام تقريبا قررت بعدها فك الحصار مهما كان الثمن، ونسجت مؤامرة... (إلخ) ».

- ص 48 : «... وملاأتني نشوة فرح هي تلك النشوة التي يشعر بها كل من يحصل على انتصار، وكى يصل الانسان إلى هدف من الأهداف لابد أن يضع مخططا خلال مراحل، ويتبع المراحل واحدة واحدة، فلا بد أن يصل إذن إلى المرحلة الأخيرة التي هي الانتصار. كانت خطتي أن أقرب أبي من لطيفة، وأقرب لطيفة من أبي لأنتصر على زوجة أبي وأحرمها منه كما أرادت حرمانى منه».

إن هذا التشكل الخاص بشخصية (أمنة) وهي تمر بأطوار من التحول كشخصية إشكالية ونمطية هو الذي جعلنا أحيانا ننسب خطاب نص « غدا تتبدل الأرض»، ونصنفه على أنه خطاب أطروحي. وقبل مقاربة هذا الجانب، ننتقل إلى مجموعة «الصمت الناطق» لمعرفة تشكلات الخطاب فيها.

4.1. شكليا : تتكون هذه المجموعة من اثنتي عشرة « قصة » هي على التوالي : « العزلة الموقوتة » (من ص 5 إلى ص 14)، و« الصمت الناطق » (من ص 14 إلى ص 37)، و« الورد السجين » (من ص 39 إلى ص 52)، و« السهرة اليتيمة » (من ص 53 إلى ص 64) و« فصل من العذاب » (من ص 65 إلى ص 76)، و« الأصناف والأضداد » (من ص 77 إلى ص 87)، و« الانتماء المؤجل » (من ص 89 إلى ص 100)، و« حوار الصم » (من ص 101 إلى ص 111)، و« الاستثناء الراجع » (من ص 113 إلى ص 129)، و« فصل لم يكتمل » (من ص 131 إلى ص 146)، و« أصوات وصور » (من ص 147 إلى ص 161)، و« الوجه المراهق » (من ص 163 إلى ص 174)، ورغم الاستقلال الشكلي في البناء والشخصيات والفضاءات بين هذه النصوص، فإن أبرز مكون يفرض نفسه في

«قراءة» خطابها السردي هو مكون الملفوظ في حد ذاته، لأن «المتكلم» في كل قصة من هذه القصص يكاد يكون واحداً ووحيداً إلى حد قد نراهن على وجود «مونولوجية» لغوية تؤول في نبرتها إلى «صوت لغوي» بؤري لا يتخلص من نظرتة إلى العالم الفعلي وإلى الكون المتخيل داخل كل نص على حدة. وهذا ما يدفعنا إلى المراهنة على فرضية احتكام الكتابة القصصية لدى (خناثة بنونة) إلى تشكيل سكوني وثابت لا يتغير رغم الايحاء بتبديل الشخصيات والفضاءات و«الأقوال» (الملفوظات) بين نص وآخر.

نعم : إننا قد نراهن ضمناً على وجود رؤية للعالم تدور في فلك نبذ مجتمع القمع والاستبداد والبيروقراطية وخيانة المبادئ الحزبية، وهي الرؤية التي تعكسها في هذه النصوص «نبرة» الاحتجاج والادانة، غير أن هذه الرؤية سرعان ما تنقلب في نهاية المطاف إلى رؤية تراهن على ما يشبه التصالح. بعبارة أخرى : إن ملفوظ نصوص «الصمت الناطق» لا يحيد عن ثوابت قارة هي «الدعوة» إلى مجتمع عادل ومتكافئ وخال من التشيؤ، غير أنه وهو يعدد «نبراته» يظل محكوماً بنبرة خطاب المؤلف (المؤلفة هنا) الذي يرد سبب الاختلال إلى «الأفراد»، وليس إلى «المؤسسات» رمزياً. وهكذا يسعى (سعد) في النص الأول إلى «انقاذ ما تبقى» (ص 14)، وتسعى بطلة النص الثاني إلى «ارضاء القهر الداخلي الذي ترعرع في ذاتها» (ص 17)، وتعاني بقية شخصيات النصوص الأخرى من «القلق» الوجودي : (مريم) في نص «الورد السجين» محاصرة من كل الجهات، متوزعة بين (عبده) المناضل والمجتمع الذي يتجسس على علاقتها من خلال عميد

الشرطة الذي يستدعيها للاستجواب والاستنطاق، وشخص نص «السهرة اليتيمة» غير متماسكة نظرا للحصار المضروب على العلائق، و(مليكة) و(عائشة) في نص «فصل من العذاب» تحيان تحت تأثير هذا الحصار في المؤسسة التعليمية وهكذا دواليك.

وتقودنا هذه الملحوظة بصدد نمطية الشخصيات إلى افتراض خلفية رؤيوية مستحكمة في قصدية تشييد العامل المتخيل عبر النصوص وعبر خطاباتها المتمفصلة بين ملفوظ الذات المتعالية وملفوظ هذه الشخصيات. ولعلنا لن نجافي بعض الحقيقة إذا سلمنا بوجود موقع رؤيوي مشترك بين كل الأصوات اللغوية (باختينيا) هو موقع الرؤية الخاصة بخطاب (ملفوظ) المؤلف (الكاتبة) من منظور أدلوجوي يكاد لا يتغير، لذلك تنهض بين هذه النصوص علائق تشاكلية تؤول كلها إلى ملفوظ بؤري هو ملفوظ «الكاتبة» التي تمرر من خلال كتابتها السردية ملفوظها الخاص، ولذلك أيضا تهيمن المونولوجية وتتناص النصوص كملفوظات الخاص، ولذلك أيضا تهيمن المونولوجية وتتناص النصوص كملفوظات مذوتة Subjectivées. بعبارة أخرى: إن «اللغة» الأساسية في نصوص مجموعة «الصمت الناطق» هي لغة «المؤلف» الذي يتكلم لغته دائما، ويجعلها لغة الشخصيات، وبالتالي ينحسر الانفتاح على «الآخر». ومتى تصورنا فرضيا وجود «لغات» أخرى في ثنايا الملفوظ، فهي تظل محكومة بنوايا الكاتب الذي لا يكسرهما، ويتركها صوته - تبعا لذلك - لغة محنطة وجاهزة. نعم: إن «لغة» نصوص هذه المجموعة لغة أدبية سردية، وتنفتح على خطابات أخرى في المجتمع، غير أن هذا الانفتاح يظل شكليا، ولا



يراهن على الحوارية الممكنة. ولكي ندرك هذا الاصرار على لغة واحدة ووحيدة نسوق الأمثلة / النماذج التالية:

- ص 6 : « شهقت ولم تجب. فبالأمس، نزفت دمعا ودماء، أدانت التفاصيل الصغيرة لليومي قبل المؤسسات والبنى والهيكل. أجرت مسحا للساحة العربية وعشقت الطوفان. قالت : إن العالم يلغينا، فيجب أن نحاوره بنفس لغته : الدمار »

من نص « العزلة الموقوتة »

- ص 27 : « وفكر : الشخص الإداري لولب دائر على الساعة، زمن الإدارة المركزية بالخصوص، وقت الأكل وقت النوم وقت الذهاب ووقت الاياب [...] ولأن اليومي هو التاريخي، فإن الموظف أصبح دون تاريخ... ».

من نص « الصمت الناطق »

- ص 47 : « تنفضح الكتل والعلاقات والروابط وخزي المدينة ولا معناها ويصبح حتى حق الحلم ممنوعا. السلطة : الفعل المعاكس للحياة يتدخل، وأنت أيها السيد المستأسد في القضية ومن أجلها هو المقصود، ذلك حتى هذا الوهم، ولو للحظات، يريدون أن يصادرون ».

من نص « الورد السجين »

- ص 57 : « لكن هلا تدري أنني لو ملكت أن أقود ولوعرفت لقدتكم نحو أرض جديدة، بانسان جديد وعلاقات جديدة وقلب جديد. غير أنها تذكرت : أليس هو، أحد القلة، المسكونين بنبض هاته الارض! ». من نص « السهرة اليتيمة »

- ص 96 : « وسار ... وفي السير كانت القضية وكان الوطن، وبذلك تعددت المحطات، استراحة ومنطلقاً، وحقق قفزات نوعية ودلالية،

سواء في الرسم أو السينما، أو المسرح، وكان التغيير هاجسه ولوعته».

من نص «الانتماء المؤجل»

- ص 140: «المنطق حياك الله يا منطق عصر الاختلال : في الحقوق والواجبات، والديموقراطية والفرص المتساوية، والشغل، واللحمة، والحرية، والبناء، والانتصارات، والتطوير والقيم والحضارة : ألف رحمة ورحمة عليك يا عصر البعث في الصقع القاسي».

إن هذه «الملفوظات» - رغم اختلافها الشكلي - تظل محكومة في الصوغ اللغوي الايديولوجي بمنطق ذات متعالية لا تتحرر من قناعتها الخاصة. ومن ثم تهيمن نبرة متكلم واحد يتكلم لغة واحدة. نعم إن هناك نصوصا تكسر هذه النبرة عن طريق تكسير «الشكل» القصصي - مثلما نجد في نص «فصل من العذاب» حيث يتم التوليف بين عدة «أصوات» في الظاهر<sup>(5)</sup>، أو نجد في نص «حوار الصم» حيث تتخلص اللغة السردية من نمط البناء الواحد إلى البناء المزدوج<sup>(6)</sup>، غير أن هذا يظل مجرد تنويع أسلوب تشكلي لا يتجاوز نبرة «صوت المؤلف». وتضاف إلى هذه السمة خاصية الإحتكام إلى نبرة تقرب لغة الخطاب السردية من نبرة «اللغة الشعرية» التي تحول لغة النص إلى لغة خطابة. بمعناها الحرفي والاحترافي مثلما نجد في النموذج الأخير المذكور قبل قليل (النموذج السادس، ص 140).

إن الأمر يتعلق - في تقديرنا، وانطلاقا من هذه الملحوظات الجزئية الخاصة بلغات النص - بأشكال مركزي سبق أن أشرنا إليه

قليلا عند مقاربة نص « غدا تتبدل الأرض ». وهو إشكال تشكلات الخطاب التخيلي في الكتابة النسائية بالمغرب. وإذا كنا نراهن في الاستنتاج على نوع من تقصد الحداثة الجمالية في ترسيخ كتابة سردية مخالفة نسبيا للمعتاد من الأشكال الأدبية قبل نهاية الستينات بالنسبة إلى نص (فاطمة الراوي)، فإننا نتساءل مع نماذج (خناثة بنونة) : ما هو التصور الذي تصدر عنه الكاتبة في تشييد عوالم نصوصها، و في نحت الشخصيات و الفضاءات وتكريس الرؤيات ؟ وما هو أفق الإنتظار الذي تخلقه كل من (فاطمة الراوي) و(خناثة بنونة) بعدها بما يقرب من ثلاث وعشرين سنة تقريبا ؟

إن النموذج الاستطريقي الذي يكمن في خلفية « غدا تتبدل الأرض » نموذج محكوم بنوع من القالبية الجاهزة في تمثل الواقع. ولا يتجاوز هذا النص - انطلاقا من فعل القراءة الموجه لتتبع هذا النموذج - نمط « القصة الميلودرامية » التي تجمع بين النظرة المثالية والتأكيد على أدوار التحول الخاصة بكل شخصية على حدة، وبالشخصية الرئيسية التي هي تلميذة مغربية فقدت أمها، وتعيش العزلة، ثم تعمل على مواجهة مصيرها بعد أن فقدت أباهما وفقدت حبيبها في زلزال (أغادير). ولعل هذه النزعة الميلودرامية هي التي تجعل نص « غدا تتبدل الأرض » يتضمن عدة مواثيق جمالية في القراءة : فبقدر ما قد نقول إنها « رواية اجتماعية » لأنها ترصد واقع شريحة محددة إجتماعيا هي شريحة البورجوازية الدينية التي تشكلت في المغرب بعد فترة الاستقلال، بقدر ما قد ترتبط في خطابها الإجتماعي (المجتمعي) بنبرة خطاب

تعليمي حول هذا الواقع، وبذلك تتشابك داخل خطاب الرواية السردية التخيلي خطابات أخرى منها : «الخطاب النفسي»، و«الخطاب الايديولوجي»، و«الخطاب السياسي»، فيتحول خطاب النص بذلك خطابا أطروحيا لأنه ينقل الذات من لحظة «الجهل» إلى «المعرفة». ولذلك يمكن المراهنة - من خلال قراءة هذا النص قراءة تفكيكية - تأويلية للخطاب والرؤية - على اعتبار «غدا تتبدل الأرض» - بالنسبة إلى نصوص روائية مغربية أخرى ظهرت في نفس المرحلة (سنة 1967)، وقبلها أو بعدها بقليل - «رواية أطروحة»، لأنها تحمل بالفعل تعاليم وأدلوحة خاصة حول المجتمع والواقع والانسان والمؤسسة والسلطة، خاصة من خلال خطابها حول «الأسرة»، وحول «الطبقة العاملة» وغير ذلك. وقبل تعميق النقاش حول هذه الأبعاد، وحول الأسئلة التي طرحناها فيما سبق نشير إلى بعض المكونات التشكيلية التي طبعت (تطبع) خطابا آخر، هو الخطاب «الشعري»، كما تمثله الشاعرة (مليكة العاصمي). وقبل مباشرة ذلك نود أن نشير كذلك إلى أن اختيارنا لهذه الشاعرة يعود بالأساس إلى دافعين أساسيين هما :

أ - قدم تجربة (مليكة العاصمي) في الزمان والمكان بالنسبة إلى تجارب شواعر مغربيات أخريات مثل (ثرثيا ماجدولين) أو (وفاء العمراني)، حيث نجد أن (مليكة العاصمي) قد تنسب إلى جيل النقلة التي تمت منذ تباشير السبعينات أو قبلها بقليل. وهذا ما تؤكدته هي ذاتها عندما تقول في تقديم ديوانها الأول : «أزعم مع نفسي أن هذا الديوان يقدم لحظة تاريخية [...] لذلك أضعه للطبع رغم أنه ينتمي إلى نقلة السبعينات...»، (من ديوان «الكتابة خارج أسوار العالم»، ص 5).

ب - رغبة مقاربة هذا الخطاب الشعري لمعينة تكونه وتكوينيته بالنسبة إلى الخطاب السردي القصصي كما تمثله الكاتبة (خنائة بنونة) في « الصمت الناطق »، وبالنسبة إلى الخطاب السردى الروائى كما تمثله (فاطمة الراوى) في « غدا تتبدل الأرض ».

5.1. إذا كنا مع نص « غدا تتبدل الأرض » نراهن على طبيعة البناء في تشييد المحكى، ومع نص/نصوص « الصمت الناطق » نراهن على طبيعة الملفوظ وتمفصله بين لغة/نبذة « صوت المؤلف » ولغة/صوت السارد/الشخصيات، فإننا مع نصوص ديوان « كتابات خارج أسوار العالم » نراهن على طبيعة التيمات التي تتحرك في ثنايا المتن واللغة الشعريين. وهي في تقديرنا ثلاث تيمات : الأولى تتعلق بفعل الكتابة الشعرية وسيرورتها، والثانية تتعلق بعلاقة الذات بالعالم. أما التيمة الثالثة فهي التي تظل مشدودة إلى تقابل المرأة/الرجل. ولابد من الإشارة في هذا السياق أن هذا (قد) لا ينسحب فقط على تجربة (مليكة العاصمي) وحدها؛ بل إننا نجد شبيهه ذلك في مشروع (خنائة بنونة)، كما قد نجد بعض ملامحه في تجربة (فاطمة الراوى) خاصة على مستوى تيمتي علاقة الذات بالعالم وعلاقة الرجل بالمرأة، أما بالنسبة إلى تيمة الكتابة فإن الشاعرة (مليكة العاصمي) والكاتبة (خنائة بنونة) وحدهما اللتان تغذيان هذا البعد الذي سنعمل على توضيحه فيما بعد بالنسبة إلى (خنائة بنونة).

إن أول سؤال يفرض نفسه بالنسبة إلى ديواني (مليكة العاصمي) هو سؤال : من « يتكلم » داخل النصوص الشعرية ؟ هل



«الشاعرة» كذات مباشرة باعتبار البعد الغنائي للخطاب الذي يجعل لغة الشعر لا تلجأ إلى توسيطات Médiations وتبعية، Distanciation ؟ أم أنها «ذات متعالية» (تراتسندنتالية) على غرار نصي «غدا تتبدل الأرض» و«الصمت الناطق»؟.

إذا كانت (خناثة بنونة) تؤجل الحديث عن تيمة الكتابة إلى نهاية مجموعتها لتتحدث عن اختيار الكتابة وشروطه من خلال نص «النزيف الحزين» (ص 175 / ص 177) في صورة «توضيح»، فإن (مليكة العاصمي) توجه متلقي الديوان منذ البداية من خلال نص مركزي يمكن اعتباره بمثابة نص عبر تناصي يفرش ظلاله على بقية نصوص الديوان، وهو نص «رؤيا» (ص 6) الذي يتخذ الملفوظ إطارا إشكاليا بالنسبة إلى ممارسة فعل الكتابة في علاقته بالرؤية إلى العالم. يقول النص :

«يجب أن نعلم كيف نرفض أن تداس إنسانيتنا. الكرامة قبل كل شيء والكرامة لا تتحقق إلا بالرفض والثورة. في الانسان، كل إنسان، جذور عميقة للأناية والاستغلال، لكن مادامت هناك عناصر قابلة لهذه الاهانة وهذا الاستغلال.

هناك دائما سيد مادام هناك عبد.

مشكلة هذا العالم أنه عالم مفترس نفتقد فيه الانسان النظيف الواعي. ونتطلع أحيانا فتجرفنا النظرة التشاؤمية إلى الاعتقاد بقذارة أعماق العالم، و بالتالي بلا جدوى الكفاح من أجل الأفضل،

لأن ذلك الأفضل معرض دائماً للإنتكاس بحكم خضوعه لظروف موضوعية خضع لها سلفه.

دورنا في هذا العالم كدور المصارع، يجب أن نكون على استعداد دائم للكفاح من أجل الحصول على حقوقنا ضد قوى الظلم الكثيرة، وضد أنواع الحرب المختلفة التي تحطم قوى الانسان في هذا العالم المتحضر.

واجهه أخرى للصراع لدى الانسان الحديث الذي دنسته مشكلات العالم، فشحنته بالحق: أن يصارع في أعماقه من أجل محبة الانسان والتقارب معه، لأن هناك باستمرار مستفدين من هذه الأحقاد والكراهيات».

بداهة : ان نصابا يمثل هذه الحمولة وهذه النبيرة (قد) يطرح العديد من الأسئلة؛ وفي مقدمة ذلك سؤال : كيف سنتعامل معه ضمن مورفولوجية الدوان ؟ هل نعتبره « خطابا افتتاحيا Discours préfacial ؟ وما هي علاقته الوظيفية بالنسبة إلى مجموع النصوص الشعرية التي تعقبه داخل الديوان ؟ هل نعتبره خطابا بعديا ؟ ثم ماهي السمات التي تجعله ذا وظيفة (ما) ؟

إن أجوبة عديدة تفرض نفسها في هذا السياق من منظور عملية « القراءة » و « التلقي » النقيدين. ولعلنا لن نبالغ إذا اعتبرنا هذا « النص » ملفوظا بوريا يعكس « صوت الكاتب » الذي ينظم حركة مرور « خطاب المؤلف » (المؤلفة هنا) إلى ملفوظ النصوص

الشعرية، وحتى إذا كان يتخلص من صيغة التذويت ويجنح جنوحاً موضوعياً (أو توضيعياً)، فإنه يظل محكوماً بنبرة ذاتية نظراً إلى النبرة التي تسوده وهو يسطر ما قد يشبه «التعاليم» من خلال قاموسه «اللغوي» (باختينيا)، ومن خلال التيمات التي تجعله خطاباً رؤيواً بعد الذات والمجتمع والواقع، على أنه في هذا السياق ينشط إلى رؤية (أو على الأقل وجهة نظر) خاصة تجاه هذه المقومات. ولأن الأمر كذلك فإن هذا النص يتخذ بالفعل صفة نص هجين يحاور العديد من المواقع والملفوظات الدائرة في المجتمع والفكر رغم الطابع المثالي العام الذي يطبعه. وسؤالنا الذي يترتب عن هذا التخريج هو: ماهي القيمة المرجعية بالنسبة إلى النصوص الشعرية التي يضمها الديوان؟ وهل يتعلق معها؟.

عموماً: إن «اللغة» التي تحتكم إليها «لغة» النصوص الشعرية التي يضمها ديوان «كتابات خارج أسوار العالم» لغة تغترف من حصيلة من اللغات الشعرية التي ترسخت في تجربة الشعر العربي الحديث إلى حد أننا قد نراهن على مفاهيم «التناص» و«الحوارية» و«التحويل» في قراءة هذه النصوص وإحالتها على (إلى) نماذج محددة من شعر الديوان العربي الحديث منذ لحظة انبثاقه على يد الرواد الأوائل (السياب والبياتي وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي) خاصة بالنسبة إلى المعجم اللغوي أسلوبياً و بالنسبة إلى التيمات التي طرحها هؤلاء. ولتقريب هذا التصور من الفهم والادراك، نسوق بعض المقاطع للدلالة على هذا الافتراض:

أ - « حملت مثلاً يحمل ملاح يجيء من مدينة الأصداف  
تتبعه أثقاله الثمينة... »

أبحرت في عيونكم من دونما سؤال  
ليس معي فنار  
حلمت بالنهار

حلمت بالشبابية التي خلدها أصحابنا القدامى  
رحت أرعى أثرا ندياً من رطوبة البحار  
وجدتكم مقلصين يابسين  
وجدت في عيونكم كثافة السهر. (إلخ...)

ص 11/10 من « البحار »

ب - لو تعرفون بلدتي يا أصدقاء

في بلدتي يعيش الشذوذ... الانحراف  
يدخن الكيف ويؤكل الحشيش  
و« المعجون »

في بلدتي لعبون الكحول  
يسرقون... يعتدون.

صفار كل حارة تكتلوا عصابات عملية  
تمارس السقوط والجريمة  
تعجب بالسكاري والمشاغبين  
وبلاعبي الجيدو... (إلخ)

ص 40/ ص 41 من « تعاستي »

ج - « صديقي...! »

ما زال عطرك في خصلاتي القصار  
يفرد...

يفعم قلبي جوعا...

نداء..

نباح..

ويقدح جسمي بركان نار

ونهدي زمجرة من لهيب !

أدور...

ولكنه ليس غيرك هناك... (إلخ).

ص 64 من « القصيدة المسعورة »

ولا شك أن « قراءة » عمودية تفكيكية لهذه المقاطع وسواها في الديوان ستردنا رأسا إلى مسألة الذاكرة الشعرية العربية الحديثة التي تبسط ظلالها على نصوص الشاعرة (مليكة العاصمي)، وتجعلنا في نفس الوقت نراهن على حضور « النص الغائب » والحاحه في توجيه نبيرة الخطاب ومن ذلك شعر (عبد الوهاب البياتي) و(صلاح عبد الصبور) بالنسبة إلى موضوعات الغربية والزمن والمدينة، وشعر (نزار قباني) بالنسبة إلى نبيرة الاحتجاج والادانة تجاه المجتمعات العربية (نموذج (ب)، ص 40/ ص 41 مثلاً).

وهكذا تتحول إبداعية الخطاب الشعري إلى نبيرة بارودية تعمل على تحويل قصدي لمعجم اللغة الشعرية من سياق إلى سياق. وهكذا أيضا تتباعد العلاقة الوظيفية بين خطاب المقدمة في الديوان وبين انجاز معادل (معادلات) له في ملفوظ النصوص الشعرية الموازية له تجاوزا، لأن خطاب المقدمة ذاته (نص « رؤيا »، ص 6) يتجهن ويستقطب لغة أخرى تبدو في مضمونها العامر لغة



محكومة بقوالب جاهزة مغيبة، وليس لها أدنى دينامية في التشكيل والتخيل الممكنين. بعبارة أخرى: إن عملية التلقي التي تحايث لغات النصوص الشعرية في هذا الديوان - إلى جانب نصوص أخرى لا يسمع التحليل المختصر الذي نقدمه باثارتها - عملية مستعصية، حيث نكون إزاء تجربة شعرية تنسب نفسها إلى عقد الثمانينات، ولكن خطابها مسكون بحمولات تردنا إلى أجواء القصيدة العربية عامة، والقصيدة المغربية خاصة، في مرحلة سابقة. ويتضح هذا بجلاء في البناء والتشكل والمعجم الشعري.

إذا كنا مع ديوان «كتابات...» نراهن نسبيا على تلاقح اللغة المدوثة مع لغة تنحو منحى «التوضيع» (Objectivation)، فإننا مع ديوان أصوات حنجرة ميتة» (98 صفحة) نصطدم بلغة واحدة ووحيدة، هي لغة «المرأة/الأنثى» المعذبة (؟) الحاملة (؟) المعاصرة والسجينة (؟) التي «تتذكر» أيامها مع «من رحل» و«تركها» أو «هي تنتظره» و«تنتظر عودته» (؟). ولأن الأمر كذلك فأن أغلب نصوص الديوان تدور في فلك تيمة واحدة تتكرر، ويتكرر معها ملفوظ يعبر عن «الانتظار». نسوق كأمثلة لذلك ما يلي:

أ - مجلسه كان قبالي

كنجمتين

ترنوا

وتعبران [...] .

... ونحن في هذا المساء سنفترق

يمضي وحيدا في الصقيع والمطر

ووجدتي تعبرها الأحزان

والسجائر المدوسة  
وذكريات كلمة محبوسة  
حروفها نار ونور  
تضيء في دمائي وتتور :  
«إني أحبك».

ص 17/16، من «في مراري إليك أفقدك»

ب - «ونحن في هذا المساء... نفترق  
ستغرق السماء جسمه  
بأدمع الرحيل  
واستمر في سريري المكهرب النحيل»  
ص 22، نفس النص السابق

ج - وارتجي  
يطول الانتظار  
مشتاي، صيفي أكؤس مترعة... (إلخ)  
ص 28، من «وثيقة لم توقع»

د - «سألت نفسي...  
لكنما الجواب يا صديقي غارق في نفق بعيد  
لو فتحته وقلت لي :  
«أحبك»  
كنت أقول لك :  
«مخطئة أنا»  
«مذنبه أنا»  
لكنما

ذهبت...

لم تقل شيئاً لقلبي

ص 38، من « الحمى في القلب والرأس »

هـ- « اذا رحل

يركض خلفه قلبي كطائر غريب

تلفحه الرياح واللهيب

من العصافير الصغيرة

الزغيبية الجناح

تتعبها المسافات الطويلة والرياح (إلخ)».

ص 44، من « الرحلة المقدسة »

ربما قد يكون الشعر أكثر « اللغات » الأدبية تمثيلاً لصوت المؤلف، لأنه لا يتخذ وسائط كالخطاب السردي أو الخطاب المسرحي وغيرهما من الخطابات المندمجة نسبياً، ومن ثم تحضر « الذات » حضوراً نمطياً في القول الشعري، غير أن هذا لا يمنع من وجود « ملفوظ » متوزع بين مواقع قد تسترشد من نبرات أخرى « لغوية ». وإذا كنا - كما سبقنا الإشارة - نعتبر الديوان الأول للشاعرة (مليكة العاصمي) ديواناً يحاور لغات وجودية وتيمات إنسانية مثالية، فإننا نعتبر الديوان الثاني بمثابة ارتداد إلى بؤرة لغة واحدة هي لغة الذات، ولذلك تهيم على لغة النصوص فيه نبرة صوت المرأة/الأنثى في مكابداتها تجاه الحرمان والجحود والعزلة والتهميش، وإن كان ذلك من منظور رومانسي حالم. وبهذا يفتقد الديوان دافعيته في الاقناع والتحفيز والانتماء إلى السياق

المواكب له بحيث تتحول لغة النصوص الشعرية بأجمعها كتلة من الملفوظات المونولوجية الرسوبية والمستقرة دون أن تتمكن من تفجير رؤية إلى العالم تكون بمثابة تطوير لحمولة الديوان الأول نسبيا. ولكي نعمق هذه الأطروحة نسوق للتدليل على هذه الأبعاد مقاطع شعرية تثير هذا السياق :

أ - تجيء كلما أنساك

تزور زورة شحيحة

عيناك بركتا حنان

كثفتا من غابر الأزمان

عمقتا بالحب والأحزان ..»

ص 48، من «الانتكاس»

ب - «نلتقي كأصدقاء

تعارفا يوما وغيب الزمان

ظلهما

ولم يعودا يذكران

ما اسمهما؟

وما اسمه؟

وكيف قد تم اللقاء...؟

ويمضيان ...

ص 52، نفس النص.

## 2 - خلاصات عامة واستنتاجات.

1.2. لقد كان الهاجس والدافع اللذان تحكمهما في هذا التحليل/المقاربة هو تقديم متن نموذجي للكتابة النسائية في

المغرب من خلال نموذجين سرديين لكاتبتين مغربيتين، ونموذجين شعريين لشاعرة واحدة : إلى جانب طرح إشكال بصدد التشكلات التي تمس جانب الخطاب التخيلي في علائقه باللغة والملفوظ أساسا من منظور بعض المقترحات التي توفرها نظرية هذين الحقلين وقد تبين لنا بعد تفكيك حمولات هذا الخطاب التخيلي أن الأمر يتعلق بإشكالية قلما انتبه إليها النقد المغربي المعاصر، هي إشكالية الكتابة النسائية ذاتها : هل هي كتابة قائمة بالفعل أم هي قائمة بالقوة ؟

2.2. عموما : إن السياق الذي تحكم في ظهور نص مثل « غدا تتبدل الأرض » هو سياق موضوعي جعل الرهان على الكتابة السردية لدى (فاطمة الراوي) جزءا لا يتجزأ من مشروع تحقيق هوية المرأة في مجتمع ما بعد الاستقلال. ولهذا السبب لا تقل قيمة النص الذي حللناه في بعض جوانبه عن قيمة نصوص سردية روائية ظهرت (تكون قد ظهرت) في نفس الفترة، وذلك على مستوى الشكل والدلالة، وعلى مستوى الملفوظ واللغة المحايثين للغة الخطاب السردية، بل إننا قد نذهب أبعد من ذلك فنعتبر نص « غدا تتبدل الأرض » نصا روائيا نموذجيا في لوحة الرواية المغربية الحديثة، وإن كان النموذج الذي تراهن عليه الكاتبة متوزعا بين « القصة الاجتماعية » و« الميلودراما » تحت تأثير سياق الثقافة الجديدة المستحدثة وأطرها المرجعية (السينما، المسلسلات)، وتأثير سياق ثقافة نسائية محددة تجعل هذا النص أقرب ما يكون إلى « الرواية المصورة » (Photo-roman).



وإذا كنا نعتبر هذا مظهرا استنساخيا، فإننا - من جانب آخر - نعتبر «غدا تتبدل الأرض» إنجازا جزئيا على مستوى تحديث الشكل السردي وتحديث الخطاب الروائي المغربي الحديث. يضاف إلى ذلك أن «الصوت اللغوي» صوت «امرأة» تقدم عن ذاتها وعن محيطها صورة محايدة تعكس بعض أسئلة الحداثة الاجتماعية أو أسئلة تحديث المجتمع المغربي، خاصة على مستوى ثنائيات المرأة مقابل المرأة، المرأة مقابل الرجل، الرجل مقابل المرأة، ثم الرجل مقابل الرجل. وكما تتضح حداثة الشكل السردي على مستوى توظيف آليات الحكيات الصغرى وآليات النص الموازي (المناس) كما سلف في التحليل، تتضح أيضا على مستوى إمكانات صوغ دلالة قصصية تهدف من خلالها كاتبة النص تقريب سلطة التخييل من موضوعاتية ترصد المجتمع المغربي من خلال مشروع استيطقيي يستمد مادته من تفاعلات الخلفية السياسية والاجتماعية والثقافية والتاريخية والفكرية. وهكذا يستثمر نص «غدا تتبدل الأرض» طاقات صنعة شكلية في التعامل مع المرجع، ويؤطرها ضمن وظائف عدة أهمها وظيفة «التلقين» Apprentissage عن طريق خلق محكي يراهن من خلال عملية تلقيه على تحفيز الخطاب والملفوظ في أفق دلالة نموذجية أساسها الكشف عن بنيات الصراع بين الذوات المتفاعلة في ثنايا هذا المحكي كشخصيات محتملة ورموز إحالية على المجتمع المغربي الناهض في لحظة اكتمال دورة الخمسينيات وانفتاح دورة الستينيات.

3.2. ليس مكون الآليات وبنيات الصراع وحده هو الذي يضع هذا النص في طليعة النصوص المغربية السردية التي راهنت على

تقريب الخطاب التخيلي من أسئلة التحول النوعي في الكتابة الأدبية في علاقتها بالمجتمعي، وإنما تضاف إلى ذلك آليات شكلية أخرى منها آلية اشتغال الزمن السردي في علاقتة بالزمن المرجعي. وهي الآلية التي جعلنا نراها مرة أخرى على تحقق قصدية صنعة نموذجية في تحريك الخطاب السردى، وجعله يتجاوز التصورات التقليدية التي كانت مطبوعة بالخطية واستبدال الرؤية من الخارج : إن نص « عدا تتبدل الأرض » في هذا الإطار بقدر ما يتعامل مع زمن مرجعي مباشر هو نهاية الخمسينات وبداية الستينات (ما قبل زلزال أغادير بسنة تقريبا)، بقدر ما تخلخل زمنية النص عن طريق تقنيات متقدمة كالتبئير<sup>(7)</sup> والتسريع<sup>(8)</sup> والموجز<sup>(9)</sup> وغير ذلك.

4.2. أما نصوص مجموعة « الصمت الناطق » فإنها - رغم ممارسة الكتابة (خناثة بنونة) للكتابة منذ ما يقارب ثلاثة عقود، وربما أكثر - تظل نصوصا محكومة برؤية استيطيقية ثابتة لا تتحول عن لحظات تشكل القصة المغربية القصيرة قبل السبعينات بأشكالها وموضوعاتها ولغاتها ووظائفها. وفي هذا السياق نستطيع المراهنة على أسئلة إشكالية تعززها كتابة (خناثة بنونة) من خلال هذه المجموعة هي أسئلة الشكل والدلالة اللذين يظلان حبيسي نظرة أفقية للأدب والمتخيل والمرجع إلى حد أننا قد نتساءل ببساطة : لماذا تكتب (خناثة بنونة)؟ ولمن تكتب؟، وحتى إذا سلمنا بوجود تصور محايث لمثل هذه الكتابة لدى (خناثة بنونة)، فإننا لن نعدم بعض الحق إذا اعتبرنا شكل القصة القصيرة لديها شكلا ذا قالب تكراري في بنائه وفضاءاته وموضوعاته وشخصياته. ويتجه

الملفوظ ضمن هذه الأبعاد وجهة مونولوجية يهيمن فيها خطاب « المؤلف » بشكل راسخ على ملفوظ الشخصيات المتخيلة المنحوتة في ثنايا النصوص، رغم الإيهام بحوارية يعقدها مع خطابات ولغات أيديولوجية بتماوج فيها السياسي مع القومي - العربي ويتقاطعان، كما تعكس ذلك نصص كثيرة في هذه المجموعة إن لم تكن أغلبها.

2.5. إذا اعتبرنا مجموعة « الصمت الناطق » حالة وسطى - على مستوى الملفوظ - بين ملفوظ « غدا تتبدل الأرض »، وملفوظ ديواني الشاعرة (مليكة العاصمي)، فإن هذا الأخير ينشد بدوره إلى نبرة غالبية هي نبرة ذات متعالية « تتكلم » في النص الشعري (النصوص الشعرية) لغة مكرسة، هي لغة الحرمان والعزلة، الشيء الذي يقرب لغة الديوانين معجميا من معاجم الشعر العربي بكل تفريعاتها الرومانسية والمثالية - الاستيهامية، وهو الطابع الذي يغلب على لغة الديوان الثاني « أصوات حنجرة ميتة » مقابل لغة نمطية تنشر ظلالها على نصوص الديوان الأول، وتجعله يحاور رسميا « لغة » شعر (البياتي) و(حجازي) و(عبد الصبور) ويسترفد منها بشكل تحويلي بين يجعلنا نطرح سؤال : هل هو « قلق التأثير » الذي تحدث عنه (الوران جيني) « استراتيجيات الشكل » (مجلة « شعرية » (Poétique) عدد 27، 1976، ص 258)؟ وكان الأمر « عقدة أوديب حقيقية لدى المبدع الذي يسعى إلى تغيير النماذج »؟.

## الهوامش :

- (1) «عزيزتي فريدة : يظهر أن الوقت قد حان لتنفيذ خطتنا أمام عدم موافقة أسرتك على زواجنا وأرى أن نتفق على موعد بعد العطلة، وبالضبط أثناء خروجك مع الطالبات في أول أحد بعد العطلة حتى نذهب إلى مكان مجهول، لكن تأكدي أنك أحضرت معك نسخة من الحالة المدنية فربما نحتاج إليها، فإلى اللقاء يا عزيزتي.  
حبيبك المخلص : علي
- (2) ونصها : «الأنسة أنسة : يشرف الكاتبة العامة لنقابة مصابر السمك أن تستدعيك لحضور إجتماع المسيرات الذي سينعقد بصفة استثنائية غدا الأحد على الساعة 9 صباحا، ولك الشكر».
- عن الكاتبة العامة وبأمر من عبد الله
- (3) ونرد مقتطفات منها كالتالي : «لست أدري كيف قطعت المسافة الطويلة من الرباط إلى أكادير... قطعت هذه المسافة صامتا رغم الأحاديث التي تدور حولي بين الركاب... (إلخ)».
- (4) من ذلك مثلا :
- ص 27 : «وحملت في نفسي حقدا مرا للرجل الذي دخل حياتها...»
- ص 40 : «بسهولة سأفرض عليها احترامي وسوف أبرهن لها أن السيطرة على الآخرين لا تعد في سهولة مضغ اللبان».
- (5) يحتكم هذا النص إلى فقرات مستقلة تتخللها شذرات سردية متناوبة بعضها ينسب إلى السرد وأخرى إلى العرض Narration/Représentation.
- (6) وأساس ذلك التنوع بين قضيتين متداخلتين : إحداهما مسرودة والأخرى منقولة في شكل إرجاعات مستقلة.
- (7) من ذلك ما نجده في صفحة (13) حيث تبار ليلة موت الأم بعد أن كانت الساردة قد استغرقت في الحديث عن ذاتها.
- (8) من ذلك ما نجده في صفحة (30) : «أحداثا من هذا القبيل كانت تضايقني إلا أن مرور ثلاثة أو أربعة أسابيع جعلني التحق بباقي الطالبات لأضحك بدوري على سينات الحظ... (إلخ)».
- (9) ونجد كذلك أمثلة كثيرة منها :
- ص 14 : «وبعد مدة لا أدري أكانت طويلة أم قصيرة، جاء وأخذها مني وامتدت الأيادي من كل جانب...!»

- ص 58 : « وفي اليوم الثاني رافقتنا أمها لزيارة الضيعة بعد أن أحضر السائق السيارة. وكان يوما لطيفا استطعنا أن نظفر فيه بالمرح بين أشجار البرتقال والموز والمياه الجارية في السواقي... (الخ) ».
- ص 168 : « مر شهران أعمل فيهما ممرضة وخلال هاته المدة استطعت أن استرجع كثيرا من الشجاعة على الحياة... ».



## الكتابة والمرأة : المغرب نموذجا

نجاه المريني(\*)

هل الكتابة والابداع مجال خاص بالرجل، لا يمكن للمرأة أن تدخله؟  
هل هناك أدب نسوي أو نسائي في مقابل الأدب الذكوري أو الرجالي؟

يقول قاسم أمين محرر المرأة المصرية، وصاحب الكتابات الملتهبة حول المرأة [تحرير المرأة - المرأة الجديدة]، مجيبا بصفة عامة : «إن كل ما نستطيع أن نفعله نحن الرجال، تستطيع النساء فعله، بل ويفعلنه، وكل ما هو مباح لنا مباح لهن، وكذلك فإن كل محرم علينا محرم عليهن أيضا».

ويقول الأستاذ الزعيم علال القاسي في كتابه : [النقد الذاتي]، في فصل خصصه لنقاش موضوع الأسرة والمرأة (ص 304) : «إن من حق المرأة أن تتساوى مع الرجل المساواة التي لا تتنافى مع طبائع الأشياء، ولذلك يمكنها أن تشارك في الصالح العام بالخدمة والفكر والارشاد، يمكنها أن تشغل مركز العمل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في الجماعة وفي الدولة، وكل ما يدعيه الناس نقصا في

(\*) أستاذة بكلية الآداب بالرباط

المرأة عن مستوى القدرة الموجودة عند الرجل، فليس إلا من آثار ما صنعتها أجيال الاضطهاد وعصور الانحطاط، وإن المرأة لقادرة إذا تركت وشأنها أن تصل للقيام بجلال الأعمال ومهمات الأمور».

ويلخص الأستاذ الطاهر الحداد رأيه في تعليم المرأة في كتابه «امراتنا في الشريعة والمجتمع» بعد أن استعرض أنواع التعليم التي يجب أن تأخذ بها «ص 209»: «... فإذا ما قدر لنا أن نفهم حقيقة المرأة وواجبها وحقها في الحياة، فذهبنا مذهب الحكمة في تعليمها ما تحتاجه، فقد عملنا خيرا ليس للمرأة فقط، بل لسعادة الرجل والأمة جميعا، والأجيال القادمة».

إننا في مرحلة يمكن وصفها بأنها الثمرة التي حرص دعاة محرري المرأة في المجتمع العربي على نضجها واستوائها، فتعلمت وعملت في ميادين مختلفة، وأسهمت بكتاباتها في الدفاع عن حقوقها وفي إثبات كيانها ووجودها كإنسان فعال غير منفعل في مجتمع تطلعت كل هياكله إلى التغيير. وعملت على الثورة على الجمود والتخلف والاستعمار بكل أشكاله وألوانه.

الكتابة النسائية أو الخطاب النسائي بكثير من التجاور في مقابل الكتابة الذكورية أو الخطاب الرجالي، ماذا ننتظر منها؟ أو ماهي الآمال المعلقة عليها؟ هل هناك عداً بين الكتابتين؟ حقول كلمة مجلة الوحدة التي تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية في العدد الخاص بـ «واقع المرأة العربية»<sup>(1)</sup>: «إن الخطاب النسائي ما يزال يملك قدرته الكاملة على التعرية، فهو يتمتع بمصدقية ومصادقية لا يتمتع بمثلها أي خطاب عربي آخر».

لا أدري لماذا هذا التصنيف؟ الأدب النسائي، ما هي مميزاته؟ ما هي خصائصه؟ لماذا لا يكون أدبا إنسانيا تمحى فيه الفوارق بين الأنوثة والذكورة؟ أليس للمرأة الحق في أن تنتج وتكتب وتنظر وتقعّد في مجالات ظن أن للرجل وحده الحق والنصيب الأوفر في الكتابة والتنظير والتقييد والتسيير؟

لاشك أن المراحل التي قطعتها المرأة في حياتها كانت قاسية ومؤلمة، استبد فيها الرجل بسلطات مطلقة، فأخضع المرأة لسلطته، واستبد بها وبحقوقها، وأوعز إليها أنها تابع لا شأن لها في الحياة، ولا دور لها في تحمل المسؤولية غير الخدمة والطاعة والإنجاب.

إن الصراع من أجل إثبات الذات كان عنيفا تارة، وهادئا تارة أخرى، تعددت وسائله وتنوعت أساليبه، وكانت الكتابة إحدى الوسائل التي استعملتها المرأة من أجل إسماع صوتها والدفاع عن حقها، وإثبات وجودها وكيانها كإنسان له حقوق وعليه واجبات، وكانت المتنفس الذي يستطيع أن يبلغ الرسالة في هدوء واتزان إيماننا بخوض معركة الحرية.

وموضوع الأدب النسوي أو الكتابة النسائية ليس بالموضوع الجديد أو البكر في الساحة الأدبية العربية... فأشعار الخنساء، ومجالس السيدة سكينة، ومجالس الأميرة ولادة، ورسائل مي زيادة، وكتابات ليلى بعلبكي وكوليت خوري، وخنائة بنونة كلها نماذج صارخة لمشاركة المرأة على عدة مستويات في الحياة الأدبية والعلمية والاجتماعية والسياسية منذ العهود الأولى إلى اليوم.

و حين تفرض المرأة وجودها في ميدان الكتابة الجادة تصطدم  
بعدة عوائق تعمل على التقليل من شأنها وقيمتها، باعتبار الكتابة  
من اختصاص الرجل، كما يقول الشاعر :

ما للنساء وللكتابة والعـمـالة والخطابه  
هذا لنا، ولهن منا أن يبتن على جنابه

وكما يقول شاعر آخر :

علموهن الغزل والنسيج والردن، وخلوا كتابة وقراءه  
فصلاة الفتاة بالحمد والإخلاص تغني عن يونس وبراءه

فبالرغم من إيمان الرجل بأن العمل الإبداعي تعبير عن أصوات  
مكبوتة وخفية، تردد صداها طويلا قبل أن يظهر واضحا جليا في  
حقل الكتابة، تعبيرا عن كينونة وجود، وتحقيقا لتحرير فعلي من  
حصار فرض عليها بقانون القوة، لا يستسيغ تفوق المرأة في ميدان  
الكتابة، ولعل إسهام المرأة في مجال الكتابة هو إسهام في عملية  
تحرير المرأة من الجمود والتبعية والإضطهاد، ومن التمييز بين  
الكتابة الرجالية والكتابة النسائية. إن كل كتابة - كيفما كانت -  
تسعى إلى التغيير، وإلى التحرر من كل القيود التي تخنق الفكر  
وتلغيه.

بالنسبة للمرأة الكاتبة في المغرب، فقد استطاعت أن تؤكد  
حضورها الفعلي في مجالات الكتابة المتعددة، وأن تسهم بكتاباتها  
في توعية المرأة بواقعها المتخلف، ودعوتها إلى التعلم والتحرر من  
ربقة الجهل وعبودية المستعمر.

وبالرغم من ضعف أو قلة إنتاج المرأة المغربية في ميدان الكتابة لظروف متعددة وأسباب كثيرة، فإن ذلك لا يقلل من أهمية هذا الانتاج وقيمتة بالنسبة لإنتاج الرجل وإسهاماته في ميدان الكتابة والإبداع.

إن في هذه الكتابة عنقا حميميا لطموحات المرأة في تغيير النظرة التقليدية إليها، وفي معالجة الشروخ التي أحدثتها الهيمنة الاجتماعية للتقليص من دورها ومن مردودية عطائها، فخاضت وتخوض معركة تحرير هادفة، وسيلتها القلم الرصين، وغايتها دحض الزعم المترسب في الأعمال بدونية المرأة وعجزها عن مواكبة الكتابة الذكورية، بعيدا عن كل حساسية وضيق تفكير، لتصبح فاعلا بعد أن كانت مفعولا به في مجتمع لا يؤمن إلا بقدرة الفاعل.

ورغبة في التعريف ببعض الكتابات النسائية المغربية، فسأحاول التعرض لنموذجين إثنين لهما مكانتهما في الساحة الأدبية المغربية، مع العلم أن المرأة المغربية اليوم أصبحت تمارس الكتابة على مستويات عديدة، وفي مجالات تخصصية دقيقة وإبداعية متنوعة.

**النموذج الأول :** ويمثل الدفقة الأولى لعطاء المرأة بإسهاماتها الفعالة في ميدان الكتابة منذ الخمسينات... نحن نعرف أن النهضة الأدبية في المغرب تأخرت بأكثر من قرن عنها في بلاد مصر، وأن بذورها نمت وترعرعت بعد الاتصالات والبعثات العلمية التي كانت توفد إلى بلاد مصر في الشرق وإلى فرنسا وإسبانيا منذ عهد السلطان الحسن الأول.



وبديهي أن يكون بروز المرأة في ميدان الدرس والعلم متخلفا ومتأخرا، لأنها لم تحظ بالمشاركة في تلقي العلم - إلا القليلات من النساء اللاتي حظين بذلك في المساجد والزوايا وفيما كان يعرف بدار فقيهة - ولا بالقراءة والكتابة إلا في بداية الأربعينات من هذا القرن.

الحديث عن النموذج الأول للمرأة الكاتبة المتعلمة في المغرب هو ابن المنطقة الشمالية، بل ويكاد يكون رائدا للنهضة الأدبية النسائية في المغرب، وأعني به الأستاذة الباحثة أمينة اللوه، إحدى رائدات التعليم في فترات الاستعمار الإسباني للمنطقة الشمالية، وهي بقدراتها العلمية والأدبية تمثل بحق قدرات المرأة المغربية وطموحاتها وتوجهاتها في فترة عصيبة من تاريخ المغرب، وبعدها في فترات الاستقلال إلى اليوم...

الأستاذة أمينة اللوه من مواليد مدينة الحسيمة، تلقت تعليمها الإبتدائي والثانوي بمدينة تطوان، والجامعي بمدينة مدريد في إسبانيا. قرأت - كما تذكر ذلك - أمهات الكتب العربية: الأمازي للقاللي، الأغاني للأصفيهاني، العقد الفريد لابن عبد ربه، نفح الطيب للمقري، وغيرها من الكتب التي أثرت رصيدها المعرفي، وحببت إليها اللغة العربية قراءة وكتابة بالرغم من كونها تلقت تعليمها مزدوجا عربيا وإسبانيا.

عملت الأستاذة اللوه في سلك التعليم سنوات طويلة، في الإبتدائي والثانوي والمهني، وأعتقد أنها من النساء الأوليات

اللائي حظين بتحمل المسؤولية في الميدان التربوي التعليمي كمديرة لمدرسة المعلمات قبل الاستقلال وبعده، وكمفتشة للتعليم الثانوي، ومكلفة بمهمة بوزارة الثقافة، ثم أستاذة باحثة بالمعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط.

ولعل أهم قضية حاولت الأستاذة اللوه الدفاع عنها في كتاباتها هي قضية المرأة : الانتصار لها ولجلال أعمالها كان يشغل فكرها منذ الخمسينات، فكان أول إنتاجها أقصوصة قصيرة عن الملكة خنثة زوجة المولى إسماعيل ملك المغرب ( 1642 م - 1727 م)، وفيها تتحدث عن شخصية هذه المرأة المغربية القوية، وعن دورها في القصر الملكي باعتبارها المرأة المتعلمة الصائبة الرأي، وقد نالت الأستاذة اللوه بهذه الأقصوصة جائزة المغرب للآداب سنة 1954 م، وقرظتها الصحف الوطنية وغيرها، ثم نشرت تباعا في جريدة «الصحراء» التي كان يصدرها المرحوم الأستاذ علال الفاسي.

هذه الأقصوصة طبعت سنة 1954 في تطوان، معهد مولاي الحسن، بإشراف نيابة وزارة التربية والثقافة، والاقامة الاسبانية في المغرب.

والكاتبة أمينة اللوه، وهي تمثل في تلك الفترة حمية الشباب وتيقظه بالنسبة لقضايا بلادها كالتعليم والحرية والدفاع عن مكانة ودور المرأة في المجتمع، كانت تسعى في كتابها الأقصوصة «الأميرة خنثة» إلى تمزيق ستار الخرافة الذي يفرق بين المرأة والرجل في الدفاع عن الوطن وكرامته، وفي المشاركة في تحمل المسؤولية، بل

إن في كتابتها دعوة إلى العمل المشترك من أجل الوطن ومن أجل الحرية والكرامة.

كما أن السيدة اللوه كانت تهتم بالكتابة عن هموم تعليم المرأة، وعن واقع هذا التعليم، مدافعة عن أهدافه وطموحاته، داعية إلى تشجيع تعليم البنات كظاهرة صحية في مجتمع الخمسينات في تطوان شمال المملكة.

ولاشك أن موضوعي الماجستير والدكتوراه يجسمان هذا الاهتمام ويؤكدانه، فموضوع الماجستير كان عن الطفولة المغربية، وقد نوقش بجامعة مدريد سنة 1965 م، أما أطروحة الدكتوراه فكانت عن «المدرسة العربية في شمال المغرب في النصف الأول من القرن العشرين»، ونوقشت سنة 1968 م، بجامعة مدريد أيضا.

والموضوعان معا كتبنا باللغة الإسبانية، نأمل أن تعمل الأستاذة اللوه على ترجمتهما إلى اللغة العربية وإلى نشرهما لتعميم الفائدة.

ويندرج اهتمام الكاتبة اللوه بالتاريخ الاسلامي من خلال مسرحية تمثيلية تهدف إلى التعريف بنضال المرأة من أجل حريتها وكرامتها، عنوان المسرحية : «كتاب محمد أو إلى دار الأرقم»، وقد نشرت هذه المسرحية بمجلة «دعوة الحق»، العدد الرابع، يبرابر 1968، وفيها نبهت الكاتبة إلى دور القرآن الكريم في تحرير المرأة من عبودية الشرك والجاهلية، ومع الأسف فهذه المسرحية غير مطبوعة.

وللأستاذة اللوه مجموعة مقالات موزعة بين الخواطر والرعشات الابداعية، وبين الكتابة عن شخصيات كثيرة أغلبها كان له دور تاريخي وسياسي، وذلك في أسلوب قصصي مشوق.

من هذه المقالات خواطر كانت تكتبها في مجلة «المعتمد» التي كانت تصدر بمدينة تطوان في الخمسينات، وفي مجلة «الأنيس» التي كانت تصدر أيضا بتطوان في نفس الفترة، من موضوعات هذه الخواطر : «المحبة، من أعماقي، في ربوع الأندلس» إلى غير ذلك.

وفي ميدان التربية والتعليم نجد للكاتبة اللوه مقالات كثيرة في مجالات متعددة، منها دعوة الحق، والإيمان والفنون والمغرب والبحث العلمي وغيرها من المجالات.

وللكاتبة مقالات أخرى تصب في التربية والتعليم لم تنشر بعد، - كما أخبرتني شخصيا بذلك - سميتها «من الملف المدرسي» كما أن لها مذكرات سميتها «حديث الذكريات».

هذه المقالات كانت عبارة عن إسهامات الكاتبة في ندوات مختلفة، وفيها اهتمت بالحديث عن تطور تعليم البنات في منتصف الأربعينات والخمسينات إلى عهد الاستقلال، حيث كان التعليم محرما ومحظورا على المرأة، وفي هذه المقالات أبرزت دور بعض الرجال الأفذاذ الذين كانوا يشجعون على تعليم المرأة، وعلى تطوير ذهنية أفراد المجتمع الذين كانوا يرون في تعليمها سلوكا مشينا لهم ولذويهم.

كما أن الكاتبة سجلت لقطات مفيدة من هذا النوع من المقالات عن المجتمع التطواني في الخمسينات، وعن واقع النهضة الثقافية والفكرية التي كان يعرفها تطوان في تلك الفترة من خلال برنامج إذاعي أسبوعي تحت عنوان «حديث الخميس : فتاة تطوان تخاطبكم».

كما أن الأستاذة اللوه تعنى بالترجمة كميدان حيوي لتعميق التواصل بين الثقافتين والحضارتين العربية والإسبانية، ويشغلها الآن هم الكتابة عن المورسكيين في جنوب الأندلس منذ سقوط غرناطة سنة 1492 م إلى أن تم امتزاجهم بالعنصر المغربي في مناطق المغرب المختلفة، تطوان، فاس، الرباط، وسلا وأسفي. وفي هذا الموضوع تعنى الباحثة بالكتابة عن الثقافة المورسكية بصفة عامة.

- وأغلب مؤلفات الأستاذة اللوه مخطوط لم يطبع بعد، منها :
- شعراء العصر الذهبي الإسباني.
- فصول من كتاب «جولات بالمغرب» للرحالة الإسباني المعروف ببديع العباسي.
- محنة الدين عند المورسكوس من خلال الكتب الرصاصية التي توجد بالجبل المقدس بغرناطة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر.
- فصول من كتاب «العرائس» لغرسيا فيكراس.
- لوحات من كتاب «فاس الأندلسية» لكومس كاريو.
- دور المرأة العربية في الحياة السياسية بالأندلس.



- بقايا اللغة الرومانسية في اللهجة العربية المغربية.
- كلمات عربية فصيحة قديمة في اللهجة البربرية من خلال جرد معجمي.
- معلومات عن العائلة الخطابية، نشر في حلقات في مجلة «الثقافة المغربية» التي كانت تصدر عن وزارة الثقافة.
- ذكريات عن زيارة محمد الخامس لطنجة، أو «فصل الخطاب في المسألة المغربية».
- أوراق ذاوية، وهي «يوميات حرب الخليج».

وقد تحدث العلامة المرحوم المختار السوسي عن الأستاذة اللوه في كتابه «المعسول»<sup>(2)</sup>، في معرض ترجمته لشقيقه الأستاذ إبراهيم الإلفي، فقال: «أتاح الله للمترجم سيدة عالمة لا نظير لها في فتياتنا، وهاك ترجمتها بقلم زوجها الكريم، إلى أن يقول: «ولإلغ أن تشمخ بأن أعلم أنسة مغربية في فجر نهضتنا أضيفت إلى إلغ، أو أضيفت إلغ إليها».

ويختار العلامة المختار السوسي نماذج من كتابات الباحثة اللوه ليثبتها في «المعسول»<sup>(3)</sup>، ويقدم لذلك بقوله: «قرأت لهذه السيدة آثارا قيمة أختار منها ما يأتي:

مجالس النساء :

سيداتني :

يقول المثل : أهل مكة أدرى بشعابها، ومن أدرى بأحوال النساء من النساء؟ فإذا تناول حديثي اليوم مجالس النساء، فإنما هو

حديث عن مجالس أحضرها باستمرار، وأدعى إليها كل حين، مما جعلني مستوعبة لنواصيها عارفة بما يدور فيها، محيطة بحقائقها وخفاياها.

فكان الأجدر بهذه المجالس أن تكون مثال المروءة، ومعرضا للأخلاق الحسنة، ومظهرا لائقا بآداب المرأة المغربية، هذه المرأة العريقة في الاحساب والأنساب، الأصيلة في الأخلاق والآداب، المضروب بها المثل في المحافظة على تعاليم الدين القويم، والتمسك بعادات حميدة، وتقاليد عريقة، زيادة على أن المرأة المغربية أصبحت اليوم تضرب بسهم وافر في الحضارة القائمة، أخذة في التثقيف والتهديب».

أما الأستاذ إبراهيم إلغي، فقد اختار فقرات من كتابة زوجه الأستاذة اللوه - دون أن يذكر اسمها(4) - لينشرها في كتابه «تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية 54/1» (5) : «وكتبت كاتبة مغربية توجه الفتاة المغربية المتعلمة : اربئي(6) بنفسك أن تدوسها المطامع الباطلة، أو البروق الخلاب، فإنك لم تخلقى حلية للاندثار، بل شريكة للحياة، ورفيقة في جميع الأدوار، اربئي بنفسك أن تسكني إلى مهين، أو تحسبي السعادة في النشب المكين، أو تركني إلى مطامع لنيم.

عيشي روحية أكثر منك مادية، واسعدي بسعادة الروح، اجعلي العلوم قبيلتك العظمى، ومحجتك القصوى، ففيها ما تحمدين، قفي في بابها، واخلي نعليك، فإنك في المحراب المقدس».

كما ترجم للباحثة اللوه الأستاذ عبد الوهاب بن منصور في كتابه «أعلام المغرب العربي»<sup>(7)</sup> ومما قال عنها : «لفتت الأنظار بحذقها ونجابتها وهي تعلم، مثلما لفتتها وهي تتعلم».

ومن كتاباتها<sup>(8)</sup> في «حديث الذكريات» في الفصل المتعلق بزيارة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه إلى طنجة في 7 أبريل 1947، وهي تتحدث عن الحفل الذي أقامته بدار المخزن بالقصبة مدارس البنات تحت الرئاسة الفعلية للأميرة عائشة ما يأتي :

«... ولدى عودتي إلى تطوان، كان الحلم أكبر من سني، حلم خلق نهضة تعليمية نسائية شاملة تكون في مستوى الخطاب الأميري، وقد تحقق هذا الحلم الكبير - ولله الحمد - من خلال نضالي في سبيل نشر التعليم بين الفتيات، وتوعية الأمهات بأهمية تعليم بناتهن، وقد استخدمت في ذلك كل الوسائل الممكنة، الأمر الذي يعرفه أهل تطوان جيداً، وتشهد عليه المؤسسات التي عملت فيها وأشرفت عليها، والصحف التي كتبت فيها، والأحاديث الإذاعية التي كنت ألقياها أسبوعياً في إذاعة «درسة تطوان» تحت عنوان حديث الخميس لفتاة تطوان».

تتميز كتابات الأستاذة أمينة اللوه بالهدوء والروية، والاعتزان في أكثر الأحيان، فهي تعالج موضوعات ساخنة دون جلبلة أو ضوضاء، ومن ثم، فهي تنقل القارئ بالنظر إلى الموضوع من التسرع إلى التحلي بنوع من الصبر والتأني لعلاج كل المشاكل التي يتخبط فيها المجتمع بأسلوب رصين واضح<sup>(9)</sup>.

**النموذج الثاني :** وهو نموذج له إشعاعه في عالم الكتابة الابداعية النسائية، إنها الأديبة خناثة بنونة صاحبة الصوت النسوي الصارخ ضد الجور والتبعية والاستبداد.

الأستاذة بنونة من مواليد مدينة فاس، تربت تربية نضالية، ولم تنتظم في دراستها انتظاما يتيح لها الاحراز على شهادات جامعية، وانما حصلت على شهادة الباكلوريا بمجهود شخصي، وكان يشجعها على ذلك الأستاذ الزعيم علال الفاسي، وكما تقول : فقد كانت دراستها فوضوية وشاملة، أهلتها فيما بعد لخوض معركتي السلاح والقلم.

عملت الأستاذة بنونة في التعليم الثانوي كأستاذة للاجتماعيات، ثم هي تشغل الآن مديرة لثانوية ولادة بمدينة الدار البيضاء.

والأستاذة بنونة صاحبة صوت متميز في الثورة على الظلم والقهر، وعلى انصاف الحلول، وتشكل كتاباتها الكثيرة المجال الخصب لتصوير الواقع المهزوم الذي تعيشه المرأة العربية، بل والمجتمع العربي على السواء.

يقول الأستاذ علال الفاسي عن كتابات خناثة بنونة : « لقد مضى عصر القول، والهروب من المسؤولية، والاعتذار المزيف، وأصبح كل شيء يجب أن يؤول بالفعل، نحن نعيش في عصر لا مكان فيه لمن لا يترجم القول إلى العمل » مقدمة النار والاختيار ص 12.

والكتابة تقول : « الثقافة فعل، والفكر فعل، والكلمة جهاد، ذلك لمن لا يريد أن يسحقه عصره ».

من مؤلفاتها القصصية المنشورة :

- **ليسقط الصمت** : وهي أول مجموعة قصصية لها صدرت سنة 1967 م، وفيها أسمعت صوتها النسائي بعفوية وصدق، معبرة عن معاناة العربي في مجتمع متخلف، ممزقة صمت الزمان والمكان كما جاء في أول أقصوصة في المجموعة : « **الصمت الممزق** »، ناعية ما كانت ترى عليه المجتمع العربي إثر نكبة 1967، فهي تقول : « هكذا علمت الظروف أهلي أن يتخاذلوا، أن يسلموا بكل قيد مشروط، أن يتناولوا نتائج الاتفاقات جاهزة، فهي تطبخ في قارة غير قارتهم، وبأدمغة غير أدمغتهم، ولغرض لا يحقق العدل لهم، وهم يقولون بخنوع مطواع : **الظروف** » ( ص 8 ).

وعن معاناتها كأنثى تقول في ثورة : « **ما أفزع أن أكون أنثى بين قوم لم تتجدد قيمهم بعد، لكانني أريد أن أختصر كل النساء في واحدة، لأحطم قيدها جررناه من دهور... ومع ذلك، فما أعذب أن أكون أنثى بقضية** » ثم تضيف قائلة : « **هم لا يحسون أن تحت أطباق صممتي عراقا آخر : بين ما استقر في من أهواء الأرض وتطلعات السماء... بين ذلك الماضي البشري المغلف بأسطورة جرح امرأة، وبين هذا التطلع إلى الانسان الأكمل.. الانسان، الانسان، المرأة الانسان** » « **رب إنني وضعتها أنثى** » ( ص 89 ).

- **النار والاختيار** : مجموعة قصصية ثانية، تعالج قضايا شائكة في عالم اصطلح على تسميته بعالم المرأة، فهي تقول في مقدمة قصة النار والاختيار : « **تمنيت لو أنني لم أنفتح على غير عالم الأعماق، حيث كان وجودي مشروعا مشكوكا فيه** ».



تتميز هذه المجموعة القصصية بالمقدمة التي كتبها الأستاذ المرحوم علال الفاسي حيث قال : « بهذا التمزق تبتدئ خناثة بنونة فقراتها الأولى من قصة النار والاختيار، فتطل بنا على كيائها الأزلي الذي لم ينبثق بعد في هذا العالم الذي نحياه، تهرب بنا من الوجود المظلم الذي صنعه 5 يونيو إلى مشروع وجود لم ينكشف بعد عن شكله، ومن يدري، فربما لو عادت الحياة إلى طريقها لتحول مشروع الوجود إلى كيان مندفع لا كبت فيه ولا هزيمة ».

تشكل المجموعة القصصية التزام الكاتبة بقضية العرب والمسلمين، هزيمة يونيو 1967، هي هزيمة العرب جميعا، يتحملون جميعا مسؤوليتها، وقضية النصر هي قضية وجود وبقاء، بل هي قضية كينونة واستمرار، لذا فالعمل من أجل المستقبل، من أجل الخلاص، من أجل الغد، هو ما تدعو إليه الكاتبة بثقة ومرارة وثورة، ولن يتحقق النصر إلا بالعمل أيا كان نوعه ثقافة وجهادا وفعلا.

وعندما تعمل الكاتبة بنونة على تصوير واقع المرأة المؤلم، بالرغم من كل الأشواط التي قطعتها، فإنما تسعى إلى تصوير واقع المجتمع ككل، بسلبياته ونقائصه، بالحرية المستلبة، وبالوعي الزائف، وبالتحرر المفتعل.

علاقة المرأة بالرجل علاقة الرئيس بالمرؤوس، علاقة التابع الذي لا يحق له أن يبدي رأيا أو يعترض على رأي، عليها مهما كانت ثقافتها ونضجها، ودرجة وعيها أن تقبل كل ما يسطر لها دون

نقاش، لأنه - أي الرجل - أنضج فكرا وأبعد رؤية، كما جاء على لسان الأم وقد تقدم لابنتها عريس : « لكنه سيريد فيها الزوجة لا ذات الخلوات، ولو كيفما كانت هذه الخلوات : فمحرم على المرأة أن تبدي رأيا، أو حتى أن تحاور نفسها في خلوة، فتبحث عن الانسان في الرجل، هل فعلا تجد فيه تلك الشخصية المتوازية التي تؤمن بالمرأة وعطائها ومكانتها، أم أنه كغيره يتسلط على أبسط حقوقها في مجتمع يدعي «التحرر»، وفي حوار ليلى (بطلة قصة النار والاختيار) لنفسها تدلي برأيها بصدق : «إننا نسير في خطين لا يلتقيان، ولن تتمكن الاغراءات الاجتماعية أن تنطلي على بصيرتي» (ص 125).

إن الاستعباد ما يزال يشكل النبض الحقيقي للمجتمع المتخلف، والمرأة الأنثى هي الوجه الحقيقي الذي يسعى الزوج أو الرجل إلى امتلاكه، وتطلق الكاتبة في ثنايا القصة صرخات مدوية تعبر من خلالها عن المسكوت عنه، تقول : «في البدء، كانت الكلمة، لكن الآن، أوف، ماذا أقول؟ إنني أنتظر، وأنا أيضا، ماذا علي أن أقول، لو تدري أي جحيم وسط الجنان، في جنتك يقبع جدار دون النعيم، دون النسيم، دون الحرية» (ص 202).

وترهق الحقيقة المرة فكر المرأة وتتقاذفها أمواج الحيرة والغضب في آن واحد، بين المظاهر الخادعة والواقع المهزوز، فتطلقها زفرات: «كل شيء تسأله... ياناس، يابحر، يا أشياء، ياما أفهمه، وما لا أفهمه، قلب أم قلوب، وغاية الانسان في القريب أو البعيد؟ ليجيني أحد وليحدثني عن نيران اللهب وجنانه، وكيف التنصل؟

هكذا كانت تتسكع في التسكع، وترمي الخطوات وتبعثرها... المدينة ضاجة والدروب تصب في بعضها، ولعل كل هؤلاء لم يكن لهم ما فقدوه، فهم راضون بالقليل الذي كان لهم ولا يزال، بينما لا يضيع غير من أثقل حاضره بمستقبله، فباغتته رجة وضاعفت من عدم توازنه ورمت له كل شيء في اللاشيء « (ص 204).

فهل المرأة لم تخلق إلا لتفي بحاجات المجتمع، وتنتقل من ملكية إلى أخرى، ومن وصاية إلى وصاية؟ أين تطلعاتها وأحلامها؟ أين كيانه؟ أين وجودها؟ أين الانسان في داخلها؟ في أعماقها؟ ما يراد لها أن تنفي ذاتها وتلغي فكرها، وتضحى بكل شيء من أجل الآخر في تسامح ورضى وقناعة، تعلو محياها ابتسامة رقيقة هادئة، فلم الثورة والتمرد والغضب؟

[وقد حصلت الكاتبة بهذه المجموعة القصصية على الجائزة الأدبية الأولى في المغرب، وجعلت مبيعاتها هدية لمنظمة التحرير الفلسطينية].

– الصورة والصوت : حاولت الكاتبة في هذه المجموعة القصصية التعبير عن واقع مهزوز في عالم طغت فيه المادة على القيم، مبرزة مساوئ الاحتكار والظلم، من ذلك قولها مخاطبة نفسها كبطلة لقصة «نهاية موكب» وقد ساومها أحدهم : «لن أمد له يدي بأجر، لن أواكبه بعطاء، لن أتركه يعيش فساد العصر... العطاء لكل من صعد فوق...» (ص 45).

والكاتبة في هذه المجموعة القصصية ملتهبة المشاعر. متقدمة الأحاسيس، لما ترى عليه الناس في حياتهم اليومية، ولما تتطلع إليه من تغيير يجب أن يعم المجتمع ليتحرر من القيود التي تشل حركته وتطوره، تقول في مقدمة قصتها «في اليقظة، في الحلم» (ص 51) «إن الدم هو الذي يتكلم، يهدر في سيلانه ليصعق الصمت الذي ران على الحياة من قرون، فولد الهزيمة في الفكر والسواعد والشعور والأنظمة، مع أن لغة التاريخ هي هي : من لم يشتر الحياة بالموت لن يحيا أبدا».

إن الأزمة الخانقة التي تعيشها المرأة هي أزمة المجتمع ككل، تشل حركته وفاعليته، وتسلب عنصريه الرجل والمرأة ذاتهما وإرادتهما، وتحول أحدهما إلى قاهر والثاني إلى مقهور، وتنعدم بذلك أبسط شروط الحرية التي يطالب بها المجتمع، وتنتفي القيم المثالية التي يحاول أن يتمسك بها الجميع.

إن القهر الذي تعاني منه المرأة هو قهر للرجل في نفس الآن، إذ أنه لا يتمتع بحريته بوعي واستقلال كما يعتقد، فالعلاقة مع الآخر (وهو المرأة) يشوبها التوتر والاستغلال، ويستحيل معها قيام علاقة اجتماعية ناضجة، تسهم في بناء كيان فاعل غير منفعل، تتحطم فيه صورة الرجل التقليدي والمرأة التقليدية، إذ أن تحرير المجتمع مرتبط بتحرير المرأة، لا يمكن فصلها أبدا، فالنخاسة في الأبدان إن الأفكار أو المبادئ أو العواطف يجب أن تموت (ص 65).

وتعبر الكاتبة عن تدمرها من كل ما يحيط بها، تقول في قصة في المنفى : «من استيقظ مات، قتلته يقظته، بيده أو بيد الحاكم أو

الفهم أو الله... إنني أرفض الهوامش : حتى من أحبهم، الذين دخلوا تاريخ القطيع العالمي بواسطة الدم والنار، ليقولوا إننا نوجد... قد رفضوا بعملهم هوامش حياتهم ليحققوا عبر تمام الموت تمام الحياة من الغاصب المغتصب، القوي والمكافح، القاهر والمقهور... كل شيء ولا شيء، وأنا، كلنا، وأنت، وحتى هم : المناضلون : أي خليط، إن العالم خليط» (ص 65). ويهزنا السؤال الملح : «وهل سيظل خليطاً؟ لأن الكلمة لا تفعل شيئاً، وكيف اقترب، والقرب دائماً ليس غير تعبير، التعبير كان على الصعيد التاريخي مستوى حضارياً، وهو الآن قافلة للزيف، نسمعه، تسمعه، تسمعونه، دون أن يبلغ أي أذن، الانفجار لا زلنا ننتظره، حيث الأذان والقلوب وبعض الحقائق والقربى توجد، مليون، ملايين، كلمة، وموقف وتجربة، أخبرت أن المرأة للرجل، بطن الأرض معبأ بعويل عميق سحيق هامس صخاب لامرأة أولى كانت على سطح هذه الأرض، تذرّف الدمع والزفرات بحثاً عن آدم، الأرض لا تربع أو تتفرج إلا في آهة أولية».

ومن مجموعات الكاتبة بنونة كذلك «العاصفة» صدرت سنة 1979 وهي أيضاً تتناول بالنقد نظرة الرجل الى المرأة كجنس، وصراع هذه الأخيرة من أجل إثبات ذاتها وثورها على التنميط الذي يعرفه الواقع المتردي في المجتمع المتخلف، وترى بأن السكوت عن تناول هذا الواقع ومحاولة إصلاحه خيانة.

– الصمت الناطق : مجموعة قصصية صدرت سنة 1987، وفيها حاولت الكاتبة طرح مشاكل اجتماعية وسياسية كانت المرأة فيها بطلّة الأحداث في إطارين وطني وعربي، مؤكدة ما استطاعت أن



تحققه بوعي والتزام في الدفاع عن قضاياها ومشاكلها الاجتماعية والسياسية.

– الغد والغضب : رواية صدرت سنة 1987.

\*\*\*\*\*

إن إسهامات المرأة المغربية في مجال الكتابة على تنوع ميادينها كثيرة، إذ طرقت أكثر من باب : في الاجتماع والسياسة، والقانون والاقتصاد، والأدب، والتراث، وتناولت في كتاباتها ومؤلفاتها موضوعات شائكة ودقيقة بمنهج علمي وتصور واضح رصين، ورصد مثل هذه الكتابات يتطلب أكثر من دراسة عميقة متأنية ينصب فيها الاهتمام على الكتابة باعتبارها رافدا من روافد العطاء الفكري الناضج دون تفريق بين الكتابة النسائية والرجالية.

(1) السنة الأولى، ع 9، يونيو 1985.

(2) – المعسول، ج 2 : 320.

(3) – نفسه، ج 2 : 323.

(4) أخبرتني بذلك شخصيا، في جلسة معها بتاريخ 20-4-1993.

(5) نشر سنة 1954 في جزأين بتطوان.

(6) ارتفعني.

(7) 15/1.

(8) لأول مرة تنشر هذه الفقرة.

(9) حصلت الباحثة اللوه على وسام العرش من درجة فارس سنة 1988.

ملاحظة :

– استقيت المعلومات الخاصة من الكاتبة أمينة اللوه مباشرة، ومن الكاتبة خناثة من خلال بحث جامعي انجز تحت إشرافي لنيل الإجازة في الأدب العربي موضوعه : «صورة المرأة في كتابات خناثة بنونة» للطالين لحسن الشكري وعبد الرحمن بشني السنة الجامعية 89-90.

## المرأة في الملحون

أحمد سهوم(\*)

إن التعامل مع « المرأة في الملحون » لا ينبغي أبدا أن ينحصر في موضوعها المعروف : « العشاقى ». والأفسنسى إلى المرأة وإلى الملحون على السواء.

ف : « المرأة في الملحون » ليست عاشقة أو معشوقة فقط، ولا عاشقة معشوقة فحسب... وإنما هي أيضا تلك الفتاة التي تثور ضد الزواج غير المتكافئ في « الشايب والشابة » للتركمانى مثلا. وهي زوجة السكير التي تعاني وتكابد لأصلاح ما فسد من طباع زوجها في مثل قصيدة « الصبارة » لـ : « ولد الموشوم »، وهي الأم التي تمن على ابنها - ومن حقها أن تمن عليه - أن ربتة التربية الحسنة التي جعلت منه الرجل الكامل، في « عجوز أو شابا » للتركمانى.. و« العابدة » للشيخ المكي، والمحبة لرسول الله، التي تعطي تاجها للسائل الذي استغاث باسمه الكريم، وهي لنفس الشاعر...

ثم عندما يكتب شاعر الملحون عن الخالدات في النساء « مولاتنا خديجة » أم المومنين في نزول الوحي وفي فتوره. « مولاتنا فاطمة الزهراء » وهي زوجة لأزهد رجل عرفته الانسانية بعد رسول الله...

---

(\*) شاعر وباحث في الملحون (الشعر الشعبي).

نعم تعتبر مثل هذه القصائد من المديح، ونحن لا ننكر هذا، إنما نضيف أنها صالحة للاقتداء. وسنبين ذلك في حينه.

المهم الآن هو التأكيد على أن المرأة حاضرة في كل الموضوعات التي طرقها «الملحون» وليس في العشاقى فقط.. وعلينا أن نبحث عنها في كل تلك الموضوعات، وسنبداً البحث من هذا المقال، ولا حرج في أن نبدأه بـ: «العشاقى» مادامنا ننوي تفصيل القول، وتوضيح الرؤية، والابتعاد عن كل ما هو مجرد إجتراح سخيف، أو تقليد زائف...

### فما هو «العشاقى»..؟

هل هو تجارب عاطفية صادقة أنتجت إبداعات حية خالدة؟ أم هو مغامرات غرامية محمومة أثمرت إبداعات ملتهبة؟ أم ليس هذه ولا تلك، وإنما هو التعبير فقط قصد التعبير.

عن السؤال الأول أجيب بكامل الاطمئنان : أن نعم، في «العشاقى» قصائد عاطفية صادقة، بل أن من شعراء الملحون من عاش تجربة عاطفية واحدة طوال حياته، مثل محمد بن سليمان، ولنجعل شعره النموذج للملحون العاطفي الصادق، يقول في «داليته» ف: الروح اسبابي خال ف: وردة».

ويقول عن هذه الوردة : «فَاتْحَافِي غُصْنُ اسْمَا فِي رِيَاضُ عَالِي مَن سَعْدِي» هذه «الوردة» هي في أعلى غصن، من أعلا روض».

وفي لاميته : « غير جيبو » ورده « من شي رياض سورو عالي »  
 هنا أيضا « ورده » وأيضا في روض محصن « سورو عالي » يرمز  
 إلى هذه المحبوبة بالوردة لا في داليتها، ولا في لاميتها، ولكنه في  
 قصيدة أخرى من : « مكسور جناح » يرمز لها بالياقوتة :

« ابْهَا وَعَلَا مَنْ الْبَدْرُ يَأْقُوتَا مَحْضِيًّا فِي جَيْبِ السُّلْطَانِ » ونعرف  
 أنها هي هي، من الحصانة والصون « في جيب السلطان » والسلطان  
 هنا بمعنى المنعة، أو ما نسميه بالدارجة « الحجبا والرتبا » هنا في :  
 « جيب السلطان » وهناك « رياض سورو عالي »، وهناك « غصن  
 اسما في رياض عالي، ويضيف في المثل الأول : « سعدي »

فَاتَّحَا فِي غُصْنِ اسْمَا فِي رِيَّاضِ عَالِي مَنْ « سَعْدِي »

ولست أدري على وجه التحديد هل كلمة « سعدي » بين قوسين،  
 فنفهم منها الكلمة المقابلة : « من نحسه » أي من سوء طالعته أن  
 تكون الفتاة التي أحبها في كل هذا الصون، وأن تكون « عزيزة »  
 بمعاني اللفظ الثلاث... حتى لا يمكن التوصل إليها بالمرّة... أم أنه  
 يعني كلمة : « سعدي » كما هي، فنفهم منه أنه لا يحب الفتاة  
 الرخيصة المبتدلة المتاحة باستمرار وإنما من حسن طالعته أن تكون  
 غير متاحة حتى ولو بقي هذا الحب من غير أمل إلى آخر رمق.

ويصف حاله مع هذا الحب العنيف فيقول :

هَاجُ وَجْدِي وَفَرَعُ جَهْدِي مَدَامْعِي زَادُوا سُهْدِي طَالَتْ عَلَيَّ يَا تَشْفَافِي، هَذَا الْفَقْدَا  
 كَالْحُمَامِ الْفَرْدِي شَلَا تَفَارِدِي وَنَا وَحْدِي بِالْمَحَبِّ جَنَحَانِ رَأْبِي قُولُوا عَمْدَا  
 بَعْدَ صَهْدِي وَتَلْجِي وَبُرْدِي ثَنَا هَدِي تَحْمِي نَشْدِي لَأَ مَا نَبْكِي طَالَ غُذَابِي هَدِي مُدَا

ويقول في مطلع لاميته :

أه من قلبي يشكي بـ: الغرام ما هو سالي      أو اللئى ما يعذرنى هكذا ابخالي ببلا  
غير تارا بردي ترا أجمار هذا حالي      كل ساعا ياتي لي طيب ابخال الصلا

ويحدثنا عن محاولاته اليائسة في التقرب إلى المحبوبة :  
والنموذج هذه المرة من قصيدة « الشهدة ».

أما أمشاخي تحت أقدامك لأحت الغمايم      لو كان كان قلبك نصراي لا غناه يليان

ويصف لنا حاله بين الناس وكيف جعله هذا الحب :

من غير حال توجدي ما بين الأسواق هايم      ترى نغيب ترا نحضر حتى تقول: سكران  
فـ: الحب هكذا حالي      غير سلم لي يا من لأبلاه وعذرت

والحق أنه لم يكن يلقي القول على عواهنه عندما كان يتفوه  
بعبارات مثل : « دابا نضرق اخيالي... غير جيت انبري فـ: الروح  
قبل تخرج من جسدي » فـ: الروح اسبابي، خال فـ: « وردا »  
فلكأنني به كان يحس بإحساسه الصادق، أن هذا الحب القوي  
العنيف، المتنمر سيؤدي بحياته لا محالة وكذلك كان، فلقد بكته  
حضيرة الملحون، ولما ينتهي العقد الثالث من عمره، رحمه الله.  
من شاب كان صادقا عندما قال في وصف نفسه وخلقه الرفيع :

قلبي كبير، مشروح، صغير الرأس فـ: الولائم      طبعي رهيف فاين توجد مثلي وليس ثوهان  
خسني نضرق اخيالي      عاد يندم من كان فـ: عيبنا مكنر

وكنموذج للقصائد العاطفية الحية، قصائد الانفعالات الشعورية  
الصادقة أسجل هنا النص الكامل لقصيدة « الياقوتة » وهي لهذا  
الشاعر الشاب محمد بن سليمان و« الياقوتة » كجل قصائد بن



سليمان يختلط فيها التجريد بالتشكيل، ويمتزج المطلق بالمعين، ولو أن أهل الملحون الذين عاصروا بن سليمان - بن علي وغيره - وصلهم شعره، وأحسوا به، واستطاعوا أن يفقهوه، لكان ديوان هذا الشاب، نقطة تحول هامة في تاريخ الملحون، ولكان الملحون اليوم، في أعلى مراتب فن القول الرفيع، ويرحمه الله إذ يقول في هذه القصيدة وبحق:

اشْحَالْ عَايِرُونِي بِالتُّيْهَاءِ : الْأَقْوَالُ

الَّتِي بَلَاخُفًّا جَاهُوهَا

حَسَّتِي الدُّهَاتُ مَا عَرَفُوهَا

عيروه بتحليقاته التي لا تكاد تنتهي، وبسياحاته التي تتخطى كل الحدود... وبهذه «الألغاز» التي لم تكن مألوفة عندهم يومئذ.

فَ: زَمَانُهَا غَرِيبَةٌ مَا جَابُوهَا امْتَالُ

هو يقول عن هذه القصيدة... فَ: «زَمَانُهَا غَرِيبَةٌ» أما أنا فأقول - ديوان بن سليمان من ألفه إلى يائه غريب في زمانه، بل ان بن سليمان نفسه غريب زمانه.

فَ: زَمَانُهَا غَرِيبًا مَا جَابُوهَا امْتَالُ

وَحَسَّتِي فَ: الزَّمَانُ الْفَاسَايْتُ

وينتقل إلى «الياقوتة» :

الشُّمْسُ مَنْ ضَنِيَاهَا غَارَتْ  
وَالَّتِي يَكُونُ عَنْ قُلُوبِهِ ثَابِتُ  
تَارًا يُقُولُ حَسْمَرًا

تَارَا سَنَفَرَا  
وَلَوْنَ فَنَجَرَا  
مَاشِي نَقَرَا مِّنَ الْأَصْلِ مَا هِيَ مَطْبُوعُ  
وَلَا هِيَ فَخْزِينُ عِنْدَ عُلَيَّ مَانِي  
نُورِيكَ سُومَهَا؟ مَا هِيَ مَشْرِئَا  
مَنْ جَنُوتَ رَضُنَا  
هِيَ: «عَرَفَا مَنَ بَحْرَ الثَّقَافِ» صَافِي مَجْرَاهَا  
ابْنَهَا وَعَلَا مَنَ الْبَدْرُ يَاقُوتَا مَحْضِيَا  
فِي جَنَابِ السُّلْطَانِ  
وَقَانِي بَ: الرَّافَا بَلَا شَمُوعُ رَسَامِي ضَوَاهَا

ويفرق في ضياء برق الاشراقة التي أشرقت عنه من وجهها،  
والتي سرعان ما اختفت لتتركه يبكيها في: «الشهادة» في  
«اللامية» في «الدالية» إلى أن وافته المنية إنها «الدراما»  
الحقيقية لمن يبحث عن «رائعة مغربية لمسرح مغربي» طبعاً لا  
أعني «الياقوتة» وحدها، وإنما أعني «حياة بن سليمان» جملة  
وتفصيلاً: حبه المأساوي لهذه الياقوتة أو «الشهادة» أو «الوردة».  
معاناته مع أهل الملحون في عصره، وخصوصاً منهم «بن علي ولد  
أرزين» القطيعة، أو هي الجفوة التي طرأت على علاقته بأهله  
وذويه... إصابته بداء تضخم القلب، لقد انهمر الدمع من أعيني  
وأنا أكتب هذه الكلمات.... قاله وحده الذي يعلم ما ألقى من عناء،  
كلما تعاملت مع شعر هذا الانسان.

اضْئُوي مِّنَ الْمَصَابِغِ فِي دَاجٍ إِلَى كُحَالِ  
وَبَهَي مِّنَ التُّرْبَانِ تَكْئِدِي  
وَبَهَا مِّنَ «الْبَدْرِ الْمُبْدِي»  
«عَلَى التَّمَامِ هَذَا قَمْنِدِي»

«البدر المبدى» أي الظاهر. من بدا يبدو ولكنه خشي أن يقول  
الخصوم «لبدر المبدى» أي الذي في بدايته، ولا يزال كالشعرة،  
فسارع إلى القول «على التمام هذا قصدي».

ضَمُوا مِنْ الْمَضِيَّاتِ = الشمس  
فِي مَنَاجِدِ حَبِيبَاتِ  
عَلَى الْبَنَاتِ = البَنَاتِ  
هَذَا هُوَ كَمَالُهَا وَضِيَّاهَا شُعُورُ  
وَالْبَرْقُ الضَّارِي فِي شُرُوقِهَا قَانِي  
لَعَنُوا مِنْهَا فِي شَطْنِهَا مَذْهَبُهَا  
شَطَطَانِ تِلْكَ الْأَذْهَانُ  
يَقُوتَا حُرًّا وَكُلُّ ضَارِي ضَارِي بِضِيَّاهَا

\*\*\*\*\*

ابْتَهَا مِنَ الْأَذْرَارِ السَّيَّارِ فِي كَمَالِ  
هَادُوا مِنَ الْفَلَكَ التُّسَامِ  
هِيَ غَطَاتُهُمْ مِنْ حَسَنِ  
وَاللِّي يَكُونُ طَرْفُهَا وَاسَنُ  
بِفَرْقِ الْمَنَامِ يَنْظُرُ  
سَرْمَنَةً بِرُ  
بِهِ يَفْخَرُ  
حَتَّى يَرْجِعَ مِنْ كَمَالِ ضِيَّاهَا مَفْرُوعُ  
وَأَنْيَا شَلَا نَصِيفُ بَلَسَانِي  
عَنْدِي طُلُوعُهَا فِي رَتْبِهَا عَلِيَّ  
فِي بَرْجِ الْكِيَّةِ وَأَنْ  
وَتَجُومُ الدَّاجِ إِلَى ضَوَاتِ يَظْهَرُ فَ: الْفَلَكَ سَنَاهَا

\*\*\*\*\*

وَقَرَأَ عَلَى الْجَبِينِ، اللَّيْلِ فَ: وَسَطُوا هَلَالُ  
دَعَجَ اللَّحَاطِ زَيْنُ الْقَسَاهَا  
مَنَارِي سَفِينَتُهُ عَوَامَا

وَلِلَّ تَقُولُ غَيْرَ رُخَامَا  
لَعَلَّامَ لَيْسَ وَقَفَا  
زَيْنَ الْخَلْفَا  
مَنْ يُوَفَّا  
يَطْفِي جَمْرَ الْأَشْوَاقِ بِالزُّورِ لِلْمُؤَلُّوعِ  
وَالزُّورِ هِيَ جَنَّتِي وَرَضْنِي  
وَالْعَطْفُ فَيْسَ عَيْشِي وَالْهَجْرُ مَنِيَا  
وَالْجَنَفُ فَوَا نِيَسْرَانِ  
وَالْوَجْنَا هِيَ رَاخَتِي وَلَا يَقْلَعُ لِي مَلَقَاهَا

\*\*\*\*\*

أَخْلَا مَنْ الشَّهْدُ فِي قَلْبِي وَمَنْ الْمَصَالِ  
أَخْلَا مَنْ الْخُمُورُ فَ: طُلُوعُ  
وَيَعَطُرُ رَشِيْفُ ثُبُوعُ  
بِمُرَاشِفُ وَيَكُونُ قَطُوعُ  
نَجْنِي فَ: كُلُّ لَحْظَا  
وَرْدُ فَ: لَحْظَا  
وَحَالُ يَرْضَا  
كَنْقَطَا مَنْ أَمْسَدَا فِي وَرْدُ بِلَا مَقْطُوعِ  
حَاضِيَةِ غُلَامَ عَلَى الْيَمِينِ سُودَانِي  
نُورِيكَ حُلْتُ وَيَاسَسَايِلُ زَنْجِيَا  
جَنَاتِ مَنْ الْخُجْبَانِ  
لَابَسَ بَرْنَاطَا مَنْ نَشَاهُ مَنْ سَرَّ الزَّيْنُ انْشَاهَا

\*\*\*\*\*

يَاسِيْفُ عَنَّثَرَا فَ: نَهَارُ يَطُولُ الْقَتَالِ  
يَا بُنْدُ دَوْلَةِ الْعَلَوِي  
يَارْمَنُجَ حَامَلُوا عَلَقَاوِي  
يَاتَاغَ عَامَلُوا كَسَسَرَاوِي  
نَهِيْبُ لِيكَ صُفْرِي وَخَتِي كُبْرِي  
نَزِيدُ عَمْرِي  
«وَلَوْ هَنَّتِي بِقِيَمَتِي لِيكَ عَطِيَتِ الطُّوعُ»

وَاللَّهُ الزَّيْنُ مَا اَنْدُوْزُ لَوْ يَسْنُخَا بِي  
 فِي طَبْعِ زَمَانٍ  
 عَشَقِي صَافِي حُجًا وَحَالَتِ الْفَسَادُ مَا تَرْضَاهَا  
 اَنَا الْمُؤَلَّوْغُ بِالْهَوَى كَيْفَ مَوْلَعُ بِي  
 مَا عِنْدِي رُقْبًا بِبَنَانٍ  
 غَيْرُ عُدَايَا بِعَشَاهِبِ اللَّضَا تَتَخَبَّطُ فَا لَضَاهَا  
 تَخْوِيضُ الرِّيقِ وَالْخَمَرُ فِي شَقَا عَسَلِيَا  
 مَنْ غَسِيْرُ الْكَيْسِ سَنَانٍ  
 هَذِيكَ الدَّاتُ مَنِيْنُ تَنْتَقِلُ مِنْ دَاهَا لَدَوَاهَا  
 وَالزَّئْجَارُ وَخَلَّ يَمْتَزَجُ وَتَغْصَنُ رُؤْيَا  
 فَا: عَسِيْرُونَ الْعَسْدِيَانِ  
 وَتَضَرَّتْ الْكُرَّةُ مِنَ الْخَسُودِ قَامَتِ الْأَرْيَاحُ مَعَاهَا  
 «قُلْ هُوَ اللَّهُ» حَصْنُ حَصِيْنٍ وَ«قُلْ أَوْحِي»  
 وَأَيَّاتُ «الرُّخْصَانِ»  
 هَذَا الْخَمْسَا هُمَا حَجَابُ وَسُورَتُ «يَاسِيْن» وَ«طه»  
 وَسَلَامُ الْوَهْبِ وَاهْبُوا لَصَحَابِ الْوَهْبِيَا  
 بَرْجَاءُ أَوْ تَسْنُوَانِ  
 فَا: رِيَاضُ الْمَعْنَا قَالَ «بْنُ سَلِيْمَانَ» عَقُودُ رَوَاهَا

بدأنا شعر العواطف الصادقة ببعض ما كتبه بن سليمان، باعتبار أنه في نظرنا النموذج الرفيع لعينة من الشعراء، عاشت العمر كله تجربة عاطفية واحدة وظلت تعبر عنها في كل ما تبذل من روائع : لهويتر - بوزايد - قدور بن علي - مولاي قدور البلغيتي وغيرهم.

ننتقل الآن إلى عينة أخرى من شعراء «العشاق» لا نكاد نجد شعر العاطفة الصادق عندها إلا في أبيات هنا وهناك، أو في أحسن الأحوال قصيدة واحدة تامة، وكنموذج رفيع لهذه العينة في نظرنا : «الجيلالي متيرد»، وقد اخترنا من «عشاقياته».



كَانَ سَهْيَتِي سَتَيْقُظِي مَنْ حَالِ سَهْوِكَ  
نَظَرِي بِمَلَامَحِ الْإِبْصَارِ اللَّيِّ سَيَقُوكَ  
وَالِي تَهْتِي التَّيْبَةِ تَفْرِيكَ أَيَّامُ  
كَيْمَا فَرَعُو يَفْرَعُ سَوْقَكَ وَزُحَامُ  
سِيرِي حَتَّى يَشْرَبَ عَوْدَكَ بِلْجَامُ

إِلَى تَرْقِي قَدْرَكَ يَصْنَعَارُ  
لَا تُصَرِّفِي قَحْبِيْبِكَ عَارُ  
الْجَفَا بَعْدَ الْوَصْلِ غِيَارُ  
لَا تَغْلُطِي حِينَ تَنْظُرِي بِيَاضَ الْكُمَامِ  
لَوْ شَرَقْتَ وَلَاحَتْ فَ: الْجَوْ شَمْسُكَ غَلَامُ  
لَوْ تَعِيشِي مَا عَاشَوْا فَ: الزَّمَانُ وَالْأَهْرَامُ  
إِلَى حُكْمَتِي وَتَحْكُمَتِي يَفْرَعُ الْأَحْكَامُ

\*\*\*\*\*

حَدَّثْتُكَ وَالْحَدِيثُ لِلْعَاقِلِ تَنْبِيْهٌ  
عَرْضُكَ صُورِيَّةٌ، وَعَيْبُكَ النَّاْقِصُ غُطِيَّةٌ  
تَرْكِي صَدَّ الْجَفَا وَجُولِي فَ: أَوْصَافِي  
مَحَلًّا مَنْ جَا بِصَدَقٍ وَالْقَوْلُ الْوَافِي  
حَافِيَّتُكَ بِالْجَفَا وَلَازَلْتُ أَنْحَافِي

مَآخِذُكَ لَكَ مَنِّي هَجْرَانُ  
بَاحَ سَرِّي بَعْدَ الْكُثْمَانِ  
قَالَتْ الْوَدْبَا وَالْعَرْفَانُ  
بِالْوَفَا وَآفِي مَنْ وَأَفَاكَ بِكَ يَنْقَامُ  
طَاعَتُكَ لَأَزِمَ عَنِّي وَاجِبًا فَ: الْفَرَامُ  
بِالْمَكَارِمِ كَرَمِي، وَالرَّاحِمِينَ تَرْحَامُ لَوْ  
طَالَتْ الْغَيْبَا زُورِيْنِي بِسُرْعِ الْأَقْدَامِ

\*\*\*\*\*

مَنْ بَاغَ خَبِيْبَ خَاطِرُو بِالْفِ زَلَّةٌ  
أَنَا قَلْبِي عَلَى الْمَحَبُّبَا مَا وَلِي  
بَاعُوا بَيْعَ الْخَطَا بِسُوءِ رُخِيصٍ بَخِيْسٍ  
وَنَتِ قَلْبِكَ كَالْحَجَرِ جَلْمُودٍ يَبْرِيسٍ  
مَبْقَانِي مَنْ جَفَاكَ كَانَعْدَلٌ وَنَعْمِيْسُ

أَشْ قُلْ خَسَّانَكَ وَجَدَاكَ  
شَرَّ قُبْحٍ أَفْعَالِكَ يَلْقَاكَ  
فِي نَهَائِتِ مَسْطُورِ غُنَاكَ  
لَأَزِمِي مَنْ طَاعَكَ وَلَغِي عَلَيْكَ الْمَعْلَامُ  
لِلْمُسْتَبْرَ شُدِّي يَا تَاجَ الْغَوَارِمِ حَزَامُ  
بَيْنَ الْمَحَاسِنِ لِيكَ رُعِيْتِ حَقٌّ وَدَمَامُ

حَتَّى خَالَفَتِي عَاهِدِي بَغْيِرَ نَوِيَا؟  
مَا يَنْجَحُ مَنْ لَا فِيْهِ صَدَقٌ وَلَا نِيَا  
رُدِّي نَفْسَكَ لِحُجَاكَ لَا تَكُونُ سَهْيَا  
وَأَشْ قَلْبِكَ وَصَّاكَ تَسَاعَفِي رَقِيْبُو؟  
عَارَ الْأَشْيَاخِ الْعَاقِلُ لَاغْنَا يَهِيْبُو  
لَاغْنَا كُلُّ مَنْ الدَّاءُ الْجَفَا يَجِيْبُو

إِلَى قُرَيْتِي مَسْطُورِي جَاوِبِيهَ بِسَلَامٍ وَأَشْ قَلْبُ الْمَحْبُوبِ صَفَا عَلَى حَبِيبُوا

\*\*\*\*\*

أُمُولاَتِي إِلَى وَتَبِتَ الصُّفْحُ نَعَمْ قُولِيْلِي وَأَشْ خَيْرُكَ الْمَنْعُومُ نَتَمُّ؟  
ذُوِيَتْ بَحْرُ نَارِ شُوقِي وَغَرَامِي هَلْ تَرْجِعُ كَيْفَ كَانَتْ أَمْعَكَ أَيَّامِي؟

نَكَارُ الْخَيْرِ قَالَتْ النَّاسُ حَرَامِي

لَوْ ثَبَّيْتَنِي عَلَى لَشَهَادَ حَاشَا نَفْدِيكَ خَيْرَ يَأْشَبِيهَتْ عِبَلَا  
كَأَنَّ عَشَقَكَ لِي جَدَادَ مَا لَوْ نَقَطَعَ يَابُودَلَالُ مَنْ حَيْثُ خَلَا  
يَأْتُرِي لَلْفَسَايَتْ يُعَسَادَ يَدْفُقُ خَيْرُكَ وَيَفِيضُ كُلُّ يَوْمٍ ابْهَمَلَا  
بِ: الزِّيَارَا وَلَفْتَنِي حُسَانُكَ التَّامَ كُلُّ يَوْمٍ يَهَبُ نَسِيمَ الرِّضَا بَطِيبُوا  
فَاكْدِينِي، زُورِينِي فَ: يَقْضَا وَالْمَنَامَ إِلَى غَضَبَتِكَ لَقَلِيبُ يَرُوقُ مَنْ غَضِيبُوا  
عَبْدُ الْجَلِيلِ يِرَاعِي لِيكَ عَبْدُكَ غَلَامَ لِيكَ طَاعَا وَالْغَادِرُ رَبَّنَا حَسِيبُوا  
الْكُدُوبُ أُمُولاَتِي فَ: الْمَذَاهِبُ حَرَامَ قَالَ مَمْلُوكُ غَرَامِكَ: بَرْدِي لِهَيْبُوا

كانت هذه هي قصيدة «فاطمة» أو «الغضبانا» كما سماها فقيد مدرسة الملحن المعاصرة محمد دلال رحمه الله. وهي للجيلالي متيرد المراكشي والذي كان - رحمه الله - على رأس شعراء الملحن ممن عاصروا السلطان الصالح المصلح سيدي محمد بن عبد الله.

والقصيدة - كما لاشك لاحظ القارئ الكريم - تعبر عن تجربة عاطفية صادقة ومن شيوخنا من قال عنها: أن الشاعر يخاطب فيها زوجه الغضوب، ومنهم من يضيف أن فاطمة هي أم النجار صاحب قصيدة «نور الحق السامي» وأن هذا الأخير نشأ في أحضان الجيلالي امتيرد إذ تزوج أمه التي ترملت في عز شبابها، وتبنى طفلها، ومنهم من يقول: لا أنها مجرد «شيخا عياطا» ولع بها وعاش مدة طويلة لا تفوته ليلة من ليالي الأفراح التي كانت تحييها بفنّها الحوزي، وهي نفسها التي قال عنها في غِنِيَّةٍ من «أَغَانِيهِ» يوم الاثنين نَلْحَقُ «عِيطُونَا» طَايَحَا بِ: الْمَدَامُ تَلَاغِي».

أما أنا فمع الرأي الأول، وعندي من الأدلة ما يدعمه، وقد عالجت الموضوع برمته في ترجمة الجيلالي امتيرد «من كتابي» أعلام الشعر الملحون» وسيصدر قريباً إن شاء الله.

أما «الغزل» فيكفي - في نظرنا - أن يقول الرجل لامرأة : ان ثوبها جميل وأن ألوانه متناسقة ترتاح إليها النفس، فقد تغزل فيها حتى ولو لم يقصد وعلى هذا الأساس أسوق قصيدة «الياسمين» للحاج إدريس بن علي وهو من المعاصرين للسلطان الجليل الحسن الأول قدس الله سره.

طَابَ السُرُورُ وَنَسِيمُ رُضَاكَ يَفُوحُ كُلَّ حِينٍ  
وَعَرَايِسُ الْأَزْهَارِ يَخْضَعُونَ لِبَهَاكَ مَا يَلِينُ  
وَحَنَافَ : ضَلَّ عَطْفَكَ يَا مُوَلَاتِي مَزْهِيْنِ  
لَأْتِيَهُ لَأَجْفَا لَاهْجَرَا الْقُلُوبُ سَالِبِينَ  
وَيَعْطُرُ الرِّيَاضُ أَوْ يَعْْبِقُ بِالطَّيْبِ مَنْ كُفَامَكَ  
وَالْيَاسُ، قَامَتَكَ يَتَمَخَّطِرُ وَيَتِيَهُ مَنْ قَوَامَكَ  
فَ : الْعَزُّ وَالْهَنَا وَالسُّطُورُ وَالسُّعْدُكَ غَلَامَكَ  
بِالْفَرْحِ وَالسُرُورِ أَوْلَعْنَا وَالْخَيْرُ فِي مَقَامَكَ  
\*\*\*\*\*

أَنْتِ اللَّيْ غَلَا شَانَكَ عِلَلْ لِبَنَاتِ كَامِلِينَ  
أَنْتِ جَمِيعُ هَلْ لِمَحَاسِنِ لِبَهَاكَ خَاضِعِينَ  
أَنْتِ السَّاكِنَا فِي قَلْبِي مَاطَالَتْ أَسْنِينَ  
بِالسَّرِّ وَالطَّافَا وَالْعَقْلُ الرَّاجِحُ الْفُطِينُ  
وَالشَّمْسُ فَ : الضَّحَى تَسْتَحْيَا وَتَغِيبُ فِي خِيَالِكَ  
مَارِيتُ فَ : الْغَوَالِي مَسْرَاراً بِأَهْيَا أَبْحَالِكَ  
وَنْتِ الْعَالِكَانِي مَنْ بَعْدَ كُنْتُ لَكَ مَالِكَ  
غَزِيلًا لِيَبْقَا وَعَذَابُ الْقَلْبِ مَنْ جَمَالِكَ  
\*\*\*\*\*

أَنْتِ جَوِيهَرًا مَكْنُونًا فَ : الْعَقْدُ الثَّمِينُ  
وَالْجَوْهَرُ النَّفِيسُ السَّاطِعُ وَالْدُرُّ وَاللَّجِينُ  
أَنْتِ الرُّوحُ وَالرَّاحَا، عِنْدَكَ خَاطِرِي رَهِينُ  
وَتَبَسَّمِي يَبَانُ الْجَوْهَرُ فَ : الْخَاتَمُ الْخَصِينُ  
وَنْتِ وَيَقْتَا وَالْيَاقُوتُ قَلِيلُ فِي امْتِثَالِكَ  
قُدَّامَ صُورَتِكَ يَتَلَّشَا، وَاشْ قِيمَتُو قُبَالِكَ؟  
فَكُنِّي يَسِيرُ حُسْنُكَ وَقَدِي مَنْ زَاكَ فِي دَلَالِكَ  
وَتَمَائِلِي وَتِيَهِي يَحْلَلِي كُلُّ مَاحْلَالِكَ  
\*\*\*\*\*

أَنْتِ فِي وَصَافٍ بِهَاكَ يَحِيرُوا الْوَاصِفِينَ  
وَعَصِيْنُ الْقَدِيدُ وَغَرَابُ التَّيْتِ وَالْجَبِينُ  
وَعَيُونُ كَفِيُونُ الضُّبِّيْ اسْرَادَا مَهْذَبِينَ  
اطْلَبْتُ الشَّرْعَ مَنْ لَشْفَارِ اللَّيْ امْخَبَلِينَ  
وَالْقَوْلُ يَنْتَهِي وَيَنْحَصِرُ الْكَلَامُ فِي وَصَافِكَ  
وَبَجَاهِ حَاجِبِكَ لَمَعَرَقُ رَفْعِي لِي حَجَابِكَ  
وَإِلَى انْجِيُو الْحَقُّ الضُّبِّيْ يَغِيرُ مِنْ عِيَانِكَ  
وَالْخُدَّ وَرَدَّ حَبَاشِي يَجْرِي فِيهِ مَا شَبَابِكَ

وَمَبَاسْمِ السَّعَادَا تَضْحَكَ بِسُرُورٍ هَاتِفًا لَكَ  
نَحْكِي لَوِيْمَنَاتٍ تَقُولُ لِمَنْ جَائِشُوفَ : مَا لَكَ  
وَنَتِ فَذَ : قَلْبُ قُبَا مُلُوكِيَا بِمَازَهَا لَكَ  
نَحْكِي عَقُودَ جِيدِكَ، وَحَلُّوَا كُنْهَآ مَقَالِكَ  
إِدْرِيسُ بْنُ عَلِيٍّ قَوْلُو مَا بَيْنَ الرِّيَامِ سَالِكَ

بِكَ السَّوَايِعِ أَوْ الْإِيَامِ أَوْ الْأَوْقَاتِ زَاهِيَيْنِ  
وَنَتِي فِي حُلُلٍ وَحُلِيٍّ وَالنُّهْدَيْنِ وَاقْصَيْنِ  
وَالْعُودَ يَنْحَرِّقُ وَدَمُوعَ الشَّمْعَاتِ سَاكِبَيْنِ  
هَآكَ الْإِلْفَاطُ تَسْحَرُ هَلْ الْأَذْوَاقُ الْمَأْدُبَيْنِ  
مَنْ رَأَيْتُ النُّظَامَ الَّلِيَّ شَهِدُو لُو الْفَائِيزِينَ

### اللازمة أو « الحربة »

صُولِي بِطَيْبٍ لِمَحَاسِنِ يَا مَشْمُومُ كُلِّ زَيْنِ      أَنَا فَذَ : عَارُ ذَاكَ الْخَدِّ الذَّهَبِيِّ وَمَسَكُ خَالِكَ

تكفي قصيدة « الياسمين » للحاج إدريس بن علي كنموذج  
للفزل في الشعر الملحون، إنه مجرد تلطف، أو لباقة، أو أنه النبل  
في التعامل مع المرأة.

أما التغني بالمفاتن الحسية للمرأة، ووصفها من رأسها إلى  
قدميها، وتصويرها في غلالات لا تكاد تخفى أي شيء من مفاتنها  
الجسدية، فذلك لا يكاد يحصى. ويكفي أن نجتزئ هذا الوصف من  
قصيدة « الباكي » للتهامي المدغري الذي لا يدانيه، ولا يمكن أن  
يجاريه أحد في هذا الباب.

وَتَسَاعَفَ التَّسِيمُ يَمِينُ وَيَسَارُ  
بِالْيَاقُوتِ الرَّفِيعِ وَتَسُومُ ذِكِيَا  
بَرَقَ أَوْ هَلَالَ وَثَرِيَا وَالْقَسْرَارُ  
عَطَفُوا عَطْفَا عَلَى السَّيُوفِ الْمَسْقِيَا  
مُرِيَشِينَ فُوقَ « الْفُنْجِ » السُّحَارُ  
وَالْخَالُ غَلَامٌ فِي عَرِيصَا مَسْقِيَا  
لِلسُّلْطَانِ عَاقِدُوا مِنْ ذَهَبِ التَّشْحَارُ  
عَقْدُوا مَصْنُيُونَ وَ« الشَّقَايِفُ قَرَفِيَا،  
مَنْ حَيَّ مَا يَرُومُ الْفَاشِي حَذَارُ

سُبَّابِي وَنَظَرْتُ « الْقُدُودَ » تَتَمَائِلُ  
و« سَوَايِعُ » وَ« ضَفَائِرُ الشُّعْرِ »  
و« الْفُرَا » وَ« جُبِينُ » تَحْتَ لَيْلِ « الْوَفْرَا »  
وَالْحَجَّ جُبِينُ « ثَوْنِينَ فَذَ : السُّطْرُ  
و« الشُّفْرَا » الدُّبَاحُ تَقُولُ صَارَمُ وَ« هَذَابُ »  
وَالْخَسْرُ « الْعُكْرِي » بِلَا عَكْرُ  
و« الْمَقْطَسُ » سُوسَانُ رُوْنُقُ رُكَّابُو  
و« الْمَبَسْمُ » مَخْثُومُ وَ« الثُّفْرَا »  
وَالرُّكْبَا « عَرَاضُ » فَذَ : « الْفَيَافِي مَايَا



و«العَضَضِينَ» «صَوَارِمَ» السَّقَرِ  
و«الصُّدْرَ» وَخَافَ مَرْمَرِي فَ:  
و«نَهَيْدَاتِ ثَفَاحَ» فَ: الشَّجَرِ  
و«البَطْنُ» الطَّائِي عَلَى المَطَّائِي يَطْوِي  
و«الصُّرَا» بِالكَّاسِ ثَنَفَبَرِ  
و«فَخَاضَ» اسْوَارِي مِّنَ الذَّهَبِ فَ:  
صَانُوهَا فِي قُبُوتِ النُّصَرِ  
و«السَّاقُ» اسْقَانِي كَمَا سَقَا «قَيْسُ»  
«سَاقُ» اخْمَرُ مِّنْ وَّاضِحِ اجْمَرِ

و«صَبَاغَ» «قُلُومَ» وَ«الكُفُوفَ» خَرِيرِيَا  
مُنَازَةَ مَلُوكَ اَرْضِنَا الاشْرَافَ الدُّكَارَ  
وَالرُّمَانَ فِي غَرِيصَا مَحْضِيَا  
قَلْبُ الْعَشِيقِ طَيِّ اللُّلُوتِ حَكَارَ  
وَالْكَاسَ جُرَاتٍ فِي طَرَفُوا حُمَيَا  
مُنَازَةَ لَعْمَالِقِ الدِّخَامَا قَوْمِ الثَّفَخَارِ  
وَلَا تُوْجَدُ فِي قُبُوبِ السُّفُفِيَا  
و«امْرُؤُ القَيْسِ» وَ«بَنُ المُلُوحِ» مِّنْ دُونِ عَقَارِ  
«القُدَامِ» امْحَنِيَا زَادُونِي كَيْيَا

هكذا هي قصائد التهامي المدغري «العشاقية» التي أعرف منها ما لا يقل عن مائة قصيدة تكاد تكون كلها على هذه الوتيرة، أما الأويقات الحمر، والآهات اللاهثة الملتهبة:

«اخْلَعْتَ الْغَدَارَ فِ: مَحْرَابِ الهوى وَصَلَيْتِ  
وَمَطَارِبِ الخمرِ تَرْكَعِ لَصَلَاتِي  
ادريس بن علي  
وَاللُّبُّ ————— وَالِدُوحِ  
التهامي لمدغري  
بَاتِ اشْرَابِي نَرْشَفُو بَطْعَمِ الذِّبْذِ  
عبد القادر العلمي  
نَسِينِي تَحْتَ الْخَلَالِ بَيْنَ اذْرُوعِكَ لَمَلَاخِ  
لِي ذَرَاغَهَا بَاتِ وَسَادَا وَرِيْقَهَا

فلا تكاد تنجو منها إلا قلة قليلة من أمثال بن سليمان العميري، بوزايد وأمثالهم.

ولو لم تكن في مثل هذه القصائد، أشياء تراثية جميلة، من مقولات، وتمثلات ومعاني مغربية صميمة، ونوادر، وطرائف، وملح، ودعابات، من إبداع الصانع التقليدي، وحكايات ومغربات كانت رائجة في أوساط الصناعات التقليدية واندثرت، ولم يعد لها



من أثر يذكّرنا بها إلا في مثل هذه القصائد. أقول : لو لم تكن في مثل هذه القصائد كنوز وذخائر تراثية لازلنا ننتبعها ونحاول أن نوثقها، لناديت بإلقائها جميعها في البحر حتى ولو كنت على يقين تام من أن التعبير في جلها ما هو إلا قصد التعبير، أو قصد التصوير، ولا يخفى ما فيه من كبير نفع لمخيلة الانسان الذي لا يقرأ ولا يكتب، أو لتصوراته.

نعم قد نجد بقية من حياء في القصيدة التي لا يتجاوز كاتبها في الوصف صدر المرأة كقصيدة زينب لـ : بن علي ولد ارزين.

رُمِحَ «قَدْكَ» دِيوَانِي صَبَابٌ      وَ السُّوَالِفُ تَكْسِي ذَاتَ الْكَمَالِ كَمْ مِنْ نُبَا  
و«الجبين» انوارُ وتَلْهَبُ  
«حَاجِبُكَ» قُوسٌ رَمَانُ شَبَابٍ      وَ النُّوْاجِلُ شَهْلًا بِالسُّحْرِ رِيثَهَا مَكْتُوبَا  
شَيْءٌ مِنَ السُّحْرِ وَزُوجٌ أَحْرَبُ  
و«الخُدود» وَرُودٌ فَ: تَخْصَصَابُ      بَيْنَهُمْ «غَنَجُور» فَ: تَسْلِيْسُ زَانَهُمْ خُصُوبَا  
وَفَ: «الثَّغْرِ» دُرُّ اللَّائِ كَسَبُ  
سَرَفُ: «العَسْتُنُون» الرُّكَّابُ      زِينَتُ «البَّاء» وَ الرُّكْبَا، الْوَاقِيَا الْمَسْلُوبَا  
و«الْعَضُضُ» بِرُوقٍ فَ: لَحْجَابُ  
و«الكُفُوفُ» اصْطَبَغَ مِنْ عُنَابٍ      وَ الصَّبَاغُ قُلُومًا بِخَوَاتِمِ الذَّهَبِ مَرْكُوبَا  
وَفَ: «الصدر» رَمَانٌ مُحِجِبُ

ويقف عند هذا الحد ليقول:

شَيْءٌ مِنْ وَصْفٍ وَصِيْفِكَ جَابُ      يَا لِي مَا تَشَبَّهَ لِبَهَاكَ بَاهِيَا مَادُوبَا  
لَا فُ: لَمَدُونُ وَلَا فُ: عَرَبُ

ومنهم من وقف عند حد محاسن الوجه، ومنهم من اقتصر على جمال العيون أو جمال الثغر، ومنهم من اكتفى بإشراقة بسمه، أو رنين ضحكة بل قد نعثر على أبيات هنا وهناك، وحتى على قصائد

كاملة، تتجاوز جمال المرأة الحسي لتصل إلى جمالها المعنوي، رقة مشاعرها... رهافة أحاسيسها نبل أخلاقها. و... و.... إلى آخر محاسنها المعنوية.

وخير من أعطى العطاء الأوفر في تجاوز القشور للتعامل مع اللباب هو «سيدي هاشم السعداني» رحمه الله.

زَيْنُ وَتَحْتَ الزَّيْنِ سَرٌّ مَا يُوصَفُ فَ: الأشعارُ	مَـا يَتَنَظَّرُ بَبْـصَارَ
زَيْنُ أَيَحْيِي الأَفْكَارِ	زَيْنُ الرُّوحِ الطَّاهِرِ يَخْلِي لِعَـحَاسِنِ عَاطِرِ
وَقَلْبُ حَلِيبٍ صُنْفًا وَتَوْبَعِيدًا	مَنْ كُلُّ غِيَارِ وَالرُّوحِ مَنْ التُّطَهَّارِ
«هِيَ» سَنَبْتُ تَطَهَّارِي	وَالْعَزَافُ: النَّفْسُ خَرَقَ عَادًا فَ: التَّنْظَرُ ظَاهِرًا
لَيْسِيًّا وَمَأْدِبًا «لَطِيفًا» دُرَّتِ الأَبْكَارُ	بِكَ يَطَهَّنُ جُـوا الأَفْكَارُ
يَارُوحُ جُمُوعِ اشْفَعَارِي	يَاسِرُ مَنْ اسْرَارُ مَنْ عَمَلُ فَيْكَ اسْرَارُ ظَاهِرًا
وَالرَّافَا وَالدُّوقُ وَاللُّطَافَا وَاسْرَارُ الْكُثَارُ	فَيْكَ أَحْرَرْتُ الأَخْرَارُ
وَطِيبُ اعْتَبَقُ عَمَلُ لَقَمَارِي	يَا مَاوَرَدَ الْخُلْدِ فِي مَرَشَا مَنْ جَوْهَرُ بَاهِرًا
فَيْكَ كُتَابِي فَيْكَ لَوْحَتِي فَيْكَ قَرِيتِ اسْرَارُ	مَـا دَرَكُوهَا الأَخْبَارُ
مَـا كُنْتُ بَبْـوَهَا فَ: شَطَارِي	يَاسُبْحَانَ اللَّيْ أَنشَاكَ شَهْدًا ابْعَصَالُوا عَامِرًا

فالمرأة إذن عند السعداني «ماورد الخلد في مرشًا من جواهر» وتلك - لعمري - حقيقتها، فسبحان من أنشأها «شهدا بمصالو عامرة» وهي عند بنسليمان «مفتاح سر الرجل».

«أَنْتَ مَفْتَحِي يَا مَسْرُوحِ اسْجَانِي»

يكفي هذا القدر من موضوع «العشاق»، ولنتتبع المرأة في الموضوعات الاجتماعية الأخرى، فمثلا في قصيدة «عجوز أو شابة للتركمان» المتوفى في العقد الأول من القرن الميلادي الحالي،

أغضب الابن أمه فقالت :

تَسْعُ شُهُورُ أَرْنَتْ أَفْ: بَطْنِي وَإِنَّا بِالْضَمَلِ فُ: الْعَذَابُ وَالْثِقَلُ وَتَمَّيْتُ الشَّغَابُ  
وَنَهَارُ خَلَّاقَتِي نَسِيتُ الْقَهْرِيَّ وَالْمَشَاغِبَا  
أَخْلَا شُرْبِي وَلَدْتُ قُوتِي بِوَجُودِكَ وَالْمَنَامُ طَابُ وَخَسَمْتُ اللَّيَّ عَطَا وَهَابُ  
وَكَمَلْتُ قَصْدِي وَفَرَحْتُ عَلَى فَرْحِي لَحَبَابُ قَاطِبَا  
وَأَمَّا سَاهَرْتُ مِنْ لِيَالِي وَذَمُّوعِي حَايِفَا سَكَابُ وَأَمَّا عَلَّقْتُ مَنْ أَحْجَابُ  
وَمَادَاوَيْتُ عِنْدَ طَبَا وَتَرَارِي بِكَ تَاعِبَا  
وَمَا خَبَيْتُ فِيكَ مِنْ حَرِّ الصَّهْدِ وَبَرْدِ الضَّبَابِ وَخَسَفُ الطُّيُورِ وَالذُّوَابِ  
وَمَا قَرَيْتُ يَا كَلْبُ وَدَرْتُ عَزِيزًا مِنْ رَكْبَا  
وَالْغَالِي بِالرُّخَيْصِ بَعَثُوا عَنْ عَرْسِكَ سَوْلُ الْحَبَابِ وَيَلَا مَنَّةً بِلَا حَسَابِ

ولعل عبد المجيد وهبي وهو من المعاصرين، أراد أن يتلج قلوب  
الأمهات بما فيها قلب هذه الأم فكتب قصيدة كاملة عن الأم أسماها  
«لميمة» نجتزيء منها هذه الأبيات.

عَمَائِنُ وَنَتِ تَرْضَعِينِي لَحْلِبُ انْسَابُ مَنْ تَدْيِيكَ رَاقٍ أَوْ طَابُ  
هُوَ أَكْلِي وَشُرَابِي هُوَ أَوَّلُ قُوتٍ بِهِ ذَاتِي نَالْتُ مَا رَاغِبَا  
بِيَدِيدَاتِ احْنَانٍ كَاثَلَفَنِي ذَاتِي فُ: ثِيَابُ وَتَخَسَفَنِي لَأَنَّنُصَابُ  
وَالْبَرْدُ أَيْلَفَ اجْنَابِي وَتَفَزَّعِي مَنْ عَيْنُ كُلِّ مَعْيَانٍ ثَبَاتِي رَاهِبَا  
غَيْرُ أَنَا نَبْكِ أَنْتَ قَلْبِي بِكَ يَخْفُقُ مَرْتَابُ بَاغِي يَغْفِرُ الْأَسْبَابُ  
وَعَلَّاشُ ابْكَاؤَا اهْدَابِي وَتَرَارِي بِي لَحِينُ تَغْفُو لَعْيُونُ السَّاكِبَا  
كُنْتُ ضَعِيفُ وَكَانَ عُوْدُ ذَاتِي لَيْنُ مَرطَابُ وَشَبَابُكَ فِي شَبَابُ  
وَنَا قَارِخُ بَشْبَابِي كَيْفَ انْدِيرُ انْرُدْ مَا فَنَيْتِي لَعْنَاكَ الشَّائِبَا  
يَا أُمِّي لَعْبَادُ نَائِمَةٍ وَنَتِ فُ: الدَّيْجَانُ نَشْنُوَانَا بِالسُّهْرَابِ  
هَذَا هُوَ التَّفَانِي هَذَا هُوَ الْحُبُّ حِينَ يَخْفُقُ لِقُلُوبِ السَّاخَنَةِ  
حُبُّكَ حُبُّ حَنِينِ هَزْنِي هَيْجُ لِي الْأَكْنَانُ وَاصْنُ بَحْ قَلْبِي رِيَانُ  
نَظَرْتُ عَيْنَكَ فُ: عِيَانِي فِيهَا نُورُ اللَّهِ شَعْ.. شَعْشَعْ... وَالْحُبُّ اللَّأْفَنَا  
يَاوَرَدَا بِالطُّيْبِ شَادِيَا يَسْقِيكَ الْهَتَّابُ وَتَعَبِي شَيْ فُ: الْأَمَانُ  
حَامِلُ لِيكَ التَّهَانِي وَنَتِي شَمْعَا امْتُورَا مِنْكَ سَرُّ انْوَارَنَا

يَا نَغْمَةَ بِالْحَانَ صَادِحًا يَا لِحُزْنِ الْأَكْوَانِ      مَوْتُكَ لِحُزْنِ الْأَلْحَانِ  
لِيكَ انْتِهَابِي الْحَانِي وَالْعَازِفُ قَلْبِي وَبِكَ لَوْلَاكَ قَلْبِي مَا هُنَا

ونعود إلى التركماني، وهذه المرة مع قصيدة «الشايب والشابة» وهي قصة فتاة في منتصف العقد الثاني من عمرها باعتهها أسرتها - ولا أقول زوجتها - لشيخ هرم وعانت ما عانت من ويلات هذا الزواج غير المتكافئ، وتحملت ما تحملت، وبعد صبر مرير انفجرت فصرخت: «بَعْدُ مِنِّي... يَكْفَاكَ مَا تُحْزِرُ فِي، مَلَيْتُ مَنْ عَشَرَتِكَ وَاللَّهِ مَعَكَ مَا نَزِيدُ نَكَابَرُ، وَلَا نَكُونُ مَرَّتَكَ... وَلَا لِي تَكُونُ رَجُلٌ، وَنَتَ بَعْدًا وَاشْ رَجُلٌ؟ وَأَنَا مَنْ يَوْمَ جِيتُ بِكُرَّةَ مَا زَالَ كَيْفَ جِيتُ».

للاشارة فقط، نحن مع التركماني هنا في الأدب الملحون، وليس الشعر الملحون... أي أننا نقرأ «النثر الفني في الملحون»، وهو ما يسمى في اصطلاحات مدرسة الملحون القديمة «بالسوسى».

فهو غير مقفى، ولكنه يعتمد السجعة بكل أنماطها وأشكالها وكما هي في المقامة، العربية القديمة، وهو غير خاضع لأي بحر أو عروض ولكنه «النثر الفني» السلس الذي لا يتعثر انسيابه، ولا يخلو من تناغم، وفيه صاغ كبار الشعراء، روائع الملحون القصصي.

بعد هذه الاشارة العابرة حتي لا يختلط الأدب الملحون بالشعر الملحون نعود إلى التركماني، وإلى فتاته المزمجرة: وَالْيَوْمَ انْتِيَا سِيرُ شُوفُ غَيْرِي، وَنَا نَمَشِي نَشُوفُ غَيْرِكَ، وَالشَّايِبُ مَا تَنَاسَبُو

غَيْرَ مَرًّا قَدُّو تَسَاعَفُو وَيَسَاعَفُهَا وَيَتَوَالُمُوا فَ: الْعَشْرَا مَنْ حَالَتْ  
الْكِبَرُ، فَارَقْنِي لِلَّهِ سِيرَ شُوفَ مَرًّا قَدُّكَ شَائِبًا ابْحَالِكَ، وَتَقْبِلُ عَلَيْكَ  
بَزْمَنَهَا، وَتَطْيِبُ لِيكَ مَا كُتَّابُ مِنَ الْقَوْتِ عَلَى شَهَوَاتِ نَفْسِكَ.  
وَيَلَاجِيْتِي تَلَقًا، مُوضِعَكَ مَفْرُشًا، وَالطَّعَامَ وَاجِدًا، وَالضُّوْ مَشْعُولًا،  
وَالْوَضُوْ يَسْخُنُ لَكَ.

ظَنَنْتِ الرِّتَاجَ زَهَقَ لَكَ، عِنْدَاكَ الْوَضُوْ يَبْرُدُ لَكَ  
وَيَلَا وَجِبْتَ لَوْقَتِ نَوْضِ تَوْضًا وَقَابِلِ الْقَبْلَا وَتَهْلًا فَ: دِينَ رَبِّي  
وَعَمَلُ تَسْبِيحٍ لِلذِّكْرِ، وَتَوَلَّعَ بِالصُّومِ... وَالْفَجَرَ، صَلَّيْهِ فَ: وَقْتُو لَا  
يَقُوتَكَ

وَعَمَلُ فِي بَالِكَ الشَّهَادَا، وَشَهَوَاتِ النَّفْسِ تُبْ عَنْهَا.  
وَحَتَالُ اللَّيْلَتِ الْقَبْرِ، وَاعْتَصَمَ بِاللَّهِ لَايْنُ كِبَرْتِي وَهَرَمْتِي وَلَا بِقَالَكَ  
قَدْ مَافَاتُ فَ: الْعَمْرُ.

وَأَنِيَا مَا زَلْتَ شَابًا وَصَغِيرًا، رَبِّي يَجِيبُ لِي رَجُلٌ قَدِّي نَوَالْمُو  
وَيَوَالْمَنِي

وَنَحْسَنُ زَوَاجِي وَنَقَادِي كُلِّ مَامُضَا، وَنَدُوْزُ صُغْرِي وَصُولْتُ شَبَابِي  
كَيْفَ بَغِيْتِ، وَنَتَمَتَّعُ بِنَزَايَةِ كِي نَرِيْدُ، فِي أَيَّامُو نَبْرَزُ فَاِبْرَازُ،  
أَوْ نَعْمَلُ مَا دَارَتْ الْبَنَاتُ ابْحَالِي، وَنَذُوقُ غُلَّتِ الرَّجُلُ. وَنَتَّ كُلُّ مَا  
خَسَرْتِي قَبْضُو وَعَطِنِي فَصَالِي بِالْعَقْلِيَا بِلَا شَرْعٍ نَتَفَرَّقُو، وَلَلْ  
تَدُوْزُ عِنْدَ الْقَاضِي؟

يَفْهَمُ كَلَامُنَا وَيَجُولُ فَ: مَعْنَاهُ وَيَفْرَقُنَا بِأَحْكَامِ الشَّرْعِ... هَكَذَا قَالَتْ  
لَوْ مَزْرُوبًا. كَانَ تَسَالُوا يَا حَاضِرِينَ.

وهذا السكير الذي يصحو في الصباح الباكر ليجد أمامه الزوجة  
الصبور تنظر إليه باشفاق، وتعاتبه في صمت، فيستحيي منها،  
ويخجل من نفسه، ويرتعش، ويتصبب العرق من جبينه، ويجيش  
صدره، فيناجي ربه الحليم وقد طأطأ رأسه :



كَانَسْتُ حَيَا تَرْفَعُ الْبِصَرُ      أَوْ أَنْزِيدُ نَعَاوِدَ انْدَسَرُ  
 أَوْ نَبِي سَطُ لَكْفُوفًا كِي تُدِيرُ  
 مِنْ ذَا نَسْنَسُ فَا هَ يَأْتُرِي  
 مَالِي سِيُوا اللَّهَ وَلَجَمْعُ الْوَرَى  
 أَنَا اللَّي مُوَلُّوْعُ بِالْخُفْمَرُ      وَنَا اللَّي سَاهِي عَلَى الذُّكْرُ  
 وَأَنَا اللَّي سَسْتَاهِلُ النُّجِيرُ  
 لَكِنْ اغْبِيْدَاثُكَ الصُّغَارُ      وَ«الْوَفِيَّةُ» الصُّبَابُ  
 مَاذَنْبُوا مَاغَصَاوَا هَبْتُمْ لِيغَاذِي

ثم تأملوا معي هذه الصورة لامرأة مومنة كما رسمها الشاعر

المجاصر .  
 أَنْبَغِيكَ تَرَاهَا ف: خِرَامُ  
 وَالصُّيَامُ أَوْقِيَامُ يَاللِّي عَامِي  
 وَنَبِيغِيكَ تَرَاهَا بَانِيَامُ  
 نَتَدَمُّ لَوْ تَدَمَّامُ فَا قُ تَدَمَامِي  
 وَنَبِيغِيكَ تَصْبِيغُ السُّحُكَامُ  
 وَالتُّرْتِيلُ التُّمَامُ تُوْبُ انْدَامِي  
 الْحَافِظَا مَا قَالُ السُّلَامُ  
 فُوقُ أَمَامُنْ حِكْمُ زَادَتْ انْظَامِي  
 مِنَ الْهَامُ انْزَلْ عَلَّلُ الْأَقْدَامُ  
 ذَاتَهَا صَارَتْ رُوحُ وَلَابَقَاتُ تَقْوِيَمَا  
 وَأَقْفَافُ: خَضِرَتْ الْعَلَامُ  
 وَفَاقُ تَدَمَّامُ الْعَدْوِيَّةُ النَّادِمَا دِيَمَا  
 فِي قَرَأَيْتُ سُورَتْ الْأَنْعَامُ  
 بَصُوتُ نَسْوِي يَسْرِي وَسَطُ الْمَهَاجُ لَكَلِيمَا  
 وَالْخُفْدِيثُ دَخَسِيْرُ الْأَنَامُ  
 لَالَا مُوَلَاتِي سِرُ الْمُحَاسِنُ حَلِيمَةُ

إلى أن يقول :

لَا مَانَسْطَابُ النُّسْمَةُ      اللَّي اسْمَمَاتُ عَلَى كُلِّ سَمَمَا  
 وَسَرَاهَا دَائِمُ  
 لَا مَانَصْنَفِي لِلنُّفْمَةُ      اللَّي انْسَابَتْ لَفَاذُ اغْمَمَا  
 ابْخَرُ لَمُظَالَمُ  
 لَا مَا نَغْبِطُ ف: الرُّخْمَا      اللَّي اسْمَرَاتُ الْوَجْدَانُ ضَمَمَا  
 ف: قَلْبُهَا عَايَمُ

إلى أن يقول :

لَا مَانَسْكُنْ رَوْضَ نَمَا جُدَاوَلُو تَنْطَقُ بِأَلْحَكْمَا  
وَحُطْمَا طَرِي نَاطْمَا  
لَا مَانْفَرَقْ فِي نَعْمَا جَلَاتْ مَنْ لَدَوَاخْلُ غُمَمَا  
سُرَرَاتْ مَنْ قَامَا

هذا ولم نشر حتى الآن إلى مفاخرات النسوة «عَرَبِيَّة وَمَدْنِيَّة»  
«عَصْرِيَّة وَزَمَانِيَّة»، الشَّابَّا وَالشَّيْبَانِيَّة، وكيف تفاخر كل واحدة  
منهن بوضعها في المجتمع، وتزهو بما تقدم له من خدمات، كما لم  
نعرج على شعر «الحلقة» وللمرأة فيه حصة اللبوة.. وخصوصا  
المرأة الكادحة...

«العَاشِقَا مَوْلَاتُ التَّاجِ» المرأة التي صفعها الابن العاق «قصائد  
لَفَقِيه» استغفر الله العظيم... أقصد المشعور الذي يتلاعب بعقول  
النساء. على كل حال، يكفي هذا القدر من الاجتماعيات، مادامنا  
نريد من كل روض زهيرات.

يمدح شاعر الملحون «مولاتنا فاطمة الزهراء» مثلاً - وليس من  
بين فحول شعراء الملحون من لم يمدح مولاتنا فاطمة الزهراء -  
فيكون في ثنايا المديح ثناء على شيم الممدوحة، على شمائلها، على  
مكارم أخلاقها، وفي ذلك بالتأكيد ما تقتدي به المرأة في حياتها  
اليومية، أو لا يدندن الزوج، أو الأب، أو الأخ أمامها بمثل هذه  
القصائد من حين لآخر... بل لم لا تكون هي قد حفظتها عن ظهر  
قلب، وتغنت بها مع أترابها. اقرؤوا معي هذه الأبيات من واحدة  
من عشرات بل مئات من المداحيات :

عَالِي طَبَعِ الزُّهْدِ عَاشَ بِهِ أَفَاهُمْ الْأَشْعَارُ  
وَالْقَلَّةُ مَنْ زُهْدٌ كَانَتْ الْمَوْلَاتِي فَخَرِي  
لَا جُوهَرَ وَلَا لَوِيزَ عِنْدَ هَلَالِ ابْنِ صَارِي  
لَا تَسْأَلُ عَنْ زَوْجٍ لَأَلَّا نَابَنْتُ الْمُخْتَارُ  
وَالْفُرُوسِيَا امْجَنَّدُ لَأَقِيصَرَ عَنْ كَسْرَا  
أَوْ هِيَ لِمَوَاسِيَاةٍ فِي شَدِّ التَّغْسَارِي

وبعد أن أثنى على مولاتنا فاطمة الزهراء كزوجة، يعود فيثني عليها كأم :

رَضَعُوهُ مِنْ حَلِيبِهَا نَقِي صَافِي لَعْيَارِي  
هِيَ مَنْ رَبَّاتُ كُلِّ وَاحِدٍ فِيهِمْ صَبَّارُ  
بِالْحُكْمَا وَالْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ أَسِيدُ أَمِنْ أَسْرَى  
وَرَوَاتُ لَهُمُ الْخَدِيثِ ذَا الْمَحْبُوبِ الْوَارِي  
كَانَتْ دُرِيًّا صَنِيفِيَّةً...  
هِيَ مَنْ رَشَفُوا طِفَالَهَا هَذَا الدِّينَ انْهَارُ  
أَوْبَهُ تَقَطَّمُوا وَكِي ابْغَاتِلَهُمُ الزُّهْرَا...  
وَهِيَ مَنْ عَمَّرَاتُهُمْ وَهُمْ اذْرَارِي  
هِيَ مَنْ قَرَّاتُهُمْ قَبْلَ الطَّلِبَا الْأَسْوَارُ  
وَمَا مِنْ حَكْمَا اخْدَاتَهَا مِنْ يَوْمِ الْهَجْرَةِ

وهنا يعود بنا إلى فاطمة الزهراء الطفلة... فيصفها في أحلك فترة عرفتتها الدعوة الإسلامية في نشأتها.. وفاة والدتها مولاتنا خديجة الكبرى... وفاة عم النبي الكريم، وقد كان يسانده ويؤازره.. محنة الطائف...

وعلى ذكر أم المومنين مولاتنا خديجة الكبرى رضوان الله عليها هي أيضا مدحها الشعر الملحون، وأثنى عليها، ووصف الشيء الكثير من صبرها وتحملها ومعاناتها إلى جانب زوجها العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

اقرأوا معي هذا المقطع، وقد جاء من السيرة النبوية المعروفة في الملحون بعد نزول الوحي لأول مرة، وبعد رجوع النبي الكريم إلى داره يقول : « زملوني... زملوني... ».

وبعد أن تستفسره مولاتنا خديجة عما به وهي تدثره بالأغطية  
وبعد أن يروي لها ما شاهد في « غار حراء » ويقرأ ما نزل من  
الوحي « اقرأ باسم ربك الذي خلق »، تجيب بحكمة المرأة العظيمة  
ورجاحة عقلها :

ابْشُرْ يَا بَنُ الْعَمِ مَنْطَفَاكَ لَدِينُكَ رَبُّ الْكَعْبَةِ أَنْتَ اللَّي سَرُّكَ بَايْنُ

هكذا أجابته أم المومنين بكل ثقة واعتزاز، وبكل إيمان ويقين

ابْشُرْ يَا بَنُ الْعَمِ مَنْطَفَاكَ لَدِينُكَ	رَبُّ الْكَعْبَةِ أَنْتَ اللَّي سَرُّكَ بَايْنُ
لَا تَخْشَى مِنَ الْجِنِّ مَا شِئْتَ تَجْنِيئُكَ	وَلَا شَيْطَانُكَ : الشَّيَاطِينُ لَمْلَاعُونَ
هُوَ مَلَاكَ بِهِ الْأَصْنَعَابُ يُهَيِّئُكَ	أَنْتَ نَبِيٌّ بِكَ الْأَعْرَابُ أَتَمَنَّ
وَسَتَّارُكَ خَاطِرُكَ وَنَامَ عَنْ يَمِينُكَ	غَطَّائُوا زَوْجَتُكَ بِالْغَطِّاءِ لَمْلَائِينَ
وَمَشَاتُكَ تَشُوفُ كَيْفَ تَضْحَى فَعَوِيئُكَ	وَتَخْلِي مَا خَفَى مِنَ الْوَأَقِعِ بَايْنُ

وتمضي إلى ابن عمها « ورقة بن نوفل » عليها تستعين بخبرته  
وحنكته، خصوصا وأنه كان قد ترك وثنية قريش. وتنصر... وتقص  
عليه ما وقع لزوجها الكريم في غار حراء، ويفاجأ.. وينبهر.. ويذهل  
سَبِّحْ لِلَّهِ قَائِلُ الصُّبْحِ غَلَايْنُ يَا «خديجة»، ولية مازلت نعاين

ذلك ما قاله ورقة، وهو يتصبب عرقا.

.....الصُّبْحِ غَلَايْنُ	يَا «خديجة»، ولية مازلت نعاين
وَعَادَتُ الزَّوْجَةَ لِقْضِيْلَا بِقَلْبِ فَرْحَانُ	تَبَشَّرُ وَتَشْهَدُ يَا فَاهُمُ الْمَعَانِي
مَنْدَقْتُ خَدِيجًا نَبِيَّ هَلْ الْإِيمَانُ	وَشْهَدْتُ مُوَلَاتِي بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ

وهكذا أعاد رجل الملحون إلى الأدهان أن المرأة كانت السبابة  
للإيمان في شخص مولاتنا خديجة الكبرى رضي الله عنها.

ومدح رجل الملحون «الصديقة بنت الصديق» وأثنى عليها،  
وعرج على قضية الإفك ليطرحها بكيفية تتأسى معها كل تقية  
ورعة مصون مست في شرفها.

أولا تشكل مثل هذه الروائع، مع ما كتب عن كل أمهات المومنين،  
وما كتب على «الخنساء» و«السيدة سكينة» أقول : أولا تشكل هذه  
الروائع مدرسة لتعليم المرأة، على الأقل التي لا تقرأ ولا تكتب؟  
وختاما... لو لم يكن شاعر الملحون ينظر إلى المرأة نظرة إجلال  
 وإكبار لما رمز بها لأقدس مقدساته :

«الحنيفية السمحاء» في بعض قصائد الملحون امرأة جاءتنا من  
شبه الجزيرة العربية.

مَكْتُوبٌ عَلَى جَبِينِهَا «أَلَمْ تَشْرَحْ»      وَخُرُوفُ الزُّيْنِ شَرَحٌ وَبِكُلِّ قَصَاحَةٍ  
سَعْدُ اللَّي حَازَهَا لَقَلْبُوهَا «قَدْ أَفْلَحَ»      يَنَامُ أَفْرَحَتْهُوَ عَلَى جَنْبِ الرَّاحَةِ

واقراوا على سبيل المثال «ضيف بجيوات» أو «ضيف  
السعداني» الكعبة المشرفة رمزوا لها في بعض قصائد الملحون  
بالمرأة.

أَرَأَيْتِ الْمَلَائِكَةَ يَأْمُرَاتِي الْعَالِكَا      لَيْكَ الْعَبْدُ وَكُلُّ مَا مَلَكَ  
لَا لِلْأَمَلِكَةِ حُـمُـمَـائِـتِ الْمَلِكِ



واقراءوا، وأيضا على سبيل المثال : « لخليلة الثانية » (ولد أرزين)  
« فضيلة » (السعداني)، « ليلي » (بوزايد) ورمزوا بها للحكمة.

دَامِـي شَرَّادَا      الْقَبِيْثُ شُورُ الْوَالِي سَيِّدِي سَنَعِيْدُ  
بَغْـيُّوْنُ سَنَرَادَا      رَاحَ عَقْلِي مِنْهَا مَوْخُوْدُ

وعلى كل حال فالموضوع لا يتسع له هذا المقال ولو طال، وحسبي  
ان اكون قد خرجت : ب « المرأة في الملحون » بعض الشيء من ذلك  
الحيز الضيق الذي اصطلح الناس على تسميته بالعشاقى، إلى  
مجالات أرحب وأوسع، وأفيد وأنفع.. وبالله التوفيق و...

« السَّلَامُ عَلَى «الْمَرَأَةِ» فَ: السَّلَامُ لَمِّي      وَفِي سَلَامِي لَخْتِي وَلِزَوْجَتِي فَ: نَظْمِي،  
«وَالسَّلَامُ عَلَيْهَا فَ: سَلَامٌ مَرَّتْ عَمِّي      حِينَ حَنَنْتُ عَلَيَّ يَوْمَ مَسَاءَتِ أُمِّي»

\*\*\*\*\*

## وشم المرأة في الشعر الملحون : دلالة الرمز في خطاب الجسد وخيال الذاكرة

عبد العزيز أعمار(\*)

((الوشم كتابة بالنقط (... ) يحتل فيها أن تكون خاضعة لمعرفة، لمعرفة - الفعل، لرغبة ولانتقال علامات تكون تارة منقوشة على الجسد وطورا مهاجرة إلى فضاءات أخرى، علامات رمزها الأصلي دائما مفقود لدينا لكن نقشها لا يزال يعيش، متحديا نظرياتنا حول مفهوم العلامة))<sup>(1)</sup>.

عبد الكبير الخطيبي

((إن معظم الوشم المغربي كان ولا يزال مظهرا من مظاهر تأنيق المرأة (... ) لكن أية فكرة يمكن أن تحرك نساء لا يتراجعن أمام الألم والمعاناة لكي يتزين ويتباهين بهذا الزخرف؟ هل هي الرغبة في إرضاء أزواجهن والتحبب إليهم؟ حتى يتسنى لنا مزيدا من القول، لابد من معرفة عميقة بنفسية المرأة المغربية))<sup>(2)</sup>.

جون هير بير

(\*) أستاذ باحث بوزارة الشؤون الثقافية

منذ العصور الأولى والوشم يحظى بمكانة هامة في الثقافة الشعبية عند العرب، إنه حلية وزينة تتباهى بها المرأة العربية، لذا فهو قبل كل شيء رمز للأنوثة، كما أنه علامة لاصقة، رسم ثابت أبدي وتحفة لا يمكن أن يتاجر فيها ولا يمكن أن تحفظ في المتاحف، إن هذا الوخز المؤلم المنقوش على جسد المرأة هو شكل لوحدة فنية يشترك فيها النباتات والابرة والجسد، ويتشابك حولها الخيال بالابداع، والتصوير بالممارسة، والمعاناة بالارادة، والانتظار بالصبر.

كذلك هذا الرسم على الجسد، في العادات الشعبية المغربية، له وظائف عدة، فقد يكون علامة من علامات الانتماء القبلي أو طقس من طقوس المرور إلى سن الرشد أو الزواج، كما يمكن أن يكون مفعولا علاجيا (لقاح سحري) أو وقائيا (حماية من شر الحسد والعين الخبيثة) أو إغرائيا (زينة ودافع لحب الجمال).

إن الوشم عند المغاربة، يستلهم زخرفه من النقوش الموجودة في الصناعات والحرف التقليدية كالنجايدة، الدباغة، الحدادة، السكافة، الجبص، الخزف، الخشب، الزجاج، النحاس، الفضة، الحلي، النسيج، التطريز... ولهذا نجده ينتشر على جسد المرأة تماما كما تنتشر رسوم الأدوات والأواني والأشياء المحيطة بها والتي يقع عليها نظرها كل يوم داخل بيتها، مما يخلق نوعا من التوازن والتانس والألفة بين المرأة وفضائها المنزلي، هذا الفضاء الحميمي الذي

يقول عنه باشلار G. BACHELARD بأنه فضاء مميز وقوة كبيرة لالتقاء وانسجام أفكار وذكريات وأحلام الفرد<sup>(3)</sup>. إن هذا الفضاء تلتقي بداخله وحدات فنية، برموز مهاجرة ومتلاحقة. تتداخل فيما بينها لتخلق طلسما تشكليا تتفرد به المرأة داخل فضاء بيتها، من هنا يجد الباحث نفسه وهو يحلل الوشم، أمام عالم من الرموز والدلالات، أمام إمبيراطورية من العلامات، محكمة التنسيق، تتناغم رموزها في انسجام وتوحد تامين لتبث خطابا سيميائيا يتطلب تفكيكه الوقوف على مستويات منها التاريخي، السوسولوجي، الانتربولوجي، الانساني، الجمالي، اللساني والدلالي، في محاولة لاكتناه ومعرفة نفسية وخيال الانسان المغربي في الزمان والمكان.

إن الوشم بزخرفته ونقشه، قد يحلم بدلا عنا، لذا فهو قد يشكل مدونة نفيسة للاستخبار عن هويتنا وثقافتنا. ويبقى أن نتساءل عن مدى حضور هذا المظهر الحضاري في أدبنا الشعبي، وعن مدى تفاعله مع خيالنا الجماعي في الشعر والحكاية والمثل واللغز.

في الشعر الملحون وخصوصا في قصائد الحب والغزل، نجد جسد المحبوبة دائما موشوما، مزخرفا برسوم تزيده جمالا وفتنة، بل إن هذا الوشم قد يصير في خيال الشاعر علامة أو ذكرى أو شاهدا على لقاء ومغامرة غرامية.

كذلك نجد العديد من قصائد العشق والغرام في الشعر الملحون تتفرد بموضوع الوشم في شكل سرد أو حكاية، هذه القصائد تعرف عند الأشياخ بقصائد «الحُجَّام» وتحكي عادة قدوم محبوبة عند خليلها، في غفلة من أهلها وعشيرتها، فيقيم لها في دياره حفلا صغيرا، ويحضر لها حجاما يشم جسدها فرحا بزيارتها التي طالما وعدته بها والتي طال انتظاره لها، فيصير الوشم في خيال الشاعر تعبيرا عن نشوة اللقاء وسبيلا للحب والوصال.

حتى يكون تحليلنا لقصائد «الحُجَّام» تحليلا دقيقا ومركزا، سوف نحصر دراستنا في قصيدتين لهما شهرة وشعبية مميزة، هما: «الحُجَّام» لمحمد بن علي المسفيوي، و«الحُجَّام» لمحمد بن علي ولد رزين، وتفاديا لكل خلط بين القصيدتين، سنرمز للأولى ب (ح 1) وللثانية ب (ح 2). نشير أيضا إلى أن «حُجَّام» المسفيوي قد وردت، في نصها المخطوط، على شكل الشعر المنثور، أي على شكل جمل وأسطر ودفقات شعرية مرسلة، ولم ترد على شكل الشعر العمودي (نظام الشطرين المتقابلين)، ويبقى أن كتابة النص الشفاهي أو هندسته الخطية، تطرح مجموعة أسئلة ودراسات لسانية وشعرية، حول الحدود الفاصلة بين سلطة الصوت وسلطة الحرف، أو العلاقة بين الكتابة والشفاهية في الأدب الشعبي.

في البدء تطلعنا القصيدتان عن الأدوات التي تستخدم في الوشم بالمغرب والتي تتألف عادة من منديل مطرز، وآخر شفاف،



وأنية مذهبة، ومشاريط حادة بأغشيتها، ثم كرسي خشبي عليه  
نقش، نقراً عند ولد رزين في (ح 2) :

مَعُونُكَ يَا خَجُومَ فَاثُومَ  
النَّاسُ وَصَفُوهَ بِالْعِيَاتِ الْبَالِغَاتِ مِنْ الْبَلَاغَةِ مَوْصُوفُ  
مَنْدِيلِكَ مِنَ الْقِسْمِ مَا شِ تَرْفُومَ  
مَنْ زَرْدَخَانِ مَا يَشْبَهُ لِيَةِ أَوْ لَا أَيْمَانُ لُهُ هَالَامَثَالِ مَوْصُوفُ  
طَاسَكَ حَتَّى سُوومَ مَا سَامُ  
مَنْ خَالِصُ الذَّهَبِ يَا خَجُومَ الْإِخْلَاصُ اَعْدَاكَ ابْمَعْرُوفُ  
وَأَمَشَّارُطَ بِالْخَرْطَاتِ يَنْقَامُ  
امْتَبِتِينَ بِاتَّقَاتِ الْأَكِيْفَةِ اتَّقَاتِ وَأَفْرَعُ مِنْ كُلِّ اسْيُوفِ  
وَأَغَشَّاهُمْ رُومِي صَبَائِنِ أَرْوَامُ  
وَشَفَائِفُ الْبَحْرِ مَنْزُولُهُ تَحْسَبُهَا مِنْ الْبَحْرِ الْمَكْفُوفِ  
وَالشُّلَيْهِ فِيهَا دَارُ تَخْرَامُ  
أَلِي دَارُهَا وَهَدَاها لَشْمَائِلُ الْجَمَالِ الْبَدْرُ الْمَوْصُوفُ

كذلك تطلعنا القصيدتان عن بعض أسماء وأشكال الوشم في  
المغرب وكذا موقعها في جسد المرأة كالخمسة أو الكف التي إن  
كانت، عند بعض الشعوب، ترمز إلى الحظ والقبال الحسن، فإنها تدل  
في الخيال الشعبي المغربي على الرغبة في إبعاد شر الحسد والعين  
الخبیثة، هذه الكف العجيبة ترمز في الذاكرة الجماعية إلى القوة  
والوقاية، إنها طلسم لرد السوء، فكثيرا ما نتحدث عن عين الحاسد  
وعن الوقاية من شرها بالخمسة أو الكف، وفي أدبنا الشفاهي  
نحفظ كثيرا من أمثال الحسد والعين الخبيثة :

— خَمْسَةٌ عَلَى عَيْنَيْكَ الْعَمَشَةُ  
— عَيْنُ الْحَسُودِ فِيهَا عُودُ  
— الْحَسُودُ لَا يَسُودُ

أيضا في القرآن الكريم نقراً في الآية الخامسة من سورة الفلق ((...)) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ). إن هذه الكف السحرية المجردة، ترافق المغربي في كل مكان قد يكون فيه اتصال بالآخر (الفريب) وكأنها كف بارزة تلاحق كل نظرة سوء لتطمسها ولترد شرها، نجدها منقوشة على الحلي، على الأواني، على الزرابي، على الصناديق الخشبية، على الخناجر، على العربات، على أبواب البيوت، بل أحيانا على الآلات الموسيقية وعلى الملابس والأفرشة.

إن شكل الخمسة أو الكف في القصيدتين، هو وشم بين الحاجبين، نقراً عند المسفيوي في (ح 1) :  
..نُوصِيكَ دِيرَ لَخْمِيْسَةٍ مَنْ فَوْقَ لَعْيُونِ، بَيْنَ حَوَاجِبَ لَغْزَالٍ (...)  
وعند ولد رزين في (ح 2) :

شَفَّ الْبَيْضَ ائْتَسَبَ أَوْشَامُ  
بَيْنَ الْحَوَاجِبِ اَعْمَلْ خَمْسَةً تَلْقَى أَلَى ائْتَارِكَ فِيهَا وَيَشُوفُ

كذلك تشير القصيدتان إلى شكل الهلال أو حرف النون العربي، وهو وشم للوجنتين، كما تشيران إلى شكل الخال والشامة اللذين هما وشم للخد، يقول المسفيوي (ح 1) :

دِيرَ لَهْلَالٍ عَلَى الْوَجْنَا الشَّارِقَا بَضِيَاها عِنْدَاكَ لَيْقِيْسُوكَ أَشْفَارُ الرُّيْمِ كُنْ  
عَائِقُ فَائِقُ، اَعْمَلْ تَحْتَهُمُ الشُّمَّا وَالْخَالُ فَوْقَ دَاكَ الْخَذُ الْوَرْدِي اللَّيْ كُوَاكَ  
ابْنَارُ، (...).

ويؤكد ولد رزين في (ح 2) :

شُفْ وَرْدُ الْوَجْنَاتِ وَكَمْ مَـمَـمُ  
فِي خَذَهَا اَعْمَلْ خَالُ أَوْ شَامَةَ نُونُ امْيَصْلَةَ بِنُقْطَةِ مَعْرُوفِ  
شكل آخر تتحدث عنه القصيدتان، هو شكل السلسلة كوشم  
لموضع الذقن إذ نجد عند المسفيوي في (ح 1) :  
(...) وَيَلَا أَوْصَلَتْ دَاكَ الْعَتْنُونُ، اَعْمَلْ السَّنْسِلَةَ، فَالْقُبَّةُ تَنْبَا امْنِيْلَةَ (...)

ويقول ولد رزين في (ح 2) :

شُفْ الْعَـتْنُونُ أَوْ شُفْ تَسْنَقَّامُ  
وَعْمَلْ عَلَيْهِ وَرْقَةَ يَسَا وَعْمَلْ السَّنْسِلَةَ لِتُرْكِيمِ تَحُوفِ

إن هذه الرسوم، كما تسجلها القصيدتان، إضافة إلى رسوم  
أخرى قد نعثر عليها في قصائد لا تزال للأسف تنام في كنانيش  
أصحابها دون أن ترى نور القراءة والبحث، كلها أشكال أتبثتها  
الدراسات الانتربولوجية حول الوشم في المغرب، بأسمائها  
ومواضعها على جسد المرأة، هذه الرسوم، يردّها الباحثون في  
أصلها إلى ثمانية أشكال أولية وأساسية، هي كما يذكرها جون  
هير بر J: HERBER (4) :

- النقطة أو مجموعة من النقاط
- الخط المستقيم والأشكال المتفرعة عنه
- الأشكال الصليبية
- أشكال الشارات العسكرية (V)
- أشكال نجمية
- أشكال ذات زوايا متعارضة أو متوازية وخطوط منحنية
- أشكال معينة (Losanges)
- أشكال دائرية

بعد هذه الفقرة التي نرجعها إلى هيربر J. HERBER في دراساته ونشراته المستفيضة حول تقنيات وأشكال وأسماء ومواضع الوشم عند المغاربة، نعود إلى قصيدتي الحُجَّام لنستخير في لازمتيهما (الْحَرْبَةُ) عن لون الوشم المفضل عند النساء المغربيات. وهو لون ما بين الزرقة والخضرة (امْنِيْلُ) أي مستخلص من خليط مسحوق النِّيْلَة الأزرق ومسحوق بعض النباتات العطرية الخضراء :

الْحُجَّامُ إِلَى كُنْتُ لُبِيبٌ فِي صَدْرِ الطَّامِ.. زَيْدُ نَيْلُ الْوَشَامِ.. بَاشُ  
تَعْمَلُ فِي خَدِّ الرِّيمِ خَالٌ وَشَامًا<sup>(5)</sup>.

مُؤَلَّحٌ أَخْجَامُ الْبَاهِيَةِ طَامُ  
لَلَّهْ فِي صَدْرٍ مَنْ نَهْوُ لَوْشَامُ نَيْلُ زَيْنُ لِيَةِ اخْرُوفُ<sup>(6)</sup>

كذلك تطلعنا القصيدتان على إحدى أهم طقوس الوشم عند المرأة المغربية وهي اجتماع النسوة للرقص والغناء احتفاءً بهذا الحدث، وأيضاً احتجاب المرأة الموشومة والأخرى الواشمة في غرفة

أو من وراء حجاب بين البخور والطلاسم مدة سبعة أيام بعد الانتهاء من عملية الوشم، ذلك لحمايةهما من شر العين والأرواح الخبيثة، وحتى يتلاءم الجرح ويبدو الوشم أكثر فتنة وبهاء<sup>١</sup>. يقول الشيخ المسفيوي في (ح ١) مخاطبا حجامه :

دِيرَ لَبَنَاتُ عَلَى الصُّفْرَةِ (...) السَّاعِيَيْنِ ارْكَابُ اغْزَالِي الْبَاهِيَا  
طَامُوا لُوجِيْبَا خَلِيلَتِي مَنْ جَاوْ امْعَاهَا عَلَى الرِّضَا وَثَوَاوْ يَحْضُرُ  
وَشَامُهَا بِالْجَمَلَةِ لَهَا يَبَايَعُ وَالْعَذْرَا بِيَنْتَهُم سُلْطَانَا مَنْصُورَةٌ  
وَجَالِسَةٌ عَنِ الْكُرْسِيِّ مَثَلُ لُهُمَامٍ.. كَاتَحْكُم عَنْ دُوكِ الرِّيَامِ.. بَعْدُ  
تَدِيرُ اللَّيْ قُلْتُ حَجْبُ وَشَامُكَ بِالْعَسَةِ وَدِيرُ لِيهِ طَلَّاسُم (...) يَحْجُبُ  
مُولاَتِي الْبَاهِيَا وَيَحْجُبُوكَ مَنْ الْحَسُودُ.. لِيكَ نَعْلَمُ لِرِصَادِ بَاشِ  
تَرْصِدُ مَلُوكِ الْجِنِّ عَايَشِينَ وَلَقْدَامٍ.. (...) قُولُهُمْ أَوْشَامُ لَبَنَاتُ جُمَلَا  
بَتْمَامٍ.. قَالَ صَاحِبُ لَنْظَامٍ.. بِنَ عَلِي مَسْفِيُولِيكُمْ يَانْظَامَةِ، عَلَى  
وَشَامِ الرِّيمِ تَعَسُو وَلَا تَرْكُو لِلَّامِ.. يَشْفَا وَابْلَنْيَامِ.. فِي مُحَاسِنِ وَلَفِي  
مَنْ بِالْجَمَالِ لِيهَا شَامَةٌ (...)

إن الخيال الشعري الشعبي قد يجعل من الوشم لوحة تشكيلية تعكس التصور الجامع لأحوال العشق، والخيال الصارخ بمعاناة العاشق، تماما كما تحفظه الذاكرة الجماعية سردا في الحكاية وعبرة في المثل ومتعة في اللغز والناذرة وفنا في النحت والرقص والغناء. الشيخ المسفيوي في حجامه يطلب من هذه الشخصية الشعبية العجيبة والتميزة أن تبعد تلك اللوحة المتخيلة، وشما على صدر محبوبته، فيتداخل في نص القصيدة رمز الصورة برمز الخطاب، في تقاطع موضوعي مع معاناة الذات المبدعة :



(...) وَعَمَلٌ فِي صَدْرٍ لَغْزَالٍ قَلْعَةٌ تَظْهَرُ بَيْنَ النَّهْودِ..  
دُورٌ بِهَا سُبُغٌ مِّنَ الصُّوَارِ مُنِيعًا وَبِرَاجٍ عَالِيًا وَخَفِرَاتٌ عَلَى  
لَجْدَارٍ..

دِيرٌ مَدَافِعُ تَنْبَا مِّنَ الشَّرَارِفِ كَاتِبُطَشٌ بِالرَّقِيبِ، (...)

هذه القلعة المنيعة يحميها فرسان شجعان أقوياء يذكر  
المسفيوي من بينهم سيف بن ذي يزن، أحد ملوك اليمن وأحد  
أبطال الأسطورة العربية ويذكر أيضا أهم شخوص هذه الأسطورة  
«الأزلية» كما تتناقلها الروايات الشعبية منذ القديم :

(...) دِيرٌ شُجْعَانٌ زُعَامٌ.. وَأَقْفَا بَاحْتِرَامٌ.. كُلُّ بَطَلٍ جَوَادٌ لِلْحَرْبِ  
كَأَيْتْرَامًا.. دِيرٌ بَنٌ دُوِيْزَالٍ قِبَالَهُمْ مَاسِكٌ لَعْلَامٌ.. دِيرٌ قَوْمٌ بِتَمَامٍ.. دِيرٌ  
وَلَدٌ دُمُرٌ (...) دِيرٌ سَعْدٌ مَعَ الْمَيْمُونِ وَالْدُمْنَهْرُ لُهُمَا.. مَن تَقْلَدُ  
لُحْسَامٌ.. مَن تَسْمَى مَصْرٌ وَمَعَاهُ شَيْ حُكَامًا، دِيرٌ بَرْنُوخٌ مَعَ عَقْلَةٍ  
وَبَانِيَّاسُ الدَّرْعَامِ.. كَايَسَحَرُ لَنْيَامٍ.. دِيرٌ مَلُوكُ الْجِنِّ أَقْبَالَهُمْ حُوَامًا.

والشيخ ولد رزين يطلب من حجامه في (ح 2) :

شُفُّ الْجِيَامِ شُفُّ لُغْوَامٍ

وَعَمَلٌ عَلَى أَقْوَامٍ قَلْعَةٌ تَخْضِي أَوْشَامُنْ لَا يَضْحَا مَثْلُوفٌ

شُفُّ الصُّوَارِ وَخَفِرَاتُ كُودَامٍ

وَتُدُورُ مِّنْ أَخْلَافِ الْقَلْعَةِ وَخَفِيرُ مِّنْ أَخْلَافِهِ لِبَطَالِ اثْحُوفِ

أما قلعة هذا الشاعر، فيحتملها بطل عربي آخر، هو الفارس والشاعر العاشق عنتر بن شداد العبسي، الذي صار شعره في حب ابنة عمه وسيفه في حماية قبيلته، أسطورة تتناقلها أشعار وأخبار وأيام العرب وترويتها كتب الملاحم والسير وتتسامر بها المجالس والرواة :

دِيرُ ابْنِي عَسْبَسْ أَخْلَيْفُ احْكَامُ  
واعْمَلْ عَنْتَرَةَ فِي خَلْفِ شَيْبُوبٍ مَشْتَمُرٍ فِي زَرْدِهِ مَعْرُوفُ

على صدر المحبوبة، حول القلعة، يطلب الشاعران من حجامهما أن يرسم روضا محاطا بالأشجار بالورود وبالفواكه، بالطير والغزال، بالجداول والسواقي والوديان.

يقول المسفيوي في (ح ١) :

دِيرُ عَرِصَةَ زَهْوِ النَّظَّارِ، بِالْغَصَّانِ اخْفِيلَةَ وَشَجَارِ، (...) تَفْأَحُ  
وَلَنْقَاصُ وَلَمْشَمَاشِ الْبَاهِي مَعَ الزُّفْرُوفِ، حَدَاةَ حَبِّ الْمَلُوكِ (...)   
دِيرُ جَدَاوِلَ وَالسَّهَارِجِ وَالسَّقَاقِي مَهَاصِفِي عَدِيبِ، (...) لَطِيَّارُ  
فَلْغَصَّانِ كَأَتَسْبِجٍ بَلْغَاهاَ لِلْكَرِيمِ، كُلُّ طَيْرٍ بِصُوتٍ فَصِيحِ، (...) دِيرُ  
لَغَزَالٍ يَعْجَبُكَ بِأَلْبِهَا وَخَفَّتْ لِعَظَامِ.. (...) دِيرُ نَوَّارِ بَطِيبِ فَاخِ،  
فَالْحَدَائِقُ مَا بَيْنَ ادْوَاخِ، دِيرُ وَرْدٍ وَنَسْرِ وَالْقِيَقْلَانِ.. (...) وَالنُّرْجِسُ  
السَّاهِرُ فَالْبَهِيمِ (...).

أمام الروض المنقوش وشما على صدر المحبوبة والمسترسل شعرا في خيال العاشق، يطلب الشيخ ولد رزين (ح 2) من حجامه أن

يرسم على هذا الصدر الانثوي المتخيل، الليل والهودج، الخيمة والصحراء، الرحيل والافتراق، ديار تملأ وأخرى تهجر، قوم يقيمون وآخرون يغادرون :

فَمَنْدَرُهَا دِيرٌ أَنْجُوعٌ وَخَبِيَامٌ  
مَهْمَا أَيْرَحَلُوا بِالتُّجَانِ أَصْوَتَهَا تَجَاوِبُ لَصَوَاتِ الْكُوفِ  
دِيرٌ أَدْيَارُ الشُّبَيْلَانِ وَمَقَامٌ  
وَفَكْلٌ يَوْمَ دَارِ جَدِيدَةٍ وَقُلُوبٌ صَافِيَةٌ مِنْ غَيْرِ الْخَشُوفِ

الوشم في قصائد الحُجَّام، خطاب تتمفصل لغته أشكالا ورموزا على الجسد، إنه كما نحتته هذه الشخصية الشعبية العجيبة على صدر المرأة، عبارة عن مشهد درامي لموقفين مختلفين، في فضاءين متعارضين : فضاء الروض العطر بورده وفاكهته، بجدوله وطيره، بجمالياته وأنغامه، هذا الفضاء المرح على صدر المحبوبة يرمز إلى فرحة اللقاء ونشوة الاجتماع، إنه فضاء ملحمي تتناغم فيه الأشياء في توازن تام مع انتشاء الذات المبدعة، إن على مستوى الرؤية (ألوان - أنوار - أشجار - فواكه - جداول...) أو السمع (تغريد الطير، خرير المياه، أنغام الموسيقى...) أو الرائحة (زهر - عطر - طيب...) فالروض بالنسبة للعاشق، فضاء للانفراج، للذة وللنعيم.

أما الفضاء الآخر، فهو فضاء الصحراء بخلائه وليله، بغزاله ووحشه، بخيمته وهودجه، إن هذا الفضاء الموحش، في تعارضه مع فضاء الروض المرح، يرمز دائما على صدر المحبوبة إلى الرحيل والهجر، إلى الهروب، والاختفاء.

إن الصحراء، كما تطالعنا في الشعر العربي الفصيح، خصوصاً في العصر الجاهلي، تشكل فضاءاً للمعاناة، للقلق وضيق النفس، للهجر والافتراق، كثير هم الشعراء اللذين تاهوا في فضاء الصحراء الموحش، يبكون المنازل والديار، يشكون لوعة الحب وحرقة الفراق، نقرأ للملك الضليل :

قِفَا نُبْكِي مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ  
بِسِقْطِ اللُّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَخَوْمِلِ

ونقرأ كذلك لمجنون ليلى :

أُمُرٌ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارٍ لَيْلَى  
أَقْبَلُ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارِ  
وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ فَسَتَنَ قَلْبِي  
وَلَكِنْ حُبٌّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَ

ومن تعارض الفضاءين، تنشأ المفارقة في الصورة الشعرية التي تتبدى كصراع داخلي يجتاح نفسية وخيال الذات المبدعة، صراع بين موقف حركي تنعشه لذة الحب والوصال (فضاء الروض) وموقف سكوني تحبطه مرارة الهجر والفراق (فضاء الصحراء).

أما فضاء القلعة بأبطالها وعتادها، فيبقى هو الآخر فضاءاً ملحمياً يرمز على صدر المحبوبة إلى « معرفة » و « قدرة » الفعل، ففي فضاء الحصن تأخذ الذات المبدعة فعل البطل الملحمي الذي يبدي قدرة على رعاية محبوبته وحمايتها، وأيضاً في هذا الفضاء

تأخذ الذات فعل البطل العاشق الذي يبدي معرفة بكيفية تحمل هجر المحبوبة، والصبر على صدودها وتمنعها، حتى يتوفق في طلبه، ويكسب حبها ووصالها.

كل هذه الفضاءات المنحوثة وشما على جسد امرأة مجردة معلوم بها، هي فضاءات رامية ودالة، من تعارضها وتقابلها تتشكل بنية عميقة ومتجانسة من القيم والمواقف الانسانية، فمن فرحة ونشوة الحب والوصال في فضاء الروض المرح، إلى حزن ومرارة الافتراق والهجر والصدود في فضاء الصحراء الموحش، إلى شجاعة وصبر وتحمل في فضاء الحصن المنيع.

كما أن بنية قيم الحب والوصال فالهجر والتمنع، فالصبر والتحمل، تفرز في قصائد الوشم خطابا عشقيا معبر عنه بأشكال ورسوم. من هنا يصير الوشم أو الوخز بالابر، نسقا سيميائيا ليس بالثانوي، بل لغة لها تمثيلها الخطي ورمزها الدلالي، وإن لم تكن تخضع لنظام التمثيل المزدوج (7).

إن الذاكرة الشعبية في خيالها الشعري، تجمع بين دلالة خطاب عشقي يعبر في بنيته العميقة عن قيم ومواقف إنسانية تشغل تفكير الجماعة، وبين رمزية خطاب جسدي تتمفصل لغته وشما على جسد المرأة، مما يجعل هذه الذاكرة الجماعية، عن وعي أو عن غير وعي، تحفظ للباحثين في متنها، فنا أصيلا ومميزا في ثقافتنا الشعبية. ومن تقاطع دلالة ورمزية الخطابين (الجسدي والشعري) تبرز خصوصية الوشم والمرأة والشعر، في أدبنا الشفاهي.



## الهوامش :

- (1) Abdelkebir KHATIBI : La Blessure de nom propre. Ed. Denoël (Paris 1983) p. 64.
- (2) Jean HERBER : Les Tatouages du cou, de la poitrine et du genou chez la marocaine.  
In revue Hespéris. 1949, 3e et 4e trimestre. p. 333
- (3) Guaston BACHELARD : La poétique de l'espace: Ed. Presses Universitaires de France  
(Paris 1979). p : 26.
- (4) Jean HERBER : Onomastique du Tatouage marocain. In Hespéris 1er et 2e Trimestre (1948).  
p. 39.
- (5) لازمة « حجام » الشيخ محمد بن علي المسفيوي ( ح 1 ).
- (6) لازمة « حجام » الشيخ محمد بن علي ولد رزين ( ح 2 ).
- (7) Abdelaziz Amar : Le personnage de la femme dans la poésie populaire marocaine d'expression arabe dialectale "MALHUN" Doctorat: Université de la sorbonne :  
Paris III. 1990. P 167.

## الأم

محمد الحلوي(\*)

وضيء المحيا كالنّدى وشذا الزهر  
 كأن ثوانيتها عقود من الدهر!  
 مخلّقة واجتاز طورا إلى طور  
 وغذاه قلب الأم من حبها النّور  
 وأتخّم من خيراتها وهو لا يدري  
 وترقّب في استهلاله ليلة القدر!  
 تشاهدها تبكي، وتبصرها تجري  
 وهمساته في سمعها سَجعة القُمري  
 مخافة أن يلقي عناء من القر  
 مكابدة تشكو يداها من الفقر  
 ورشت عليه كل ما طاب من عطر!  
 أعزّ مكان ليس يوجد في قصر!  
 لعدّته في حب البنين من النّزر  
 وفوق كراسي الحكم لا من ذوي الفكر!  
 تلقّف ما يوحى به صاحب الأمر!  
 ولما تطأ رجلاه مستنقع الشر!  
 وترجو له طول السلامة والعمر

أطل على دنياه في بسمّة الفجر  
 قضى في مطاوي الغيب تسعة أشهر  
 فمذ حل في بيت الأمومة نطفة  
 رعته عيون لم تنم وهو نائم  
 تملأ من طاقاتها ودمائها  
 تعد الليالي وهي تحمل ثقله  
 ترى وجهه في كل طفل وطفلة  
 وتونسها في نومها نبضاته  
 وتنسج أيديها ملابس جسمه  
 تعد له أغلى الدمى ولوانها  
 ولو قدرت صاغت من الورد فرشته  
 وشادت له في الأرض قبل مجيئه  
 ولو منحته ملء كوني سعادة  
 تريده بين الناس في المجد قمة  
 يسّوس ويُعطي الأمر والناس حوله  
 وتدعوه في بطنها وهو مضغّة  
 تُحصنه من كل عين شريرة

وتغشى قبور الأولياء وفيه  
 وكم أوقدت فيها شموعا وأحرقت  
 لتصرخ أحلى صرخة بوليدها  
 هي الأم دنييا من حنان، ومنبع  
 تحب وإن كان العقوق جزاءها  
 وتمضي ولاشيء يؤنس قبرها  
 تكابد في الدنيا لتُسعد غيرها،  
 بما التزمت للأولياء من النذر!  
 بخورا، وأهدتها القرابين في سر!  
 وتصيح أماً تمنح الحب للغير!  
 من الحب فيأض، وكنز من الطهر  
 وترضى وإن لم تلق شيئا من البر  
 سوى طفلها من بعدها وهي في القبر!  
 وتعطي بلا من، وتشقى بلا أجر!

\*\*\*\*\*

## الزوجة الأجنبية

أحمد عبد السلام البقالي (\*)

من الظواهر التي أثارت كثيراً من الجدل وما تزال، الزواج بالأجنبيات. فهو ظاهرة مقلقة للآباء الذين تزوج أبناؤهم بأجنبيات لأسباب إجتماعية ودينية ولغوية معروفة. وهي أكثر إقلاقاً للفتيات المغربيات لاعتقادهن أن الأجنبيات يخطفن منهن فرص زواجهن! الأمر الذي حدا بعدد منهن إلى تحدي الأعراف، والزواج بالأجانب بعد إسلامهم السوري أو الحقيقي.

وهذه قصة شعرية على لسان عربي تزوج أجنبية على زوجته العربية.

وكانت لنا زوجة عربية	بها شَمَمٌ ولها أريحيّة
جمال على وجهها وحياء	يزين بشهرتها البدوية
وطاعة زوج، وقوة نسل	وطبع القناعة فيها سجية
وكانت تفي برغائبنا	تنفّذها، وهي في النفس نية
فقالوا تزوج فرنسية	عليها، وذق متعة أجنبية
وقاومت إغراء أوصافهم	لها، وإثارتهم للشهوية
ومازال شيطانهم في الضمير	يؤسّوسُ حتى قبلنا البلية

(\*) شاعر وقصاص.

سلاحِي، وألقت شباكا عليَّ  
وعينين في خضرة سُنْدُسية  
حليب ووجه كوجه صبية  
ببيتي، ودون سؤال بنيَّة  
وبالبعد عن زوجتي العربية  
إلى الناس باللغة الأجنبية  
ألفتُ، وأظهرتُ ما ليس قيَّة  
وأفقد أبهتي الجعفرية

فلما أتوني بها نَزَعْتَ  
بشعرٍ كشلال شمس الصباح  
وبششرة ورد على لب  
تزوجتها دون إذن التي  
فصارت تطالبني بالوفاء  
وبالصوم عن لغتي، والحديث  
وغيرت عادات عيشي التي  
وباتت تجسَّو عُنِي لارق

\*\*\*

ونحى الغشاوة عن مقلتيه  
إليها بسلسلة ذهبية  
«سعاد» وطفلي سعد ومية  
وعادات قومي الكرام الرضوية  
وبسمة وجه عزيز عليَّ  
وزوجا، وطفلا برئ الطوية  
بقربي، ولم تحزن الأجنبية  
وأغلق عن لغوهم أذنيَّ

ومر الزمان، ورقُّ الهوى  
وزال البريق الذي شددني  
وفاض اشتياقي إلى زوجتي  
وحن دمي للدم العرربي  
فعدت إلى دفء صدر حنون  
إلى حيث كنت أبا، وأخا  
ففاضت مدامعها فرحة  
فأقسمت أن أهجر العابثين

\*\*\*



## الآزمنة

مالكة العاصمي(\*)

### - 1 -

أين أنتِ أبالستي وشياطيني الصم...؟  
لذتُ بكم وانصرفتم إلى حيث لا أستطيع اللحاق بكم  
واختفت بكم دوائر المياه، البحار، ودوامة الزوبعة  
كنت أنشد فيكم براءة أيام ميلادي المسرجه  
والتماع التوهج في الروح،  
والجسد الناري، النور، والجسد الأربعة  
كنت أقبض من نهر وادي القرى جرعة  
وأطاولها، فتصير فحيحاً  
وأنفث فيها، فتصبح ريحاً  
وأقبضها، فتطير براقاً  
وأسرجها، وأخلق فوق عنان السما  
شهباً، شهباً  
حرساً، حرساً  
لأبالستي صولة لا تحاصرها الشهب  
والأفق المدلهم تفتقه، وتواصل زحفاً غريباً يشق عنان السماء

(\*) استاذة جامعية، شاعرة.

- 2 -

قد تعرّت بباب السما حورياتُ وأغْوَيْنَنِي  
 أوت الشمسُ للخدرِ  
 لهلب أوارها  
 انفجرت شبقاً  
 فتطاير دار السلام  
 وغرناطة  
 وربى السندِ  
 والهند  
 والصين  
 والغال  
 والواق واق  
 وبحر اللّالي  
 ومملكة السندباد  
 وقاعدة الشمس  
 والأنس  
 والرقص  
 والماس  
 والصؤلجان  
 وقلبي تَفَطَّرَ عِشْقاً  
 وأوغل في زمنٍ للعناق

- 3 -

قد تعرّت بباب السما حورياتُ وأغْوَيْنَنِي :  
 سقط القدس

وانفرطت نجمة في الثرى وتشظّت،  
 تناهبها الرومُ  
 والقومُ  
 والمارقون البُغاةُ  
 ويا جوجُ  
 وجنسُ العلوجُ  
 كلُّ تزوّدَ منها بشمسٍ بهيٍ  
 وبردٍ نبيٍ  
 وكونَ من نورها فلکاً كُرويٍ  
 مخزناً نوويٍ  
 مازال حتى تفجّر ثانيةً بعدما اكتملَ الفلكُ  
 والمُلکُ

#### - 4 -

قد تعرّت بباب السّما حورياتٌ وأغوينني  
 عجباً كيف أغوى  
 وما تفعل الحوريات ببّابي  
 أبالستي ثورة تقذف الشهبَ المحرقة  
 أستعير الضباب وأركبه  
 وأواجه ملحمة الغضب الشائك، الشاعر، الموت،  
 أشهر أعضائي العشرة المتكلّسة، المتطرّية، المتألّقة  
 المتحدية الكون  
 أركب بالبوح أعضائي السّودَ  
 أعضائي البيضَ  
 قد أتشقّلُ خلفاً على ظلّي الهاربِ السرمديّ

وأحكي حكاية موتي لأُمّ الشهيد  
 سوف أروي لها قصة الجسد الأزلي الذي يَقْنِصُ  
 الريح أو يحتويها  
 ويقصف لامعة البرق  
 ثم تجري الرياح بعكس اتجاه السفن

- 5 -

كالرؤوس المغيرات ينفجر النجم  
 تسقط بيروت  
 كم نجمة تتناثر من نسلها  
 يتساقط شط العرب  
 ورمال الذهب  
 وبقايا « الثريا » بأرض العرب  
 ويزغرد في الكون منها نشيد  
 وشعاع عنيد  
 « أرى العنقاء تكبر أن تُصادا »  
 كان أن باض طير العقاب ببطن ثراها  
 وفي حضن أعشاشها المستحيلات  
 في ثنيات خمائلها بأريحا  
 ويافا وحيفا  
 في جنبات التلال  
 وفي مسكن الشمس بين الرمال  
 وتحت رموش الجبال  
 باض طير العقاب  
 بين ما يتماسك من طين مسجدها

وأفانين مَعْبِدِهَا  
وهياكلها  
حط طير العقاب على قمم بالمنارات تبتهل الربُّ  
أفرغ ذَوْبَ جَنَاهُ  
وَطَارَ

## - 6 -

عند الغَبَشِ المتناسل من رَحِمِ الظلمة في يوم صافٍ مُخْضَلٍ  
طفحتُ أنداؤه حَالَةً، فتسلل وردٌ من أكمامه ثم أطلَّ  
فانتفضت زغبان من بيض العقبان يدمدم تحت جوانحها الغل  
فجأة أزهرت أرضنا وتجلَّتْ  
مباهجها قد أطلَّتْ  
فجأة لمعت أنجم في أكفٍ الطفولة مثل الذهب  
واستشاطت غضبٌ  
زمجرت واستطار شواظٌ تراها حجرٌ  
ولظى وشررٌ  
يقذف الغل في وجههم والضجرُ

\* \* \*

في صبيحة يومٍ جميلٍ  
عند فجر يرش على الحبِّ أنداءه والنَّوى  
انفلق الحبُّ،  
أراد الربُّ  
انبثق الحيُّ من الميت  
حيُّ باقٍ  
حي حي



حي باق، حي باق  
رب العزة والملكوت

- 7 -

وتطلع مثل شظية رمح بظفري تكلمني  
وتحاورني عن جنوني  
وما حمل اليم  
والنهر  
والريح  
والمركب الصعب  
والصافنات  
وأشعة الوعد  
ألواح نوح جرت لتمدّ جسوراً على روي الضائعة  
وقبضت بها فنجوت  
وأرسيّت صاريّتي ورياحي  
وجئت لشط الفرات  
وما زال بي من زوابع أم القرى هوسٌ وجنونٌ  
وفاكهتي نضجت في السحاب  
وألقت عناقيدها  
ورنت لقناديل دجلة عشقاً  
وللأعين الخضر من أرز لبنان  
والذهب المتشرب في الرمل  
وانتفضت وتدلّت تمص تعاستها وأسأها بأرض  
الجريمة  
يا أيها العبق المتضوّع من هذه الأرض  
مرحى

- 8 -

حملت إلى الله شكواك  
 ما بالشياطين باسٌ  
 أبالستي شهبٌ تحرُسُ الأفقَ المتلبّدُ  
 أبشرُ  
 لقد دادت المهزلة.  
 سوف أقبضُ من نهر وادي القرى جرعةً،  
 وأطاولُها  
 فتصير فحيحاً  
 وأنفث فيها، فتصبح ريحاً  
 وأقبضها، فتطير براقاً  
 وأسرجها، وأحلق فوق عنان السما  
 شهباً شهباً  
 حرساً، حرساً  
 لأبالستي صولة لا تحاصرها الشُّهبُ  
 والأفق المدلهم تفتّقه، وتواصل زحفاً غريباً  
 يشقّ عنان السماء

\*\*\*\*\*

## المرأة المغربية

عبد الواحد أخريف(\*)

حُيِّيتِ فِي شِفْرِي وَفِي إِنْشَادِي  
هِيَ خَيْرُ مَا فِي أَرْضِنَا مِنْ زَادِ!  
وَتَنْيِرُ كَالْقَمَرِ الْوَدِيعِ الْهَادِي  
مِنْكَ النَّمُودَجُ فِي هُدًى وَرَشَادِ!  
وَيَقُومُ سِدًّا ضِدَّ كُلِّ فَسَادِ  
لَا تَخْتَفِي كَاللُّأْمَعِ الْوَقَادِ  
وَبِهِ تَفَقَّدْتِ لِمَا وَرَاءَ الْأَبْعَادِ  
فَلَقَدْ سَمَّوْتِ لَهَا مَعَ الْأَنْدَادِ  
الشُّرْعُ ضَامِنُهُ مَدَى الْأَبَادِ  
مُتَجَدِّدًا (بِحَدَاثَةِ) الرُّوَادِ  
فِيهِ الْبَنَاتُ مَعَارِفُ الْأَوْلَادِ  
ضَمِنَ النَّهْوُضُ سَلَامَةَ الْأَجْسَادِ  
«صِدْقَةُ» التَّارِيخِ خَيْرُ تِلَادِ  
مَخْزُونَهَا السُّحَاخِ سَخُّ غَوَادِي!  
مَا كَانَ لِلْسُّادَاتِ شَأْنُ بَادِي  
مَنْ كُلِّ ذِي عَقْلٍ حَصِيفٍ شَادِي

بَنَتْ الْمَرْوَةَ وَالْعَفَافِ الْبَادِي  
سَارَتْ بِذِكْرِكَ فِي الْوُجُودِ فَضِيلَةُ  
تَبْنِي عَلَى الْأَخْلَاقِ صِرْحَ عِمَادِهَا  
رَقَّتْ شَمَائِلُكَ اللَّطَافُ فَصَوَّرَتْ  
عَقْلُ يَصُونُ عَنْ الْمِبَازِلِ وَالْخَنَاءِ  
وَعَلَيْكَ مِنْ سَيِّمَاتِ الذِّكَاءِ مَلَامِحُ  
بِسَنَاءِ أَضْحَى كُلِّ صَغْبٍ هَيِّنَا  
أَمَّا الْمَعَارِفُ فِي ذُرَى عَلِيَانِهَا  
حَقُّ لَكَ التَّعْلِيمُ يَا أُخْتَ الْحِجَا  
فِي «مَغْرِبٍ» تَكْسُو (الْأَصَالَةَ) شَعْبَهُ  
لَمْ يَرُقْ لِلْأَمْجَادِ شَعْبٌ لَمْ تَنْلِ  
شَطْرَانِ إِنْ نَهَضْنَا بِعِلْمٍ وَافِرٍ  
فِي السَّابِقَاتِ الْخَالِدَاتِ دَلَائِلُ  
أَمَرَ النَّبِيُّ بِأَخْذِ نَصَفِ الدِّينِ مَنْ  
لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْسَّيِّدَاتِ تَفَوُّقُ  
إِنْ الثَّنَاءُ مَعْطَرًا قَدْ نِلْتِيهِ

في كل روضٍ للحياة أزاهرُ  
 ألامٍ فيها قُدوةٌ وضياءُ  
 تحنُّو إذا ربُّتُ، وقد تَقَسُّو إذا  
 إن شاركتُ زوجاً ففي مَغْنَاهُمَا  
 أستاذةٌ تلقِي فينفذُ قولها  
 كالبلسمِ الشافي لدامِ جهالةِ  
 مُذْ كانتِ الأنثى وهي طبيبةٌ  
 واليوم أضحت كالرجالٍ طبيبةٌ  
 فليهنها التوفيق إذا قد أتقنت  
 تأسُّو الجراحَ برقعةٍ وكائناتها  
 وإذا بمِبْضَعِهَا جَرَّتْ منها يدُ  
 برزتْ من الجنسِ اللطيفِ كَوَاتِبُ  
 في عالمِ التذويبِ صِرْنُ شَوَامِخَا  
 وخيالهن - إذا شَعَرْنَ - مُجَنِّحُ  
 صُورُ بها يجدُ الخيالُ بهاءه  
 ولدى الإدارة عاصماتُ زائناتها  
 عند «القضاء» وفي «المحامية» التي  
 نجدُ الفتاة - وقد سَمَّا عِرْفَانُهَا -  
 في البرِّ والإحسانِ قامت نهضةُ  
 قد تَوَجَّسَتْهَا هِمَّةٌ علويةُ  
 شَغَبُ بَنُوهُ عَزِيمَةٌ، وبنائهُ  
 العاهلُ «الحسنُ المثنى» قلبه

يَذْكُو شَذَاها في سماءِ بلادي  
 قد جَسُمَتْهَا غَيْرَةُ الأجدادِ  
 داعِ دَعَا، لكنْ بفَسِيخِ ودَادِ  
 حصنُ الفضيلةِ شامخُ الأطوادِ  
 يسري بعقلٍ شبيبةٍ وقوادِ  
 وضلالةٍ وتخلُّفِ ورقَادِ  
 للروحِ من همٍّ ومن أحقادِ  
 للجسمِ من وصَبٍ خبيثِ عَادِ  
 طبُّ القلوبِ وصحةُ الأجسادِ  
 ملكٌ ورُحْمَتُهُ نسيجُ ضِمَامِ  
 خِلْتُ الحديدَ كَمِرْوَدٍ وثِمَامِ  
 وشواعِرُ يَحْدُو بهنَّ الحَادِ  
 يجري اليراعُ بهنَّ جَرِي جِيَادِ  
 يَهْمِي فَيُرْوِي حُرْقَةَ الأكبادِ  
 أسلوبها يُخَيِّي فَخَارَ «الضُّادِ»  
 حُسْنُ الوقارِ وقُوَّةُ استعدادِ  
 تسعى لكشفِ الحقِّ في الأضدادِ  
 بالحقِّ تَقْضِي والحقُّ فوقِ تنادي  
 تكفي الخصاصَ بفيضها المزدادِ  
 هي «بالأميرة» مَقْصِدُ الورَادِ  
 حَزْمٌ لدى سِلْمٍ وعند جِلَادِ  
 يَفْذُوهُ بالإمدادِ والإسْقَادِ

## طفلة

عبد الكريم الطبال (\*)

تَبَّ بِبَدَأِ الصُّبْحِ  
بِالْبَسْمَةِ السَّنِيَّةِ  
أَوْ بِتَالِغِ النَّوَاءِ  
فَلَا شَيْءَ فِي صَدْرِهَا  
غَيْرُ قِرْقَرٍ ثَارَةٍ  
وَقَصَصِيَّةٍ عَشَقِ  
وَلَا شَيْءَ فِي الْكَوْنِ  
غَيْرِ مَرْمِ وَأَوِيلِهَا  
وَعَرِيشُ وَصَلٍ  
فَإِذَا أَيُّهَا النَّهْرُ  
يَا أَيُّهَا الْعَنْدَلِيبُ  
وَيَا أَيُّهَا اللَّيْلُ  
أَيْتَاهَا الْقُبُورَاتُ  
خُذُوا الْحِكْمَةَ الدُّنْيَا  
مَنْ قَطِفَ فَلَاحَ...  
الزُّنْبُورَةُ



## نصيحة الى الفتاة المغربية

محمد بنين (\*)

يا ابنة العصر حاذري الأشرارا واجعلي الطهر والعفاف شعارا  
جنبينا ماكان يجعله أعداء تحريير بنتنا أعذارا  
قدعاه الجمود كانوا ومازالوا يرون التعليم للبنت عارا  
لا تكوني عوننا علينا وصوني العرض حتى نعلي الرؤوس افتخارا  
قد ضمنا صلاح أجرك بالعلم وكنا لحزبك الانصارا  
وبذلنا الجهد الجهيد وكسرنا قيودا حتى أمطت الخمارا  
وبدا وجهك المنير يغار البدر ليلا والشمس منه نهارا  
وبدا ورد خندك الغض في الروض فبذُ الورود والأزهارا  
وسرى سر حسنك الفذ في الانفس منا فحرك الاوطارا  
وغدا غصن بانك اللدن يختال فخرت له الفصون انكسارا  
وسررنا لما رأينا في المعهد تبدين حنكة واقتدارا  
ورأيناك تظهريين نبوغا يوم أديت في العلوم اختبارا  
فحمد نالك الجهود وصفقنا وكنا من السرور سكارا  
غير أنا نرى ذئاب بني الانسان كادت تمزق الاستارا  
ورأيناك تنظرين ولا يبدى لهم وجهك الحيي احتقارا  
أتظنين أننا ندرك الأمال يوما إذا عدمت الوقارا  
أترين الإسفاف في حمأة الوزر سبيلا يحقق الأوطارا  
لا فلانجح للشعوب إذا لم تتجنب فتاتها الأوزارا  
فجمال الفتاة في العلم والعفة تاج يزيد بها إكبارا

(\*) شاعر من شعراء مراكش

والتراقي هو التوقي من السوء بأن تجعلى العفاف ستارا  
 ليس عارا أن تدرجى وسط الروض وتبدي للناظرين السوارا  
 إنما العار أن نراك بلا ستر حياء تغادرين الدار  
 إنما الخزي والشنار ومقت الله في أن ترافقى الاشجارا  
 فاحذري وامنعى الفضيلة من كل خسيس يروم منها انتحارا  
 لا تغرنك العذوبة في القول الذي كان رائقا مختارا  
 فذوو الوزر ينتقون من الألفاظ ما كان سائبا سحارا  
 يظهرون الوداد والحب والاشواق والقصد منهم يتوارى  
 فإذا أوقعوا فريستهم في الأسر ولوا بعد المصاب قرارا  
 الهوى والشباب تفعل فعل الخمر إذ يستبى عقول العذارى  
 فاحذري من ذئاب غابك يا ظبية قاع فربما الجار جارا  
 واجعلي الطهر علة واجعلي العفة سيفا لقتلهم بتارا  
 ولتكوني للبيت والعلم والنشء إذا رمت أن تنالي اعتبارا  
 ولتكوني الأم الرووم التي تعلى لابناء جيلها المقدارا  
 عمم أنت للبناء ولولاك لما وطد البناء جدارا  
 مثلي دورك الجدير بإتقان ينل شعبك الأبى انتصارا  
 واكتبى في صحيفة المغرب الاقصى الذي يكسب الفتاة فخارا  
 واجعلينا في مأمن من تصاريف زمان نبغى له استقرارا  
 واحفظيها نصيحة لك من قلب أديب يهدي لك الاشعارا

\*\*\*\*\*

## من الشعر النسائي الأمازيغي ” لست يا أبتى قطعة نقدية ”

للشاعرة : فاطمة مجاهد(\*)  
(تقديم عبد السلام أمرير)

### زواج الفتاة الأمازيغية

#### 1 - عادات اختيار الزوج

المجال الجغرافي الممتد من جنوب مراكش إلى الأطلس الكبير ،  
مرورا بالأطلس الصغير ، وسهل سوس حتى التخوم الصحراوية ،  
مجال تنتشر فيه الأمازيغية المعروفة بـ ” تاشلحيت ” وللناطقين  
بهذه الأمازيغية تقاليد عريقة ، من أبرزها عادة : ” اختيار الفتاة  
لزوجها ” .

رسخت العادات الأمازيغية عدة تقاليد تمكن الفتاة من المساهمة  
المسؤولة في اختيار شريك حياتها . كما خصصت تلك العادات  
فن ” الشعر الحوارى ” كوسيلة اقناعية تشوق العزاب . ففي  
الحقول - مثلاً - ينعش الفتيان والفتيات اشغالهم بالحوارات  
الشعرية التي تبلغ قممتها بتعدد المحاورين والمحاورات .

---

(\*) شاعرة أمازيغية من قبيلة « ايحاحان »

ومن أطف العادات المخصصة للحوارات الشعرية ، الخاصة بمناقشة موضوع الزواج ، تلك الغزليات التي تردد قرب الينابيع والسواقي وفي الأودية .

وإذا كانت التقاليد تجعل مكان جل حوارات الأبناء العزاب في أماكن بعيدة عن أعين الآباء ، فإن مناسبة " أحواش " - الرقص الجماعي - فرصة إعلان العزاب اختياراتهم أمام الملأ ، أحيانا على لسان الشعراء وأحيانا أخرى بالرقص الموحى . وبعد ذلك يبدأ الآباء بالمشاركة المباشرة في صنع القرار الأخير للزواج المرتقب ، قبل فترات الأوان بحلول " المواسيم " الصيفية التي تدل في تقاليد الزواج على انتهاء زمن ومناسبة كل الفرص ، وانتهاء دور الشعر الحوارى خاصة بتعيين الخطيب وتحديد زمن الخطبة ، وموعد حفل الزفاف .

نلاحظ أن كل الفرص التي خصصتها التقاليد لتختار خلالها الفتاة شريك حياتها ، فرص تحميها عادات اجتماعية لا تسمح بما لا يليق وفي الوقت نفسه ، لا تغيب عنها أعين الكبار غيابا كلياً ، ولكنها لا تشعر بالرقابة وإحصاء الأنفاس . وفي كل مراحل اختيار الفتاة لزوجها يتجلى في سلوكها حرصها الدائم على الفوز برضى الوالدين ، لاقتناع الجميع بأن الزواج الناجح هو تنويع لمراحل متلاحقة تبدأ بمبادرة الفتاة في الاختيار وتنتهي برضى الوالدين .

وقد يخرج أب عن هذه التقاليد ، فيرغم الفتاة على الزواج بمن لم تختره ، ظرفئد يعتبر قراره خروجاً عن اجماع " المحبين " فيتصدى الشعراء لذلك الخرق بأشعار قاسية ، لأن الأمر ليس مجرد

فرض زوج على فتاة لاترضاه ، بل الأمر في حقيقته ، تجاهل الفرد - الأب - لقرار جماعي صاغه الأبناء - ذكورا وإناثا - بتقاليد مرعية ، وعبر مراحل تبدأ بالمحاورات الشعرية ، انطلاقا من عبارة إعداد الأرض للحرث ، إلى روائع غزل فصل إخصاب الأرض وجمال فصل الربيع ، وصولا إلى دلالة الحصاد على الزواج .

وقد يتصدى شاعر ، أو شاعرة من المشاهير ليتخذ سلوك الأب موضوع شعر أغنية ، فيخرجه من دائرة القبيلة إلى مستوى أعم ليصير دفاعا عن حرية الفتاة في اختيار زوجها ، كما فعلت الشاعرة فاطمة مجاهد في رائعته المشهورة " لست ياأبتي قطعة نقدية " وبالأمازيغية "أوركيج أبابا تاموزونت" .

## 2 - الشاعرة

فاطمة مجاهد ، شاعرة من قبيلة " ايحاحان " التي تنسب اليها فاشتهرت باسم " فاطمة تيحاحت " كانت من أبرز شعراء العقد السابع من هذا القرن ... سكنت بعد ذلك عن قول الشعر ، وانصرفت من الميدان في عز عطائها ، كي تتفرغ كلية إلى بيتها ... وقد ظهرت بعدها مغنيات يحملن اسمها وينتسبن إلى قبيلتها ، ومن أشهرهن " فاطمة تيحاحت " التي يميزها الناس عن الأولى بالكلمة الأمازيغية " مزين " "أي الصغيرة "

## 3 - موضوع القصيدة

قصيدة فاطمة تيحاحت مجاهد تمثل النموذج المتكامل لنوع شعري أمازيغي وظيفته الاقناع ، ويمتاز باعتماده على الحجج ،

وعلى طريقة عرضها ، قصد اقناع المخاطب ... والحجة الأولى في قصيدة الشاعرة "تيحيحت" تتمثل في كونها أخذت العملة المعدنية - الموزونة - لتبين أنها قطعة لها قيمتها المادية ، ولكنها لا تستطيع أن تخرج عن جمودها لتعبر لما لكها عن رغبتها في اقتناء ما تريد هي وليس ما يريد هو وحده ... أما الفتاة فليست عاجزة عن الاختيار كما يوحي بذلك مطلع القصيدة ومعناه : " أنا ياأبتي لست قطعة نقدية - تاموزونت - تدفعها وتسحبها عند الحاجة ، أنا ياأبتي ( شحنة من العواطف الانسانية الرقيقة ) فلا تسلمها إلا لمن يهفو ويطمئن إليه قلبي ...

ثم تعتمد الشاعرة على حجة أخرى مستغلة بعض ممتلكات الآباء النفيسة ، فضربت المثل بإناء " فاروز " وبكأس بلور ثمين وكلاهما غير قادر على أن ينطق ليعبر عن أهميته ، وجماله ، عكس الفتاة التي تستطيع أن تعبر بلسانها عن شعورها ، واختيارها ، هذه الحجة صاغتها الشاعرة صياغة أمازيغية رفيعة نلخصها فيما يلي : " الاناء الرفيع - فاروز - تحمله ياأبي بحرص وتؤدة كي لا ينكسر... وكأس البلور ياأبي تقدمه للضيف الكريم بحذر ونشوة... فعلام يا معشر الآباء تضغطون على بناتكم وترغموهن على الزواج بأشخاص قساة القلوب غلاظ الذوق مكرهات باكيات؟! "

وتصل الشاعرة إلى الهدف من حججها ، لتقرر في وسط قصيدتها مدى خطورة نتائج تجاهل بعض الآباء تقاليد حرية الفتاة في اختيار زوجها ، ثم تتدرج الشاعرة لتصل بشعرها إلى إعلان



أخطر ما يمكن حدوثه ، إنه عزوف الفتيات عن الزواج فتقول بالأمازيغية مامعناه بالعربية : " أف من زواج هذا الجيل ... إنه "سجن" أبدي ندخل ونخرج منه وإليه بوثائق عدلية ، كي نعيش في ظلماته ودهاليزه ، تنهشنا الأمراض النفسية ، حتى نموت داخل أسواره ... وعندئذ فقط يشعر الآباء بفداحة الخطب ، ويلمسون نتيجة ارغام بناتهم على الزواج كرها ..."

وفي المقطع الأخير من القصيدة نشعر بما يشبه الصراخ في وجه كل أب أرغم قرة العين على الزواج : " إن سحر الهيام ، وانتظار لحظة الوصال وسلامة طوية الحب ، في شريعة العشاق المغرمين : تشبه شريعة المسلمين في الأضحية التي لن تقبل إلا باستيفائها الشروط ". بهذا المقطع تنتهي هذه القصيدة التي تعتبر - في لغتها - من الروائع التي فرضت بها الشاعرة ، وجودها في ميدان الشعر والغناء منذ سنة 1974م ، كما تعتبر من النصوص التي ترصد عديدا من جوانب الحياة الأمازيغية ، وخاصة الجوانب الآتية :

- أ - أسباب الزواج المبكر
- ب - أسباب ندرة تعدد الزوجات
- ت - أسباب قلة الطلاق
- ث - أسباب احترام النساء الغناء وإبداع الشعر
- ج - أسباب تكيف العادات الأمازيغية مع التعاليم الإسلامية
- ح - أسباب اشتهاار بعض الشعراء
- خ - أسباب وجود نوع من " التربية الغزلية " .

## 4 - القصيدة بالآمازيغية

" أوركيج أبابا تاموزونت "

أوركيج أبابا تاموزونت أداكد أوريغ  
 أراغ تاگات أي يان أورنخالض أديد س موناغ  
 ايحتاجا فاروز لحييات أولالبنار  
 ايحتاجا وارآون يان أداس ايتخيار  
 أتيد أور إيسيغيل كار مدن ايسمرحبا سرس  
 ايخت ايوين أر لما حال أرت كيس ايتغيار  
 أرت ايسويديد ايكلين أرد أس ايمدو لون  
 كان كولوفلاس أوسان نس أطان د لخوف  
 اورسول أوفين لخطر واخا ديدس ايمون  
 يوف غاساد ايغ ايكا يان أرواسي تهنون  
 أور ايتأهل أييلي غ لاحكام أرد ايتلف  
 يان غاتيليت ألسادا أوراغ ايقضي يات  
 أحبيب لي ترضا تاسا ، ايكا زوند أوكان  
 تيخسي ن لعيد أيموسلمن أور أتغيار  
 ايغ كيس أوراوفين شروض أورتنت ايزكر شرع

\*\*\*\*\*

## الخدمة الجديدة تمثيلية باسمه في فصل واحد

أحمد الطيب العليج(\*)

«يرفع الستار على بيت مغربي مخضرم من حيث التأثيث فلا هو بالمغربي الصميم ولا هو بالأوروبي القح... الممعن في العصرية والطرافة... ففيه ما هو - بمحض الصدفة - منسق منسجم... وفيه ما هو مقحم.. وبذوق منعدم.. وقد تحولت فيه الزخرفة إلى نوع من التراكم والتكديس».

المشهد الأول

منصورة «على حدة»

منصورة : «تنظر إلى الساعة» الساعة العاشرة ونصف تماما... لحظات قليلة، وتصل الخدمة الجديدة.. وبعدها أستطيع أن آخذ عطلتي.. أن أسافر إلى قريتنا.. أن آخذ قسطا من الراحة «تفكر» من يصدق هذا.. لم أر أهلي منذ أربع سنوات.. على رأس كل سنة كنت أتأهب لزيارة أهلي وإحياء صلة الرحيم معهم... ولكن سيدتي حليلة لم تكن تجد خدمة تنوب عني خلال فترة عطلتي.. لكن اليوم والله الحمد.. وجدت لئلا من تقوم مقامني أثناء غيابي، الله.

(\*) كاتب مسرحي

سأستريح.. سأذوق نعمة الراحة.. ومتعة العطلة.. بعد أربع سنوات من العمل المتواصل الدؤوب.. لم أتوقف عن العمل يوما واحدا.. شيء لا يصدق.. ولكنه واقع عشت « تفكر » يجب أن أعترف أنني أشتغل عند أناس يحبونني كثيرا.. ويعزونني إعزازا كبيرا.. إعزازا يجعلهم لا يستغنون عني طرفة عين.. وخصوصا سيدتي حليلة إنها امرأة.. ماذا أقول حليلة طيبة.. نعم طيبة.. وتجب العمل حبا جما.. خمسة عشرة يوما من العطلة.. شيء فوق تصوري.. ومن وراء عقلي، عطلة أستريح فيها وأخلد إلى الراحة.. وإذا طابت عطلتي قد أمددها إلى ما شاء الله « تدخل حليلة وقد كانت تسمع إلى مناجاة خادماتها ».

### المشهد الثاني حليلة.. منصوره

حليلة : منصوره!..

منصوره : « وقد باغثها النداء » نعم سيدتي

حليلة : أما زلت هنا...؟ وتتكلمين مع نفسك كالحمقاء...!

منصوره : لا ياسيديتي وإنما...

حليلة : وإنما ماذا...؟ هيا.. تحركي.. ففي الحركة بركة.. خوزي هذا

الكرسي من هنا

منصوره : نعم سيدتي « تأخذ الكرسي » نعم للا

حليلة : « تقلدها ساخرة منها » نعم سيدتي.. نعم للا إبعديه من هنا

وضعيه هناك

منصوره : هنا يا سيدتي...!

حليلة : لا.. ليس هناك

منصورة : « تغير مكانه » هنا يا سيدتي...؟!  
حليمة : نعم هناك « ثم تستدرك » لا . لا . أعطيني إياه  
منصورة : تفضلي « تعطيها الكرسي »  
حليمة : لا .. لا . ماذا أنا صانعة به...؟! أبعديه عني، وضعيه هناك  
منصورة : « تمتثل » هنا...؟!  
حليمة : لا .. رديه إلى مكانه الأصلي  
منصورة : هاهو  
حليمة : أذاك هو مكانه الأصلي...؟!  
منصورة : اعتقد  
حليمة : تعتقدين.. يا عجا.. قلت لك رديه إلى مكانه الأصلي  
منصورة : هنا...؟!  
حليمة : تماما.. بالضبط.. « ثم تستدرك ».. لا لا قلت لك ردي الكرسي  
إلى مكانه الأصلي.. إلى حيث كان أول أمس  
منصورة : لعله كان هنا ياسيدتي...؟!  
حليمة : نعم.. والحمد لله على سلامتك.. « تفكر » لا، لا لم يكن هناك  
أبدا  
منصورة : « حائرة » للا.. أرجوك. ذكريني بمكانه الأصلي « ثم  
تتجول بالكرسي من مكان إلى آخر » هنا...؟ أو هنا...؟!  
حليمة : « ثائرة » لا.. لا ليس هناك ولا هنا...؟!  
منصورة : وأين أضعه يا سيدتي...؟!  
حليمة : بكل بساطة وذوق. ولطف. وظرف وتؤدة في مكانه الأصلي  
منصورة : هنا...؟!  
حليمة : نعم... لا . لا . لا  
منصورة : هنا...?!

حليمة : لا.. لا. خذيه وضعيه هنا « منصورة تمتثل » لا.. ليس هنا بل هناك.. لا. بل هنا...

منصورة : ولكنه ها هنا كان أول الأمس أنا متأكدة  
حليمة : وما يدري. قد يكون الحق في جانبك « تقول ببعض  
الرضى » الآن قد وجد الكرسي مكانه الطبيعي... ممكن...  
منصورة : « على حدة » الحمد لله على سلامتي.. « ثم تهم  
بالانصراف »

حليمة : إلى أين يا منصورة...؟!  
منصورة : تنتظرني أعمال كثيرة يا سيدتي  
حليمة : وتعتقدين أن الكرسي موضوع الآن في المكان المناسب...؟  
« صمت » هيا حوليه من هنا إلى المكان المناسب...  
منصورة : وأين هو المكان المناسب يا سيدتي.. دليني عليه  
حليمة : هنا.. هنا فوق رأسي « ثم تصيح بانفعال » إبعديه عني قلت لك...  
منصورة : « تأخذ الكرسي وتمضي في الدوران به من مكان إلى  
آخر » هنا...؟ أو هنا

حليمة : هناك... هذا مكان مناسب... لا. لا.. أبعديه قليلا  
منصورة : « حائرة » هنا..  
حليمة : قلت لك أبعديه قليلا « منصورة تمتثل » لا لا قربه..  
أبعديه.. لا لا قربه. ضعيه بين بين  
منصورة : بين بين.. ؟

حليمة : بين بين هي ما بين اليسار واليمين.. الوسط  
منصورة : أضعه هنا. في الوسط إذن  
حليمة : لا.. حتى الوسط فيه أقصى اليمين وأقصى اليسار لا..  
بين بين



منصورة : بين بين هو الوسط  
حليمة : بين بين وسط.. وليس هو الوسط بكل دقة وإنما هو : بين  
بين

منصورة : أضعه هنا إذن..؟!  
حليمة : نعم هناك.. ولكن ليس هناك بالضبط.. طيب أبعديه قليلا  
لا... لا طرفيه إلى ناحية اليسار... لا.. لا إلى ناحية اليمين.. أنت  
مرتبكة

منصورة : اختلطت علي الأمور.. فلم أعد أستطيع تحديد يسار من  
يمين أو وسط من بين بين..

حليمة : الحق في جانبك الماء واحد مهما اختلفت ألوان الزهور..  
ضعي ذلك الكرسي هنا...

منصورة : «تضع الكرسي حيث يتفق لها» الله وجد الكرسي مكانه  
الطبيعي بل مكانه المناسب... وافرحته

حليمة : لا.. لا لم يجد الكرسي بعد مكانه المناسب.. أنت خادمة  
تخرف خادمة فارغة الدماغ.. لا يرتجى منك شيء.. ولا فائدة من  
توجيهك.. أو محاولة تنويرك.. هيا اخرجي هذا الكرسي من هنا  
وابحثي له عن مكان آخر في غرفة أخرى..

منصورة : حاضر سيدتي «ثم تهم بالانصراف»  
حليمة : لا.. ارجعي.. واتركي الكرسي في أي مكان.. واشتغلي بأي  
شيء آخر

منصورة : «على حدة» متى.. متى تصل الخادمة الجديدة.. النائبة  
حليمة : «بجد» منصورة..

منصورة : نعم للا...

حليمة : «الهمهمة» ممنوعة.. الكلام المبهم ممنوع

منصورة : اعرف ذلك

حليمة : طيب... اعطيني... اعطيني... مدي إلي

منصورة : ماذا...؟

حليمة : ذاك... ذاك

منصورة : ذاك ماذا...؟ يا سيدتي...؟

حليمة : ذاك... ذاك... ألا تسمعين.. قلت لك ذاك

منصورة : ماذا تقصدين بذاك يا سيدتي

حليمة : اقرئي خاطري.. واعطيني إياه بسرعة

منصورة : اعطيك ماذا « تعطيها الكرسي.. ثم الكأس... ثم أشياء

أخرى »

حليمة : لا . لا . لا . قلت لك ذاك

منصورة : ماذا تريدن يا سيدتي...؟!

حليمة : ما أنا في حاجة إليه

منصورة : وما هو...؟

حليمة : أنا في حاجة لذلك الذي نسيت إسمه.. وتلك التي لا أذكر

ما يطلق عليها

منصورة : وكيف لي أن أضمن يا سيدتي...؟!

حليمة : وفي انتظار أن تخمنني.. إعطيني المقص.. لأقلم أظافري..

لا . لا ليس لتقليم الأظافر.. وإنما لأقطع به هذا الخيط البشع الذي

يتدلى من هنا

منصورة : ها هو المقص يا سيدتي « على حدة » متى... متى تصل

الخادمة النائبة

حليمة : ماذا تقولين...؟!

منصورة : أنا.. هل تلفظت بكلمة...؟! لا . لم أقل شيئاً

حليمة : وأنا سمعتك تهمهمين ... همهمت .. نعم أم لا...؟! أجيبني..  
منصورة : همهمت...  
حليمة : وماذا قلت...؟!  
منصورة : لا شيء... مجرد... مجرد..  
حليمة : مجرد ماذا ؟  
منصورة : همهمة، مبهممة. صدرت مني بلا وعي.. وأعتذر..  
حليمة : كفى همهمة مبهممة. وكلام غامض.. ألم انهك عن ذلك  
منصورة : نهيتني يا سيدتي  
حليمة : ومع ذلك همممتي أي طاعون أصابك. وحملك على الهمهمة  
الغامضة المبهممة...؟! إسمعيني جيدا يا منصورة  
منصورة : سامعة  
حليمة : لا تعودى أبدا للهمهمة ولا للهمس. ولا للحديث الغامض  
منصورة : أملك يا سيدتي  
حليمة : الهمهمة ممنوعة في بيت نتحدث فيه بأصوات مرتفعة  
وكلام واضح. ونحترم فيه الرأي الآخر..  
منصورة : صار بالبال... «ثم تهم بالانصراف»..  
حليمة : تعالي.. اقتربي مني  
منصورة : هانا ذي يا سيدتي  
حليمة : حتى النجوى بالسوء ممنوعة. أسمع  
منصورة : سمعت..  
حليمة : هيا ابتعدي عني...  
منصورة : ولكنك أنت التي طلبت مني أن أقترب منك  
حليمة : «صائحة» كيف.. أنا طلبت منك أن تقتربي مني...؟!  
كيف.. كيف

منصورة : لعلني توهمت يا سيدتي. أو خيل إلي.. أو لعل طنيننا رن  
في أذني فوهمني... سامحيني « تهم بالخروج »  
حليمة : وإلى أين تتجهين...؟

منصورة : إلى أعمال الكثرة المتراكمة. والتي تنتظرني « تهم  
بالانصراف »

حليمة : « صائحة » تعالي... قلت لك تعالي

منصورة : حاضرة يا سيدتي... أنا هنا يا للا

حليمة : لماذا يحلو لك أن تعاكسيني...؟ عندما أقول لك انصرفي  
يطيب لك البقاء بجانبني... وعندما أطلب منك البقاء تستغفلينني  
وتنصرفين... تعالي

منصورة : حاضرة يا للا حاضرة

حليمة : امسكي بهذا المقص... وقصي

منصورة : ماذا أقص يا سيدتي...؟! أه تذكرت الخيط المدلى

حليمة : لا. لا. أنت تحاربين الخيوط كلها.. تقطعين كل الخيوط..  
الخيوط يا هذه أحيانا حبال التواصل

منصورة : وماذا أقطع...؟! ماذا يطلب مني أن أقطع...؟!

حليمة : أولا وقبل كل شيء أظفارك.. إني أحذرك من مغبة إطالة  
الأظفار

منصورة : بالأمس فقط قصصت أظفاري.

حليمة : كذبت

منصورة : انظري.. لتتأكدي

حليمة : لا حاجة لنا بالمقص إذن... رديه إلى مكانه.. واتيبي حالا ب.

ب. ب. ذكريني

منصورة : بماذا...؟!

حليمة : بما نسيت...

منصورة : وماذا نسيت...؟!

حليمة : المسألة... الأمانة

منصورة : أية مسألة. وأية أمانة..

حليمة : الأمانة التي طلبت منك بالأمس أن تحضرها لي من بيت  
للا عيثة

منصورة : « منصرفه » سوف أتيك بها حالا

حليمة : قفي.. وارجعي

منصورة : وقفت.. ورجعت..

حليمة : ولماذا رجعت...؟!

منصورة : ألم تقولي : قفي.. ارجعي

حليمة : انطلقى.. وكفى ثرثرة

منصورة : حاضر « ثم تنطلق »

حليمة : ارجعي.. ارجعي

منصورة : « تعود » هأنذا قد رجعت..

حليمة : إقتربي

منصورة : « تقترب بحذر » حاضرة.. إنني اقترب

حليمة : امسكي بالمقص.. وقصي هذه، ثم انصرفي

منصورة : ماذا أقص...؟!

حليمة : ألا تستطيعين قراءة خواطري

منصورة : لا

حليمة : لماذا...؟!

منصورة : لا أقرأ الخواطر. ولا أكتبها..

حليمة : عذرك مقبول هيا قصي.. قصي

منصورة : ماذا أقص...؟!  
 حليلة : نسيت.. ماذا تقصين... أظفارك مقصوصة.. والخياط.. لا.. لا.  
 أه.. تذكرت.. قلت لك تذكرت  
 منصورة : ماذا تذكرت سيدتي  
 حليلة : إنها الشعرة المزعجة التي تنبت وسط الخال الذي يتربع  
 فوق أرنبه أنفي هيا قصيها بذوق.. ولطف.. وظرف وتؤدة  
 منصورة : باسم الله.. ها هي يا سيدتي... لقد قطعتها  
 حليلة : أريني إياها  
 منصورة : ماذا أريك يا سيدتي...؟!  
 حليلة : الشعرة  
 منصورة : سقطت. وقد تكون ضاعت  
 حليلة : وأين وصيتي... ألم أقل لك ألف مرة : إياك وضياح الشعرة  
 الخاصة المتربعة فوق أرنبه الأنف...؟! وإنها قطعة مني  
 منصورة : قلتها لي  
 حليلة : ألف مرة...؟!  
 منصورة : ألف مرة  
 حليلة : أين هي الشعرة...؟!  
 منصورة : إنني أبحث عنها...  
 حليلة : مع أنني كنت قد نبهتك إلى وجوب الحفاظ على هذه الشعرة  
 بالذات ولفها في القطن. ووضعها في صنيذق صغير مصنوع من الفضة  
 منصورة : سمعت منك هذا التنبيه مرارا  
 حليلة : وماذا قلت لك في هذا التنبيه  
 منصورة : شعرة خال أرنبه الأنف يجب أن تعقم وتحفظ للتاريخ  
 ملفوفة في القطن محفوظة في صنيذق من الفضة «تبحث» إنني



أبحث عن شعرة تاريخية «شعرة الخال المتربع فوق أرنبه الأنف»  
 حليلة : انتهى أمر الشعرة الآن. ضاعت ولا جدوى من البحث عنها..  
 هيا اذهبي عند للا غيثة... وأتيني بالأمانة  
 منصوره : حاضر، «ثم تنطلق»

حليلة : تمهلي.. تمهلي قليلا.. لماذا تحاولين الطيران بمثل هذه  
 السرعة...؟!!

منصوره : لأنجز هذه المهمة بسرعة وأعود لاتمام أشغالي الكثيرة  
 المتراكمة

حليلة : وتذكرين ماذا ستقولين للسيدة غيثة...؟! هيا تكلمي.  
 وبسرعة.

منصوره : سأقول للسيدة رشيدة... استغفر الله... للسيدة غيثة  
 بذوق ولطف وظرف. وتؤدة : احمل لك تحيات وسلام للا حليلة  
 زوجة سيدي «حميد القنت»... خليفة المدير الكبير. وأقول لها إن  
 سيدتي تؤكد لك الدعوة لتناول طعام العشاء.. أنت وصديقتك للا  
 ثريا زوجة الأستاذ هشام.. وللا نادية زوجة الأستاذ كريم.. صاحب  
 شركة الزهور... وللا نجاة وبعلاها الأستاذ فريد رئيس الغرفة... وللا  
 سامية قرينة سيدي أنيس. الرسام... والأنسة نجوى.

حليلة : ماتقولين...؟ ماذا

منصوره : عفوك يا سيدتي... للا أمينة امرأة سيدي عبد  
 الرحمن... ثم الأنسة نجوى...

حليلة : تماما... لائحة الأسماء مرتبة حسب أهمية أصحابها.. هيا اكلمي  
 منصوره : والأنسة أمل... والأنسة صوفيا.. والأنسة صونيا..  
 والأنسة رجاء والأنسة نونو، والأنسة زيزي.. والأنسة رجاء..  
 والأنسة وفاء.. والأنسة ضياء والأنسة أنيسة

حليمة : ماذا.. ماذا... الضبط.. الضبط..

منصورة : «تسترد أنفاسها» الأنسة لبنى قبل الأنسة أنيسة، ثم  
الآنسة نانا.. والآنسة طامي.. والآنسة فاتي... وأنقل إليها أنك  
تعولين عليها في... في... في

حليمة : في ماذا... اتممي..

منصورة : تعولين عليها في إعارتك لها صنيات الفضة.. مع  
المجموعتين من كؤوس البلور الخاصة بشرب الشاي. والمجموعة  
الثالثة الخاصة بشرب الشاي البارد المثلج.. مع أنية قطع الثلج  
ومعلقتها.. المعلقة التي تشبه الملقاط

حليمة : أو قولي لها معلقة الخيرات.. وهي تفهم

منصورة : معلقة الخيرات... صار بالبال

حليمة : ما علينا. أكملني... لماذا سكت...؟!

منصورة : لأسترد أنفاسي فقط

حليمة : ترين بعينيك أن أيادينا في أعناقنا والوقت يطار دنا  
وتصرين على استرداد الأنفاس في حالة الطوارئ التي نعيشها  
اليوم. لا وقت لاسترداد الأنفاس.. هيا بسرعة. أكملني

منصورة : واذكرها أيضا بالشوكات «المشكات» المفضضة الأنيقة  
مع الملعقات المجموعة الصغيرة والكبيرة.

حليمة : ماذا. ماذا...؟!

منصورة : «تصحح» الكبيرة قبل الصغيرة. وأقول لها إن سيدتي  
توصيك بإلحاح أن لا تنسي أن تصحبي معك الشوكات

حليمة : الشوكات...؟!

منصورة : عفوا.. «المعينة» أو «التركيبة» وإذا استفسرتني ولم  
تفهم معنى «المعينة» أو «التركيبة» أقول لها : دواء أو جاع الراس

المعاصرة... أو دواء الخيرات، ثم انبهها إلى وجوب مصاحبة السيدة فلانة. زوجة السيد فلان ذلك الرجل المتوتر القلق المتخلف.. وصديقه الوسيم الأنيق المرح. وكذلك السيدة فلانة الفلانية، زوجة ذلك الرجل الرجعي «البلدي» الساذج. والذي لا يشرب الشاي المثلج المعاصر. ويجاهر بعدائه. لا بد. من حضوره لنجعل منه مرتعا للفكاهة والتنكيت. ولنجد من نمسك بـ «قشابته»... وأذكرها بأن الأمسية سيحييها جوق صغير برئاسة الموسيقار فلان. والشيخة فلانة صاحب الكمنجة والعزف على الطريقة المغربية الأصيلة.. وأذكرها بأن وقت الحضور قد تحدد في الساعة الثامنة بالضبط. والثامنة طبعاً ليست هي الثامنة ودقيقة أو الثامنة إلا دقيقة...  
حليمة : حسن.. بس

منصورة : وفي طريق عودتي أمر على البقال... لأجعله في الصورة وأذكره بكل الخيرات التي يعرف محتوياتها حق المعرفة.. ليبعث بها  
حليمة : مثلاً

منصورة : اللوز. والجوز الملبين.. و«البشكيطو» المالح والجبن بكل أنواعه والزيتون. والليمون والفلفل. والحمضات. وفاتحات الشهية وجميع مستلزمات الشاي المثلج، شاي الخيرات..  
حليمة : جميل. جميل ثم...؟

منصورة : «تسترد أنفاسها...»

حليمة : ما زلت تستردين أنفاسك. والوقت في غير صالحنا...؟! ثم  
ثم

منصورة : أمر على الجزار... وانبهه إلى نوعية اللحوم الصالحة للقطبان عفوا. عفوا السفاقيد... الكباب والرجلة. والكتف. وما بين الضلوع.. والجزار علي بينة من أمره...  
حليمة : والجيكو

منصورة : نعم الجيكو الفخد. وكبد العجل.. والأمخاخ. ولحم الغنم..  
الأضلع، والدجاج البلدي الممتاز. والفراخ التي تنضج في ملح  
البصر. ثم أمر على الحجامه عفوا الحلاقة أو «الكوافورا» واحدد لك  
معها موعدا.. وأمر على صاحبة المصبنة لأصحب الملابس البالية.  
وأمر على الخياطة لآخذ منها الملابس الجديدة الجاهزة

حليمة : وكم عددها

منصورة : خمسة « على عين الشيطان » خمس فساتين جديدة خمس  
« لبسات » ثم أمر على بائع السجائر وأقول له على لسانك : نوع..  
قالت لك سيدتي نوع كما.. وكيفا من كل أنواع سجائر الخيرات..  
ثم أمر على من..من.. على من.. ياربي ذكرني في الشهادة لدى  
خروج الروح.. ذكريني يا سيدتي

حليمة : لا.. لا.. لن أذكرك لتتعودي على الاعتماد على نفسك  
منصورة : أه... تذكرت أعرج على «دار السلعة» لأذكر سيدي  
عزيزي الحاج بضرورة استدعاء أو تذكير الأساتذة الأفاضل  
بالدعوة، وهم : قاسم، وفاضل، والراضي.. وعثمان، وياسين  
والمختار، والمعطي.. وصالح، وعمرو.. ثم أقول له قالت لك سيدتي لا  
تنسى ذلك الرجل «الكوميك» المسلي الذي يضحكنا بتفاهاته  
وهدره ذلك المسمى «بوهو» وزميله الذي يغني الأغاني الفكاهية  
المرحة «تتنفس» الحمد لله على سلامتي.. أعتقد يا سيدتي أنني  
بفضل الله ورعايتك لم أنس أي شيء

حليمة : ما نسيت إلا المهم والأهم

منصورة : المهم والأهم...! ماذا يا سيدتي...!

حليمة : الشاي يا حمارة... نسيت أن عليك أن تذكرني البقال ببعث  
صندوق من شاي الخيرات.. شاي القنينات

منصورة : نعم.. نعم.. عفوك سيدتي. نسيت شاي الخيرات.. شاي  
« كمل من عقلك »

حليمة : هيا.. انطلقي كطير يطير..! أو وحش يسير « جرس »

منصورة : أمرك سيدتي « جرس »

حليمة : انظري من بالباب أولا

منصورة : « لنفسها » ياربي اجعله جرس الخادمة التي ستنوب عني

حليمة : وتعودين للهمهمة الممنوعة...؟ هيا انظري من بالباب

منصورة : « تهم بالخروج ثم تعود » للا. للا. للا.

حليمة : ماذا.. ماذا..؟

منصورة : لعلها النائبة قد أقبلت

حليمة : النائبة

منصورة : الخادمة الجديدة.. التي ستعوضني وستنوب عني. لعلها

جرسها

حليمة : إذا كانت هي فلتتفضل

منصورة : هي من دون شك. التي ستنوب عني

حليمة : وما أدراك

منصورة : شملت رائحة عطرها

حليمة : عجيب تتعرفين على الناس من رائحة عطورهم.. هيا

اذهبي « تخرج »

### المشهد الثالث

#### حليمة « على حدة »

حليمة : خادمة مجنونة.. مهزوزة العقلية.. مضطربة الذاكرة.. لا

يعول عليها إطلاقا.. وغالية بثمن أكلها.. نهمة، شرهة مفتوحة

الشهية أكلة.. سريعة النسيان.. عصبية.. قلقة.. دائمة التوتر، والانفعال والهمهمة. والحديث الأحدي.. ولا علاقة لها بالصبر الجميل... أتمنى أن تكون الخادمة الجديدة في المستوى.. شغيلة.. صبورة.. وباسمة طليقة الحيا.. أما منصورة خادمتي هذه فوجهها دائم العبوس.. ومحياها لا يعرف الابتسام.. وتنسى متى تعيش وبماذا تعيش.. البليدة نسيت شاي الخيرات.. وهو أهم شيء يشع البهجة بين الحاضرين «تشعل سجارة مباشرة بعد أن تكون قد أطفأت عقب الأخرى» أه... من خادمات هذه الأيام.. الخادمة التي تطالب بالعطلة خادمة..؟ لا. أبدا هذه موظفة بل موظفة مرموقة المكانة.. لا.. لا، مضى عهد الخادمات الطيعات الخدومات الوفيات المخلصات الصبوريات.. مضى عهدهن إلى غير رجعة.. إننا الآن في عهد المتحذلقات السخيفات الغريبات العجيبات.. الخادمات المعاصرات.. المطالبات بحق العطل. وحق الراديو. وحق التلفزة في فترات الأخبار والمسلسلات وحق المناداة الهاتفية. والإجابة على الطلبات. وحق إعطاء العناوين للمراسلات الخصوصية وجميع الحقوق النقابية والاجتماعية والسياسية... والأخلاقية... لا. لا هذا زمن العجائب والغرائب.. من رأى منكم خادمة نموذجية مثالية فيخبرني بها لأستبرك بطلعتها «تدخل الخادمة الجديدة وبيدها حقيبتان.. وهي مرتدية لزي عصري منسجم على بساطته»

#### المشهد الرابع

#### إلهام... منصورة... حليلة

منصورة : تفضلي.. هذه للاحليلة «مولات الدار» للا... سيدتي الخادمة



إلهام : متشرفين.. بون جور مدام  
منصورة : « على حدة » بون جور مدام.. هذه طيبة.. وليست خادمة  
حليمة : « متعمدة إسماع إلهام » ألم أقل لك : الهمهمة ممنوعة في  
هذا البيت يا منصوره  
منصورة : « وهي تنظر إلى إلهام » قلت لي يا سيدتي... الهمهمة  
ممنوعة في هذا البيت  
حليمة : متشرفين - مرحبا بك في بيتنا - خادمة - اسمي بكل  
بساطة للاك حليمة ولست حاجة. وإياك من مناداتي بالحاجة..  
سيدتي.. أو لا فقط  
إلهام : وي مدام... أنطندي.. سأنوب عن خادمتم مدة أسبوعين  
عطلتها السنوية  
حليمة : بعثك الفقيه... الفقيه.. ذكريني باسمه  
إلهام : عديسة... الفقيه عديسة  
حليمة : كنا قد طلبنا منه... وهو فقيه. وسمسار خادمت.. طلبنا  
منه أن يبحث لنا عن خادمة جديدة - يعني خادمة معاصرة. مودرن  
بكل معنى الكلمة  
إلهام : أعرف ذلك مدام  
حليمة : خادمة من طيرازك بالضبط  
إلهام : أخبرني الفقيه عديسة بكل التفاصيل  
حليمة : انصرفي أنت إلى أشغالك يا منصوره  
منصورة : حاضر.. « ثم تخرج »

## المشهد الخامس إلهام.. وحليمة

حليمة : أهلاً.. مرحباً بك

إلهام : مرسى « ثم تضع حقيبتتيها بجذ متناهي وتقول عابسة »  
أقدم لك نفسي.. اسمي في دفتر الحالة المدنية : الشعبية. واسم  
الشهرة الذي اخترته أنا هو إلهام عواطف فردوس عبد القدوس  
جمال خادمتم الجديدة. وأنت حرة في مناداتي بأي اسم يسهل  
عليك التلفظ به

حليمة : الاسم عندي ليس أهم من المسمى.. أنا للاك حليمة سيدتك.  
وزوجي الحاج حميد هو عزيزك « مول الدار » اسارع فأخبرك بإننا  
قررنا إذا وجدناك في المستوى صبورة عاقلة، رصينة، خدومة  
مجتهدة وذكية واعية منتبهة، سنحتفظ بك. ونتخلى عن خدمات  
خادمتنا القديمة منصور

إلهام : ولماذا...؟ ما سمعت عنها إلا المدائح

حليمة : المسألة مسألة تفاهم... ومن امتدحها لك...؟

إلهام : الفقيه عديسة يقول إنها في المستوى من جميع النواحي  
حليمة : الفقيه عديسة سمسار كذاب.. أقول هذا صراحة. ومن غير  
عمد لا إلى شتيمة، ولا إلى اغتياب.. إنه يصبغ صفات الملائكة على  
ألعن الشياطين إذا تعلق الأمر بتشغيل خادمة لأجل أن يكسب  
سمسرتة.. خادمتنا بليدة. وكسولة... ومتوانية.. وفيها بلية  
النسيان.. وشغوفة بالعطل.. وحب السفر.. تصوري أنها ومنذ أربع  
سنوات وهي تطالب بالعطلة في إلحاح لا نظير له ارهقت أذني :  
أريد أن أرى أهلي.. اشتقت لرؤية والدي وإخوتي.. تقول

هذا وكأنها تمشي في بيتنا على الجمر... فهمت...؟!

إلهام : فهمت. وي مدام

حليمة : حتى اضطررنا في هذه السنة أن نلبي طلبها. ونمنحها عطلة خمسة عشرة يوما بأجر مؤدى... نحن أناس طيبون... وسنؤدي لها ثمن السفر إلى قرية أهلها. وجميع تكاليف التنقل... ألم يخبرك بهذا الفقيه ما اسمه؟

إلهام : عديسة الفقيه عديسة

حليمة : لا أكتمك - والكلام بيني وبينك - أنني أطلب من الله في سري أن لا تعود منصوره لخدمتنا

إلهام : لماذا...؟!

حليمة : لأنها خادمة غير موهوبة. ولي عليها مآخذ كثيرة

إلهام : آ، وي... مثلا

حليمة : لها شغف بالنوم لا مثيل له... فلا تكاد الساعة تشير إلى منتصف الليل أو الواحدة صباحا حتى تكون خادمتنا المحترمة قد اخلدت للنوم العميق ولا تستيقظ إلا في الساعة الخامسة وأحيانا السادسة صباحا منذ أكثر من ثلاثة أشهر ومساءلة الاستغناء عن خدماتها تراودني ومع ذلك فقد أحتفظ بها... وبك أنت أيضا.. طبعاً إذا اكتشفت فيك مواهب خاصة... الخادمت الموهوبات شيء نادر في هذا الزمن.. وأنا أريد خادمة مثالية.. خادمة الخيرات.. أعرف أنني أطلب المستحيل ومع ذلك فأنا غير يائسة.

إلهام : أيمكنني أن أعرف نوع الأشغال المطلوب مني القيام بها يا سيدتي حليمة : بكل تأكيد يا إلهام عواطف فردوس جمال الشعبية

إلهام : «تصحح» إلهام، عواطف فردوس، عبد القدوس جمال واسم الحالة المدنية الشعبية

حليمة : ما قولك. وربحا للوقت أناديك الشعبية  
 إلهام : لك ذلك. ولكنني أفضل أن ينادى علي باسم إلهام جمال...  
 حليمة : إلهام جمال اسم جميل.. وعليه.. وعليه.. طيب ها هو  
 برنامج أشغالك اليومية

إلهام : وي مدام  
 حليمة : الاستيقاظ في الساعة الخامسة  
 إلهام : الخامسة.. أية خامسة...؟! يا مدام  
 حليمة : الخامسة صباحا. فهمت  
 إلهام : فهمت

حليمة : من الخامسة إلي حدود السادسة.. ستقومين فقط بمسح  
 الأحذية أحذية عزيزك رجلي، والأولاد.. وبلا هرج ولا مرج.. كل  
 الأشغال التي ستنجزينها في الصباح الباكر. تنجز بهدوء ولطف.  
 وظرف وتؤدة فهمت يا جمال إلهام  
 إلهام : إلهام جمال...

حليمة : وفي السادسة بالضبط يا إلهام جمال ستذهبين للمرآب  
 إلهام : المرآب...؟!

حليمة : الكراج... تذهبين بهدوء شامل كامل... وخطوات هامسه.. كي  
 لا يستيقظ عزيزك مفزوعا أو متوترا منفعلا.. عزيزك سريع الانفعال  
 إلهام : فهمت...؟! وي مدام

حليمة : الكراج موجود عندنا في الحديقة... والممشى المؤدي له طويل  
 بإمكانك أن تشعلي الضوء.. نحن نحب السير في الطرق المضاءة  
 إلهام : وماذا سأعمل بالضبط في الكراج...؟

حليمة : أولا غسل السيارات ومسحها... بمواد خاصة وأدوات  
 خاصة... بالكراج أنبوب خاص بماء مضغوط يزيل الأوساخ بسرعة

وسهولة وفيه منشقات خاصة بمسح السيارات أيضا.. كل حاجة موجودة في بيتنا موجودة لأجل غرضها الخاص.. نحن لا نخلط بين شعبان ورمضان.. وعليك أن تقومي بهذه الأعمال بذوق وهدوء، ولطف وظرف وتؤدة.. وعندنا أيضا القفازات

إلهام : القفازات...؟!

حليمة : الصباغات - صباغات الغسيل... بوسعك أن لا تضعي يدك في الماء... أفهمت...؟!

إلهام : فهمت وي مدام

حليمة : المهم يا ذكريني باسمك

إلهام : إلهام

حليمة : المهم يا إلهام أحلام

إلهام : « مصححة » إلهام عواطف فردوس عبد القدوس جمال الشعبية وإلهام تكفي

حليمة : قلت لك يا إلهام جمال... لدينا الوسائل والمعدات المعاصرة التي تساعدك على القيام بعملك في أحسن الظروف وأكثر يسر وسهولة.. نحن أناس طيبون ونحسن معاملة من يشتغل معنا

إلهام : وي مدام... وبعد.. وبعد

حليمة : وفي السابعة... أو إذا قدرنا أنك أنهيت عملك في الكراج قبل السابعة لنقل مثلا في السابعة إلا ربع.. ستقصددين. ودائما في هدوء الصباح الباكر غرفة الأطفال.. لتوقظيهم.. بهدوء ولطف وظرف وتؤدة

إلهام : تؤدة...؟ ماذا تعني تؤدة هذه

حليمة : ظرافة لطافة... وتتولين غسل وجوههم. وتنظيف خواشيمهم وتقفي بجانبهم حتى يتناولوا فطورهم. ويرتدوا

ملابسهم. واحرسى على أن يشربوا الحليب جميعا.. العناية التامة بكل صغيرة وكبيرة تخصهم، من استيقاظهم إلى ذهابهم للمدرسة... قد تبدو لك هذه الأشياء كثيرة ومرهقة. ولكنها سهلة ميسورة إذا توفرت الإرادة الحسنة. فهمت

إلهام : الصراحة إنني أحاول أن أفهم يا مدام

حليمة : المفروض أن تكوني قد انتهيت من العمل مع الأولاد في الثامنة إلا ثلث لثلاثي الثلاث ساعة الذي يفصلنا عن الثامنة في تنظيف وترتيب غرفة الأطفال. وغسل الأواني التي تناولوا فيها طعام فطورهم وتعيدي كل الأشياء إلى أماكنها سالمة.. بهدوء.. ولطف وظرف وتؤدة.. بلا تأفف.. ولا انفعال ولا توتر.. التوتر. والانفعال يتسببان في كسر الأواني.. مما ينتج عنه الضياع.. والضياع من مسؤوليات المفرط نحن أناس واضحون... أفهمت ماذا أقصد...؟!

إلهام : تخطيت مرحلة الفهم إلى مرحلة الاستعاب.. يا مدام حليمة : وفي الثامنة بالضبط تنقري باب غرفة نومي.. بذوق.. وهدوء.. ولطف

إلهام : وظرف وتؤدة.. وي مدام

حليمة : تماما. وإياك ثم إياك النقر بعنف... نومي أنا غزالي... واستيقظ بسرعة... وإذا لم أجبك فامهليني خمس دقائق.. ثم عاودي النقر ودائما

إلهام : بهدوء.. وذوق.. ولطف.. وظرف.. وتؤدة

حليمة : تماما.. وتعاودين الكرة إلى أن أجيبك بصياح.. ومتى أجبتك صائحة تأكدي أنني استيقظت.. الصياح وحده علامة الاستقاز عندي فتنبهي وكوني يقظة نبيهة.. اتفقنا...؟!



إلهام : نعم... اتفقنا... وي مدام  
 حليلة : وعندما تتأكدين من أنني استيقظت... اسرعي إلى المطبخ.  
 وبادري بإعداد القهوة. والحليب... أنا لا أخلط... اشرب الحليب  
 حليب. والقهوة قهوة. وحتى السكر... لا أخلطه بأي شيء أفهمت

إلهام : أحاول جاهدة أن أفهم  
 حليلة : الفطور في غرفة الطعام غرفة طعام الكبار... ثم إياك.. ثم  
 إياك أن أخرج من البيت وأجدك في بيت الماء.. بيت الماء الخاص  
 بك موجود في الكراج. وفي التاسعة ولدى الانتهاء من « حريرة  
 الفطور » ولدى خروج سيدك  
 إلهام : سيدي...

حليلة : زوجي. نأديه سيدي. أو عزيزي لك حرية الاختيار... تلك  
 هي عادتنا في هذا البيت... وأنت وما تشائين  
 إلهام : سيدي. عزيزي شيء واحد...؟ نسباً مدام...؟!

حليلة : وبعد خروج عزيزك يا إلهام جمال الشعبية.. سيكون  
 عليك أن تهتم بالبيت كله من غرف النوم.. إلى المطبخ.. إلى  
 الصالونات.. إلى غرف الضيوف والهولات. كل الأمكنة بالتتابع.  
 مكان إتر مكان.. غسل.. تجفيف مسح تلميع. نفخ الأرض.  
 والنوافد.. والحيطان. والأبواب. الزليج والزجاج ولدينا المواد  
 الخاص لكل الأشياء... لكل كبيرة وصغيرة.. من واجبنا. أن نجعل  
 عملك معنا متعة، راحة خدمنا تهمنا بالدرجة الأولى

إلهام : أنتم أناس طيبون ما في ذلك شك... أناس من خيرة  
 الناس... وي مدام

حليلة : المهم يا إلهام جمال. في العاشرة بالضبط.. تأخذي القفة.  
 وسلل التسوق « المقضية ». وتذهبي إلى السوق لتبضعي. السوق

يبعد عن بيتنا بمسافة ربع ساعة فطوبيس... بما أن الحافلات في حيننا تتأخر عن مواعيدها باستمرار. وبما أنها بطيئة في سيرها... ستفضلين مكرهة الذهاب إلى السوق راجلة. ربحا للوقت من جهة وكسبا لثمن تذكرة الحافلة من جهة أخرى.. ثم نعم ثم أن ثمن تذكرة الحافلة يضاف إلى أجرتك في حال ذهابك للسوق راجلة.. وما يأكله الطبيب.. أولى به المريض...

إلهام : أنتم أناس في منتهى النبل والطيبوبة... والسخاء.. وي مدام

حليمة : وفي السوق يا إلهام عبد الرؤوف

إلهام : « مصححة بانفعال مكتوم » إلهام عواطف فردوس عبد القدوس جمال الشعبية

حليمة : ذكريني باسمك المختصر

إلهام : إلهام جمال

حليمة : ولدى وصولك للسوق يا إلهام جمال. تجولي مرة أو مرتين وبغير ضياع للوقت... اضرعي السوق جيئة وذهابا.. في تجوال الملاحظ.. وعائني الأشياء والبضائع بدقة متناهية.. ثم اشترى أحسن ما في السوق بأبخس ثمن ممكن.. ساومي.. و« تشطري ».. وإذا أراد أحدهم استغفالك في بعض الدراهم... فتظاهري بالغفلة.. غفلة الناس الكرام.. حتى يعرفوا جميعا أنك آتية من دار كبيرة وتشتغلين مع

إلهام : خيرة الناس.. أناس مضرب الأمثال في الجود والكرم والنبل.. والغفلة الكريمة المقصودة. سي قري. مدام

حليمة : ما نحن بجائعين. ولا متهافتين.. نحن قوم نشم أظافرنا فنشبع... ولدى رجوعك من السوق والتسوق في الحادية عشرة

تماما... نبهيني إلى أنك رجعت في الوقت المحدد... حتى أسجل في دفترك أنك لم تتأخري. وأنتك تستحقي ثمن تذكرة الأطوبيس.. لا يضاف ثمن التذكرة إلى أجرتك إلا في حالة وصولك في الحادية عشرة بالضبط.. ثمن الأطوبيس مرهون بعدم التأخير فهمت...؟

إلهام : حقا أنتم أناس طيبون... وكرماء... «هامسة» هكذا يكون النبيل... وهكذا تكون الطيبوبة

حليمة : الهمهمة ممنوعة... وإذا عنى لك أن تقولي شيئا ما.. فقولي به بالصوت المرفوع حتى نسمعك.. نحن أناس نحب سماع الرأي الآخر ونحترمه.. ولا نعادي من نختلف معهم... فهمت

إلهام : فهمت... احترام الرأي الآخر

حليمة : المهم يا إلهام جمال.. أو جمال إلهام.. الأمر عندي سواء.. ابتداء من الحادية عشرة... سترتدين سترة المطبخ...

إلهام : سترة المطبخ...؟!

حليمة : لباس المطبخ. وهو موجود في مطبخنا.. كل أدوات مطبخنا حديثة. ومعاصرة من الفرن والثلاجة، والطنجرة إلى أبسط وأدق الأشياء والحاجيات آلات تشتغل بالكهرباء. وبالغاز سهلة الاستعمال سريعة الانجاز وبقليل من الجهد. والوقت يمكنك تحضير أشياء كثيرة.. كل ما تحتاجين إليه موجود في مطبخنا ليكون طعام الغذاء جاهزا على الساعة الثانية عشرة تماما بالدقيقة، باللحظة، بالمقدمات من سلاطات وفاتحات الشهية وغيرها... ومؤخرات من فواكه.. «دسير» فهمت...؟ نحن أناس متحضرون

إلهام : فهمت... أنتم أناس متحضرون.. وي مدام

حليمة : وقت الأكل عندنا مضبوط بالثانية... عزيزك جوعه حراق.. جوعه ذئبي ويريد أن يتناول طعامه بمجرد وصوله للبيت.. وغير

خاف أن الوقت ضيق والأولاد يتوجب رجوعهم للمدرسة قبل الساعة الثانية.. شيء آخر.. أنا نفسي أحب أن آخذ قيلولتي في الساعة الثانية إلا ربع

إلهام : قيلولتك...؟

حليمة : « موضحة » لا سييست. النوم بعد الغذاء يسمى القيلولة.. فهمت

إلهام : فهمت... النوم بعد أكلة الغذاء يسمى قيلولة..

حليمة : وفي هذه الفترة لا أحب أن أسمع زغنة ذبابة... أو وقع سقوط حبة قمح على الأرض... فهمت

إلهام : فهمت... « لنفسها » أناس متحضرون بشكل ملفت للنظر

حليمة : ماذا تقولين...؟!

إلهام : لا شيء... لا شيء

حليمة : سبق لي أن نبهتك إلى أن الهمهمة، والهمس... وحتى النجوى أشياء محظورة في بيتنا

إلهام : صار بالبال... وي مدام

حليمة : وخلال تناولنا للطعام.. يتوجب وقوفك بجانبنا.. إذا

احتجنا لشيء نشير عليك باحضاره. من غير مناداة.. أو استعمال النواقيس..، أو رفع الأصوات.. الماء.. الملح.. الفلفل.. أه نسيت أن

أنبهك.. إلى وجوب أخذ الحذر الشديد أثناء تحضير الطعام.. كل التوابل يجب أن توضع في الأكل بالقدر المناسب وبكل دقة.. لا حار

ولا مالح.. ولا مسوس.. عزيزك يفعل.. ويثور ويمزق ملابسه أحيانا إذا وجد الطعام مالحا. أو مسوسا، أو محروقا. أو به أي خلل

مطبخي مهما ضؤل حجمه.. الصراحة أننا نغرم الخادمة أية خادمة إذا افسدت الطعام ولهذا وجب التنبيه..

إلهام : تغرمون الخادمة الطعام إذا أفسدته  
حليمة : لا نحاسبها في الأخطاء الغير مكلفة  
إلهام : وماهي طريقته في التغريم  
حليمة : خصم ثمن الطعام الفاسد من الأجرة الشهرية.. إما دفعة  
واحدة وإما بالتقسيط.. حسب سلوك الخادمة نفسها وحسب ردود  
فعلها... وبهذه الطريقة المثلى تكون الخادمة مكرهة على الانتباه. وأخذ  
الحذر.. وغالبا ما تتلافى الخادمة الأخطاء الغير مرغوبة.. أو المخلة  
بقاعدة التعايش.. وأثناء تناولنا لطعام الغداء.. يتحتم عليك وضع  
« المقرج » الابريق فوق نار هادئة.. حتى إذا ما انتهينا من الأكل كان  
الماء الساخن جاهزا لتحضير الشاي أو القهوة أو هما معا... واضح...؟!  
إلهام : في منتهى الوضوح... مدام  
حليمة : المهم يا إلهام جمال عبد القدوس عواطف فردوس... أهذا  
هو اسمك بكل التفاصيل...؟!  
إلهام : « تكتم انفعالاتها » وهو كذلك  
حليمة : المهم.. أننا عندما نشرع في احتساء الشاي. في تلك الآونة  
بالذات تذهبي أنت بسرعة إلى غرفة نومي.. لتعاودي استكمال  
رشاشة الذباب ربع ساعة.. ربع ساعة قبل أن أتهيء أنا للنوم.. ثم  
تغلقي النوافيد. وتسدلي الستائر، ولدى خروج الأولاد إلى  
المدرسة.. وعزيزك إلى عمله.. تبدئي أنت في عملية غسل الأواني..  
لا تتركي عمل اليوم لغد أبدا.. ثم تضعي النفايات  
إلهام : « مستوضحة » النفايات...؟!  
حليمة : النفايات هي الأزبال وماشابه الأزبال.. تجمعها في  
لفافات الخاصة.. حتى الأزبال في بيتنا لها لفافاتها الخاصة

إلهام : أنتم أناس طيبون ما في ذلك شك.. ومتحضرون.. وي مدام  
 حليلة : ثم تردي الأشياء.. كل الأشياء.. إلى قواعدها سالمة.. فهمت  
 إلهام : الأشياء.. كل الأشياء إلى قواعدها سالمة  
 حليلة : وتفقدني المطبخ.. وخذار من الفوضى في المطبخ.. وبمجرد ما  
 اتجه إلى غرفة نومي.. تشرعين أنت في القيام بعملية المسح..  
 إلهام : مسح ماذا...؟!

حليلة : مسح الثلاجة.. مسح الفرن.. مسح المرايا.. ويجب أن أنبهك  
 إلى أن المرايا التي تزين حيطاننا كلها من النوع النفيس الغالي  
 الثمن كي تمسحها وأنت على بينة من قيمة ثمنها... المسح بذوق..  
 وحذر.. ولطف.. وظرف تؤدة

إلهام : بتؤدة.. تعجبني كلمة تؤدة هذه يا.. مدام  
 حليلة : وعلى ذكر المريا.. أخبرك أن الوقوف أمام المراة لغير  
 مسحها ممنوع

إلهام : صار بالبال

حليلة : لاحظي أن بيتنا يتمتع بهدوء كبير.. فيجب أن تتحركي  
 فيه بهدوء مماثل.. وخلال فترة قيلولتي أحب الهدوء التام.. وهذا لا  
 يمنعك أنت من القيام بأعمالك كلها بسرعة.. ولكن  
 إلهام : بذوق، وهدوء، ولطف.. وظرف.. وتؤدة

حليلة : وإذا تنقلت من مكان إلى مكان في هذه الفترة فسيري على  
 رؤوس بناتك حالي أن تكون خطواتك شاعرية هامسة.. فهمت  
 إلهام : «تومي برأسها أنها فهمت»

حليلة : أجيبني..؟ لماذا سككت..؟

إلهام : بعصبية مكبوتة « فهمت



حليمة : وعلى الساعة الرابعة.. والرابعة ليست هي الرابعة وخمس دقائق أو الرابعة إلا خمس دقائق.. انقري علي باب غرفتي.. والنقر طبعاً

إلهام : بذوق.. وهدوء.. ولطف.. وظرف.. وتؤدة.. وأترككي تتلململين في فراشك خمس دقائق ثم أعاود النقر.. إلى أن يتأكد لي أنك استيقضت. والدليل الوحيد الأوحـد على يقظتك هو الصباح  
حليمة : تماماً.. تماماً.. أنت خادمة حاذقة لبيبة.. وبمجرد ما تتأكدين من أنني استيقظت اذهبي عند جارتنا في الزنقة الدار رقم 11. للا راضية وقولي لها إن سيدتي تنتظرك لشرب الشاي

إلهام : شاي الخيرات... يعني الشاي المثلج  
حليمة : لا.. الشاي المنعنع.. ثم أن الشاي المثلج يحتسى بعد طلوع النجمة.. وشاي الرابعة زوالا هو شاي التقعيدة  
إلهام : التقعيدة

حليمة : التقعيدة عندنا هي « الكاسكروط » أفهمت  
إلهام : « منفعة.. وتشير إلى أنها فهمت. ولكن بدون كلام »  
حليمة : لا. لا. تكلمي.. عبري عن رأيك.. قولي : فهمت بالصوت العالي  
إلهام : « صائحة » فهمت.. يا ربي أشهد أنني فهمت  
حليمة : وفي الخامسة يا جمال إلهام. أو إلهام جمال... تهيني لاستقبال الأولاد.. هم أيضا في حاجة إلى « تقعيدة » خاصة بهم  
إلهام : الكاسكروط...؟!

حليمة : بدأت أحبك لأنك نبيهة. وأنا أحب النباهة  
إلهام : وأنا بلا تواضع. كما تلاحظين جد نبيهة. ومنتبهة. وواعية  
حليمة : سنرى.. والله لا يخيب ظني فيك.. أنا أحسن فيك الظن.. وبعد تقعيدة الرابعة بمرحلتها الكبيرة والصغيرة تراجعني أحذية

الأولاد لتعاودي مسحها كما يجب. وطي ملابسهم. وجمع أدواتهم بعناية واهتمام وأنت تعرفين أن الأطفال يعودون من المدرسة أحيانا بملابس في حالة يرثى لها.. ثم انهم ينزعونها. ويطوحن بها حيثما اتفق. ولهذا يتوجب عليك أن تتابعي حركاتهم. وسكناتهم.. حتى لا تضيع الملابس.. فكوني يقظة حذرة مع الحرس الشديد. والتأكد من أنهم تناولوا طعام تقعيدتهم  
إلهام : الكاسكروط...؟!

حليمة : اهتمامك الخاص بالأولاد. والعناية بهم شيء يقوى من  
حظوظ بقائك معنا

إلهام : « بعصبية » بقائي معكم...؟!

حليمة : إذا كنا قد أعجبناك...؟!

إلهام : لا ينبغي أن تشكي لحظة في هذا الإعجاب...

حليمة : وفي السادسة مساء وبعد أن تكون مهمتك مع الأولاد قد انتهت على أحسن ما يرام... تأتي توا إلى غرفة الشاي حيث تجدينني تأهبت لتوديع اللا راضية ألبسيها جلبابها أو معطفها..  
بكل

إلهام : لباقة. وظرافة. ولطافة. وتؤدة

حليمة : وبمجرد مغادرتها للبيت تتجهي أنت للمطبخ في التو..  
لتشرعي في تحضير طعام العشاء. سيدك

إلهام : « في شبه احتجاج » سيدي...؟!

حليمة : عزيزك. رب البيت يحب الشربة. والأشياء الخفيفة كالبتزا على الطريقة الايطالية مثلا. أو ماشابه ذلك من الأكلات الخفيفة. ولكن الشربة رسمية كل يوم. وبدون استثناء. وفي الساعة الثامنة والنصف بالضبط يجب أن يكون طعام العشاء جاهزا. وعلى أحسن

ما يرام... وطبعاً لديك الوقت من السادسة إلى الثامنة.. العشاء بسيط للغاية. وتحضيره لا يكاد يكلف وقتاً أو جهداً يذكر.. نحن لا نريد إرهاق خادمتنا بما يشبه الأشغال الشاقة.. فهمت إلهام : طبعاً فهمت. ما يشبه الأشغال الشاقة.. وي مدام حليلة : وطبعاً حضورك أثناء الأكل ضروري ومؤكد. ووقوفك إلى جانبنا يجب أن تطبعه ابتساماً مشرقة متوهجة تفتح شهية الأكل.. فسيذك لا يحب الوجوه العابسة.. البسمة هي صفتك الدائمة. وفي كل الأحوال.. ابتسمي إذن إلهام : «تفتري ابتساماً» نعم.. نعم حليلة : لا. لا. هذه ابتساماً باهتة صفراء مفتعلة. وفيها الكثير من التصنع والتكلف الابتساماً في بيتنا يجب أن تكون من الأعماق إلهام : ومن يبتسم في هذا البيت من الأعماق...؟! حليلة : نحن جميعاً. وطبعاً أنت معنا. في مقدمتنا إلهام : سأبتسم.. نعم. وأبتسم من الأعماق.. وي مدام حليلة : وإلى جانب الابتسام.. الترحيب بالضيوف كل الضيوف بكلمات جميلة مرحباً.. أهلاً.. وسهلاً.. ثم عملية نزع الجلابيب أو المعاطف والعناية البالغة والاهتمام الخاص بالنساء بالدرجة الأولى. وفي كل شيء... مثلاً إذا تلقيت نداء بطلب الماء من رجل وامرأة في آن واحد.. تلبي طلب المرأة أولاً ولدى استقبال الضيوف يتحتم عليك ارتداء الملابس البيضاء الخاصة باستقبالهم.. وهي موجودة وجاهزة اسمعيني جيداً يا إلهام جمال، اللطف والظرف والذوق والتؤدة.. وحتى وأنت توزعين كؤوس الشاي البارد.. النساء أولاً...

إلهام : الشاي البارد...؟

حليمة : ستعرفينه - إن كنت لا تعرفينه بعد - في الوقت المناسب.. لكن إياك ثم إياك الوقوف أمام الناس... والوقوف دائما خلف الباب أو الستائر في حضرة الضيوف.. والوقوف ليس للفرجة أو التصنّت.. الوقوف لانتظار إصدار الأوامر لتبليتها. وتنفيذها.. وشيء آخر هام.. وحيوي هو تحضير الأكلات الباردة « بيبي فروا » لبعض الضيوف. وليس لكل الضيوف لعلك فهمت...

إلهام : أحاول.. صديقيني أحاول

حليمة : العشاء البارد من إعدادك طبعاً... وسأتولى أنا بنفسني شرح كيفية الإعداد لهذا النوع من الأكلات الباردة.. كما سأعلمك كيف تقدمي هذا العشاء للضيوف بطريقة معاصرة حديثة حياة. وجميلة « اكسترا مودرن »

إلهام : « متفجرة » طريقة تتسم باللياقة، واللباقة، واللطافة، والظرافة. والظرافة « الأتيكيت ». والتؤدة.. لقد فهمت ماذا يجب علي أن أفعل ولدى خروج الضيوف في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل أتولى أنا رد الأمور كل الأمور إلى نصابها والأواني. والكؤوس إلى قواعدها سالمة.. وبدون تأفف. أو تضجر.. أو نرفزة أو انفعال، العمل ينجز في هدوء ولطف وظرف وتؤدة وفي الساعة الثانية أو الثانية إلا ربع صباحاً أكون قد أنهيت كل مهماتي بكل بساطة. وبعدها يبقى وقتي كله لي. ملكي الخاص. وأنا حرة في أن أتصرف فيه كما أشاء... وطبعاً هناك أعمال أخرى كثيرة. وهي من صميم اختصاصاتي وقد تكون من بنات وقتها.. تأكدي أنني أعرف مالي وما علي أعرف كل واجباتي حق المعرفة.. وأعرف أيضاً كيف يمكن أن أتصرف.. بالذوق واللفظ والظرف والتؤدة وأعرف أنك اعطيتيني مجرد نظرة خاطفة عن عملي..

وهناك أشياء كثيرة أغفلتها. أو نسيتها.. وهي من أوجب واجباتي.. أنتم أسرة صغيرة جدا زوجك، وأنت، وخمسة أطفال على عين الشيطان.. ولديكم مصبنة ومغسلة للأواني.. لكن مسح الأواني وكي الملابس وطبها موكل لهماهتي وأعرف أن أعمالها كلها يجب أن تكون محبوبكة متقنة ودقيقة جدا. وقديما قال حكماء المغاربة : «محبوك أو متروك» وفي اليوم الموالي يا، أنا، يا إلهام جمال... أو جمال إلهام فردوس عبد القدوس ومن الساعة الخامسة صباحا إلى السادسة سأكون في راحة شاملة. مسح أحذية عزيزي وأحذية الأولاد. وطبعا بلا هرج ولا مرج. ولا عجيج. ولا ضجيج. خصوصا وأن أصحاب البيت ما يزالون في أحلى لحظات النوم الهادي : أقوم بكل هذا هادئة بابتسامة الرضى والرزانة والاستقامة ما قولك يا مدام...؟ فهمت أم لم أفهم

حليمة : تخطيت مرحلة الفهم إلى مرحلة الاستعاب

إلهام : «بشكل ألي» وفي السادسة تماما أولي وجهي شطر المرأب. الكراج وهو موجود عندكم في الحديقة والممشي المؤدي إليه طويل وبوسعي أن أشعل الضوء. أنتم أناس تحبون السير في النار عفوا في النور.. ثم علي أن أسير على رؤوس أبنائي. كي لا تحدث خطواتي أي ضجيج مزعج مقلق

حليمة : عجيب. غريب. مدهش.. ثم ماذا...؟!

إلهام : أغسل السيارات. وأمسحها... والكراج. ومحتوياته. ولديكم في الكراج ما تشتهي الأنفس من كل وسائل الراحة.. كل المعدات التي تيسر العمل وتجعله متعة.. أنابيب خاصة.. صابون خاص.. مواد لمسح الزجاج خاصة وما على الخادمة إلا أن تكون نبيهة ذكية حاذقة ولديها النية الحسنة.. ولها الحرية من أن تبلل يدها بالماء. أو



لا تبللها.. فالآلة عندكم تنوب عن اليد في كثير من الأعمال.. وأنتم أناس طيبون رحماء بخادمتكم ما في ذلك شك..

حليمة : الحقيقة أنك خادمة ذكية بشكل ملفت للنظر

إلهام : أعرف ذلك « ثم تشرع في تقليدها » وفي السابعة.. أو السابعة إلا ربع أتوجه إلى غرفة الأولاد. ودائما خطواتي على رؤوس الأبنان.. خطوات هادئة.. هامسة.. شاعرية.. أبدا بغسل وجوههم. وخواشيمهم جميعا. ومسحها.. وأتولى إطعامهم. وإلباسهم إلى أن يكونوا مهيين للذهاب للمدرسة « تمعن في تقليدها بطريقة « كاريكاتورية » سيذهبون طبعاً بالسيارة للمدرسة.. لا. لا. عفوا سيذهبون للمدرسة بالسيارة وإذا تعلمت أنا السياقة.. يمكنكم الاستغناء عن خدمات ذلك السائق الأهوج.. المشاغب الغير مستقيم

حليمة : أنت خادمة لا مثيل لها في العالم

إلهام : وأنتم أناس لا مثيل لكم في العوالم.. وتوفرون أسباب السعادة والراحة لخادمتكم

حليمة : شكرا

إلهام : ومن الساعة الثامنة إلا ثلث للثامنة. أعيد النظام إلى غرفة أكل الأطفال وأرد الأمور إلى نصابها. كل حاجة بجانب أختها. بنظام، ولطف، وظرف، وتؤدة.. ثم أتجه إلى غرفة سيدتي.. عفوا للاأقوم بعملية إيقاظها وهي عملية جد دقيقة. ومعقدة.. علي أولاً أن أنقر على الباب بهدوء هادئ نقرات لطيفة ظريفة تؤديه الايقاع.. ثم أنتظر خمس دقائق. وإعاود النقر التؤدي.. ثم أنتظر وأعاود الكرة من مرة إلى ثلاثة فما أكثر إلى أن أسمع سيدتي للا تصيح.. والصياح معناه أنك ودعت عالم الأحلام الهادئة.. واستيقظت لتواجهي يومك الجديد.. أهكذا يا سيدتي للا...؟



حليمة : تماما. ما أطفك من خادمة  
 إلهام : وإذا كانت لسيدتي للا. الثقة في نباهتي، ومواهبتي  
 وذاكرتي فتعليماتها كلها؛ أصبحت عندي محفوظة مسجلة  
 حليمة : نسيت أن أقول لك ان مسألة الغسيل  
 إلهام : عندكم مصبنة معاصرة من أحدث طراز.. ماكينة من النوع  
 الممتاز

حليمة : الغسيل من اختصاص الآلة  
 إلهام : والكي من اختصاصي أنا. طبعا مع طي الملابس  
 حليمة : أنت خادمة من النوع النادر الممتاز  
 إلهام : وأنتم أناس طيبون.. ممتازون.. نادرون.. ثم إن مسألة كي الملابس  
 وطبها.. هذه مهمة بسيطة. وأستطيع القيام بها في أوقات الفراغ؟!  
 حليمة : أبادر فأخبرك أن أجرتك عشرون درهما في اليوم  
 الواحد...ألفان من الفرنكات.. نحن أناس أسخياء.. كرماء  
 إلهام : وممتازون رائعون. وتتمتعون بنزوعات إنسانية لا مثيل لها..  
 عشرون درهما أجره ليوم واحد..؟ شيء من وراء العقول.. هذه أجره لم  
 يحلم بها خادم أو خادمة في هذا الزمن. وفي هذا البلد الكريم المضياف  
 حليمة : نعم عشرون درهما في اليوم.. نحن لا نؤمن بأجرة الخمس  
 دراهم في اليوم.. لا. لا. ما هذا ما هذا...؟ هذا هو الغبن الذي ما بعده  
 غبن. الخادمة مخلوق بشري يجب أن تحترم. وتسان كرامتها..  
 وتحفظ لها إنسانيتها. وحفظ الكرامة جزء من حفظ الأجور.. وفي  
 أقصى ما يمليه الحد الأدنى.. نحن أناس  
 إلهام : واعون... ومتقفون متنورون...  
 حليمة : ستون ألف فرنك في الشهر الواحد.. هذا المبلغ الضخم كله  
 مقابل لشهر واحد من العمل السهل البسيط

إلهام : الصراحة أنني لم أكن أحلم بهذا الأجر السخي.. التوادي..  
أنتم أناس لا مثيل ولا شبيهه لنبلكم وطيبوبيتكم وإنصافكم  
حليمة : ولكننا وللتنبيه فقط.. أخبرك.. أننا في مقابل أجرتنا  
السخية والمنصفة الغير مجحفة.. نغرم خادمتنا فيما يفسدن.. أو  
يكسرن أو يتلفن

إلهام : وطبعا المسألة لا تتعلق لا بالبخل.. ولا باللؤم.. وإنما هي  
مسألة مبدأ.. ولكل ذي حق حقه.. وفي هذه الحالة تكون الخادمة  
ملزمة بأخذ الحيطة والانتباه..

حليمة : تماما.. ثم أن المحاسبة تطيل العشرة.. وقديما قال المغاربة  
« حبني محبة أخيك وحاسبني محاسبة عدوك ».

إلهام : صحيح.. وجهة نظر سليمة.. قولي لي يا سيدتي للا  
حليمة : ماذا...؟

إلهام : أليك مغازل...

حليمة : مغازل...؟

إلهام : لغزل الصوف.. للنسيج اليدوي.. الثنائي.. والأحادي  
حليمة : طبعا لدينا.. ولكن لماذا...؟!؟

إلهام : يسعدني أن أنهي إلى علمك أنني غزالة.. نساجة ماهرة..  
وأتقن الغزل.. بالقضبان.. فنانة في جميع فنون الغزل  
حليمة : وما الفائدة من ذلك.. بالنسبة لنا...؟!؟

إلهام : أستطيع أن أتطوع بغزل صدريات أو « التريكويات »  
للأطفال من النوع الممتاز الفريد.. وطبعا أقوم بهذا العمل  
التطوعي التوادي في فترات الاستراحة.. أوقات الفراغ.. عندما  
تنوب التكم عن أعمال اليدوية.. أشتغل أنا بالنسيج.. وقديما قيل :  
حديث ومغزل.. وإذا كانت عندكم ماكينة خياطة.. فأنا خياطة

ماهرة.. أنا بكل بساطة من حملة الشواهد.. وأتمتع بذوق لطيف  
ظريف تؤدي وأعرف كيف أصرف أوقات فراغي في إنجاز الأعمال  
المفيدة النافعة

حليمة : أنت أيضا تحسنين الغزل..

إلهام : نعم

حليمة : شيء مدهش.. شيء خطير

إلهام : غزل الصوف.. أحسن غزل الصوف فقط يا سيدتي للا...

حليمة : وقلت أيضا أنك تحذقين الخياطة

إلهام : وأشياء أخرى كثيرة لأحد لها. ولا حصر.. أنا يا سيدتي للا  
باختصار وبكل تواضع بلسم يشفي كل الأمراض.. واعتبارا لأنني  
سأكون مضطرة للنوم مبكرا.. على الساعة الثانية بعد منتصف  
الليل.. ولهذا فالغزل قد يساعدي على استجلاب النوم.. من  
طبيعتي أن أشغل يدي.. ولا تتعجبي إذا رأيتني نائمة ويدي  
تشتغلان.. الشغل عادتي.. ومتعتي وهوايتي

حليمة : «مرتاحة» نعم فهمت

إلهام : وأنا أيضا يسعدني أن أنهي إلى علمك أنني فهمت.. إلى  
اللقاء مدام سيدتي للا «وتعمدت دائما لفظ للا بصيغة تضر  
سخرية مريرة» وبلغني سيدي عزيزي أجمل تحياتي المتوودة  
حليمة : سيدك عزيزك

إلهام : زوجك الذي تقولين عنه : إن جوعه حراق.. ذئبي.. ويحب  
أن يتغذى في الوقت المحدد. وإلا أقام الدنيا وأقعدها.. سيدتي للا  
قولي لسيدي عزيزي وداعا وإلى غير لقاء..

حليمة : لماذا..؟ ولكن ماذا حدث.. كنا على وشك الاتفاق

إلهام : فكرت ياسيدتي للا.. ولا أريد أن أعمل.. وأفضل البطالة..

أفضل البطالة.. أفضل التسكع.. والصعلكة.. أفهمت لماذا..؟  
« تخرج »

### المشهد السادس

#### حليمة... ثم منصوره

حليمة : أه.. من خادمت هذا الزمن.. كلهن من طينة واحدة.. هن هن مهما اختلفت. ألوانهن. وأشكالهن وأعمارهن.. وأحجامهن.. يا عباد الله من رأى منك خادمة مثالية.. طائعة ممثلة. خدومة صبورة.. راضية قنوعة فليخبرني بوجودها. لأهب لزيارتها. والاستبراك بها... إذن منصوره خادمتنا تشخص المثل للخادمة المثالية في هذا الزمن السيئ.. نحن الآن في عهد طغيان الخادمت.. وجبروت الخادمت.. ومؤامرات الخادمت واستبداد الخادمت باسم الحقوق والمساواة. والتقدم والمعاصرة، والانسانية، وسرقة رجال وأزواج السيدات المحترمات السرقة بالكيد والدس والسحر والتآمر مع الشيطان على ذوي نعمتهن نحن في عهد تطاول الخادمت « تدخل منصوره » أه.. منصوره تعالي يا منصوره.. اخبرك أنه ليس بوسعنا أن نعطيك رخصة أو عطلة لان السيدة النائبة الخادمة التي كان من المفروض أن تحل محلك.. رفضت.. ولكن.. ماذا أرى.. لماذا ترتدين جلبابك...؟ منصوره...؟ حذار أن تسمعي كلام الشعوذة.. والتهريج. والتضليل.. منصوره منصوره : أنني قررت أن أغادر هذا البيت.. ولن أعد للاشتغال معكم.. أنتم أناس طيبون ياسيديتي.. ولن أعود للاشتغال معكم.. سأخذ عطلتي

حليمة : ولكن الخادمة الجديدة رفضت أن تقوم بالنيابة عنك خلال  
مدة عطلتك

منصورة : هي حرة... وأنا أيضا حرة

حليمة : منذ متى...؟!

منصورة : ابتداء من تاريخ اليوم.. تحررت

حليمة : ومن سينوب عنك في بيتنا

منصورة : تلك مشكلتكم أنتم

حليمة : وإلى أين تذهبين.. حذار من المسك بالفارغ. والزهد في  
الممتلىء...!! « ترجع إلهام »

المشهد السابع

حليمة... منصورة... إلهام

حليمة : حذار من كلام المحرضين.. المضللين.. الغاضبين بالمجان.. هل  
وجدت عملا في بيت آخر...؟!

إلهام : نعم وجدت العمل في بيتي أنا.. وبيتي خال من كل الآلات  
المعاصرة والناس الطيبين المتحضرين المعاصرين الممتازين.. خيرة  
الناس الناس اللطاف الظراف. الذوقية المتوآدين.. منصورة

منصورة : نعم الشعبية

إلهام : ماذا تنتظرين.. هيا بنا.. هيا بنا.. هيا بنا...

منصورة : أنا في أثرك

حليمة : وأين تشتغلين يا منصورة

إلهام : معي أنا إلهام عواطف فردوس عبد القدوس جمال  
الشعبية... نعم معي ستشتغل منصورة. وستعرف طعم الراحة.

وطعم العطلة وطعم السفر.. وطعم الكرامة

حليمة : البطالة باب التسكع.. والتسكع مغبة خطيرة... منصورة..  
منصورة

منصورة : نعم.. نعم..

حليمة : الصعلكة آفة عواقبها وخيمة.. انتبهي.. ولا تندفعي مع هذه  
الحمقاء.. الخرقاء

إلهام : راقبي لسانك حتى لا يزل يا سيدتي للا... وتذكري من  
يرمي الناس بالحمق هو الأحمق... الأهوج.. والغير المتحضر بعمق..  
منصورة...

منصورة : نعم الشعبية

إلهام : قلبي لسيدتك للاك بالصوت العالي : إنني أفضل البطالة  
على العمل مع أناس طيبين.. من هذه العينة.. هذه الفصيلة.. هذا  
النموذج.

منصورة : إنني أفضل البطالة.. أفضل البطالة.. أفضل الصعلكة..  
ببراءة واستقامة

إلهام : بذوق.. وهدوء.. ولطف.. وظرف.. وتؤدة.. أديو مدام

منصورة : أديو مدام أديو للا...

## ستار النهاية

أنهيت كتابة هذه المسرحية في : بونشارا.. قرب مدينة كرونوبل  
بفرنسا يوم 16 غشت من سنة 1964.. وانتهيت من تحويلها إلى هذه  
الفصحى التي تشبه العامية في : 23 مارس 1976 بمدينة فاس.



## قصة الرأس والوسادة

مبارك ربيع(\*)

استمرأ أن يبقى في الفراش، بل على الفراش بتعبير أدق؛ يداه مخلفتان تحت رأسه على الوسادة، وجسمه ببذلة النوم خارج الغطاء، فوق الغطاء؛ استمرأ لسعة البرد القارس على القدمين العاريتين. لهيب المدفأة خبا منذ منتصف الليل كعادته. والدفع استهلكته الشقة والأثاث وتكدس الأنفاس. الشمعة وحدها تبدو منتصبة نظيفة تجمد الدمع عند منتصفها.

إطار المدفأة والآجر المرصوص في حافة واجهتها يشكلان هرم مسطحاً.. طاف بنظرة كسلى على كل شيء حوله، صورته و«أنا» تتوسط المشهد.. رائعة في ابتسامتها، يجللها البياض.. لم يكن ثوب عرس مكتمل، لكن التاج والأكليل الحريريين المطرزين كانا حقيقيين، وكانت فرحته حقيقية لأحبه فحسب، «فأنا» كانت حقاً حبا، لكن بهجته العميقة كانت لما هو أكثر... فقد أن للفارس أن يترجل أخيراً، في مرحلة لا يهمله أن تكون طويلة.. ربما يجب أن تكون طويلة في سبيل المبدأ.. وعلى الطريق؛ إنه التاريخ وليس

---

(\*) أستاذ جامعي وروائي.

النزوة أو الطفرة. ويكفي أن يكون الفارس جاهزا في اللحظة المناسبة، شاهرا... شاحذا... سيفه معرضا صدره ورقبته للخطر من أجل اللحظة المنتظرة.. لحظة صناعة التاريخ، لحظة الولادة..

صورة ثانية لأننا، وحدها في إطار صغير عليه رسومات شرقية، كان هديته إليها في إحدى المناسبات... قال لها إن صورته الأولى في الوطن، عندما كان وهو في الإعدادي، كانت ضمن إطار مشابه.. ضحكتهما ما تزال.. ولم تعد... كانت تملأ الإطار وتفيض عليه إشراقا، ممتلئة عافية وشفافية. تنضح بالعفوية وصفاء العقل والوجدان.. تعود أن يقرأها من كل الأبعاد والاتجاهات. فلا تكشف إلا مزيدا من الاغراء.. ضحكة ظلت تملأ عليه الخيال والواقع. قال مرة صادقا إنه لن يتخيل ضحكة وإشراقا مثلها؛ قبلت «أنا» ذلك وأضافت أن المصور يحتاج إلى جائزة.. لم يترك لها الفرصة لمثل هذه الفكرة. الجائزة تستحقها صاحبة الصورة. أنت يا «أنا»، أنت - بعد الخالق الرزاق - التي صنعت هذا الإشراق الكوني وأبدعته؛ ويستحقها هذا البلد، هذا الوطن الذي أبدعك... أعتقد أن مثل هذا الإشراق وهذه الضحكة توجد في كل البلاد! أه. يا من أبدعتم هذا الوطن الغالي... الكوني! لم تكن لتهدئ من حماسه، فهي لا يمكن أن تقل عنه... وكان مدفوعا باقتناعه بمبادئه التي نذر لها كل ذرة في كيانه؛ واليوم الكوني العادل لا بد أن.. في سبيل ذلك كان يرفع بصره نحو البنايات الشامخة ويشير إلى الجسور، والطائرات، وما نشأت الصحف، ونظافة الشوارع؛ كالطفل الغرير المبتهج مؤكدا لأننا.. كونها لا تعرف أو لا تدرك ما في بلدها الكوني من معجزات، ويقول إن عليهما.. هو وأنا أن يتذوقا هذه

الحياة حتى يعرفا بحق ماذا يمكن أن يتحقق يوما في ذلك المشرق الذي ينتمي إليه، وفي العالم كله.. كان يجمع تدميرها الحقيقي من الصفوف الطويلة أحيانا على بعض مواد التغذية.. كان يستنكر منها ذلك ولا يفهمه.. وكان يتطوع بكل ابتهاج وفخر ليقضي ما يجب من وقت في الصف.. ثم يعود ظافرا يقفز طربا.. إنها تجربة تاريخية يا «أنا» وعلينا أن نساعد التاريخ من داخلنا في أحاسيسنا.. ويقمع غشاوة التدمير الخفيفة على محياها، يقبلها ويتساءل بينه وبين نفسه: لم يكتب عليه وأمه الشقاء، بينما آخرون ينعمون؟ دائما كان يغار حتى في وطنه من هذا الشعور بالحنن كلما أحس أمام مشهد أو شخص أنه يمتاز أو يتمتع بشيء.. لماذا يسبقنا الغير دائما فيما هو مفيد؟

تشتد وخزات البرد على قدميه : يحس بالتجمد في رؤوس الأصابع، لكنه يكسل عن كل حركة للدخول في الغطاء.. يرنو إلى ما تبقى من شمعة الليل المحترقة ويجر بصره إلى الإطار الصغير.. ضحكة أنا وعافيتها.. عندما زارتها والدتها بعد الاقتران بشهور قليلة غابت تجاعيدها القروية وهي تحتضن ابنتها وتنظر إلى كيانها المتسق المكتنز مؤكدة، أنت بخير بخير.. لم يفتر ثغرها عن ابتسامة ظاهرة أو ضحكة، لكن لهجتها واختفاء التجاعيد المؤقت دل على عظيم بهجتها بصحة «أنا» وعافيتها... وعند ذلك جلسوا حول «بطاطا الفرن»، الصحن التقليدي الذي تجيده المرأة القروية. ودبت فيه حرارة شراب القرية الريفية الذي جاءت به والدته «أنا» مع هدايا ريفية أخرى.. قالت لابنتها بصراحة : إنها تخبطها، فالمرأة حسب خبرتها وعندهم في الريف، لا تكتنز عافية إلا في

الترهل أو الترمل.. كان حياؤه الشرقي قد فارقه، وشجعتة حرارة القرية الريفية فامتد نحو «أنا» يقبلها ويقول : إنه الحب يا رفيقة الحب!

تذكر أمه في وطن الأحزان : لا يستطيع المقارنة فعلا.. أمه كيان حنان يتحرك؛ لا يبدو عليها أنها ستعرف الاكتناز أبدا.. حنان يتحرك بحزن عميق، لكنها عندما تضحك؛ تبتسم وتبدو واضحة على ملامحها عودتها إلى الحزن... لا مقارنة.. أمه هناك خارج كل تجربة.. أما هذه المرأة فهي في جوف التجربة، حتى وإن لم تعرف ذلك أو تقدره حق قدره.. أمه هناك يبدو عليها أنها غير راضية عن قدرها، لكنها تقبله وقد تبتهج به... هنا الأمر غير واضح.. لكن لا يهم، التاريخ يصنعه الناس ويصنعهم.

عندما خطا خطوته الأولى هنا، أحس بأنه أخيرا قد وجد الهواء الذي يناسب، رئتيه؛ أحس ببرودته تحرق خياشمه وحلقومه؛ توقظ مواته... تلهب يأسه ليزهو بالأمل الناصع نصاعة كثران الثلج المترامية؛ الدافئ دفء البخار المترامي من أفواه المتحدثين في جو لاسع مثلج... كان يعشق المشهد.. وما يلبث أن يقفز كالطفل راميا قلنوسته الثخنية في الفضاء، فاتحا طوق صدره للهواء... وتجري «أنا» خلفه.. تدثره وتلف حوله الشال.. بهلع معقول، ويؤدي ثمن الحماقة، زكاما كونيا يحمل معه إلى المستشفى العمومي حملا، وعلى الرغم منه...

مرة أخرى.. وأخرى.. وأخرى يجد فرصة للتمتع والحديث عن التجربة التاريخية التي تهتم بصحة فرد أجنبي غير منتج ومشرد...

وعندما تهون «أنا» من الأمر، يحكي لها صورا لا منطقية عن المرض والعلاج في وطنه، فعلى كبرها المبكر، أمه لا تكاد تعرف الطبيب.. ويذكر صورا ملتبسة في الذاكرة منذ صغره عن هذه الأنثى التي تتحرك تكاد تحبو.. يسراها ممسكة ببطنها الذي انثنى عليه كل كيائها، ويمناها تدعم بها الأرض حتى تتحرك... تتحرك نحو الجمر.. تحمي أجرة أو حجرا صما، حتى إذا بلغ الغاية لفته في خرقة، ودفعت به تحت بطنها أو تكتها، تصدر عنها أهات دفيئة وهي تتحرك ببطء عائدة إلى حيث تتمدد لحظة متأوهة في انكتام... حتى تهمد في شكل غيبوبة.. وإلى الآن لم يستطع أن يعرف نوع علة الألم أو مرضها الذي تشكو منه.. كان صغيرا يقف يتأمل حركاتها وهي تتلوى.. مشيرة إليه ألا يخاف.. ألا يخاف عليها.. أن يبتعد.. فلا يملك إلا أن يختفي ويظل يراقبها في هلع... وحين تصحو من غفوة الألم أو غيبوبته - وكانت دائما تصحو من ذاتها - تتحرك لما يجب أن تقوم به متكورة على بطنها، ماسحة على رأسه دون كلام.. وكان في شبابه يذكر أمامها الطبيب، فلا تزيد على أن تقول : الطبيب هو الله يا ولدي..

أه... أين ذلك من أم «أنا»؛ من أنا أم أيوب ذاتها؟! أيوب أيها الجرح العميق الذي لا يندمل.. ماذا ينتظر براءتك وانفتاح ذراعيك الغضين وأنت تنطلق كالريح - كما تقول «أنا» - للارتقاء في أحضان ماما أو بابا؟ تعجب «أنا» وهو يشرح مغزى اسم أيوب الذي يريد أن يطلقه على الجنين إذا كان وليدا ذكرا؛ قال لها إن أيوب تعني الصبر.. وعلى الوليد أن يصبر كما صبر أبوه، حتى يتحقق الحلم

البكر في نصاعة الثلج ونقائه.. قال لها إنه هو بالذات أيوب، أما ابنيهما فسيكون ابن أيوب في واقع الأمر!

وتضع.. «أنا» يدها على صدغيها، تحمي سمعها من هذه «الخربقة».. فيقول : يا حبيبتي؛ أيوب لفظ عالمي يكتب وينطق صحيحا في جميع اللغات! حينئذ تقبل.

أيوب، يا ضحكة الغر والبراءة.. ماذا ينتظر شبق طفولتك البريء؟! الصبر نفسه يتصدع من هول ما يقع.

الخطوات الأولى، على أرض الثلج، أحييت فيه شعورا بانسانيته، يحيا داخله من جديد؛ وأفكاره تستنبت كأرض يغسلها وابل إمطار بعد أن شققها الجذب والجفاف...

كانت «أنا» مرافقته وأستاذته في اللغة، وكانت حميته وحماسته تحرقان به المراحل، لا يلتفت إلى شيء ولا يلوي على شيء.. حتى تسوية وضعيته ومراجعة المصالح الإدارية على ضرورتها، كان يؤجلها في سبيل أن يتعلم ويعرف ويحدث ويلاقي ويسأل.. إنه يريد أن يعرف سر تقدم البلد.. وصورة تخلف الوطن لا تفارقه...

هكذا كان شعلة حماسة وقادة.. غافلة عن كل شيء غير الهدف.. وأنا بجانبه تعلم وتجيّب، وكان حريصا على أن يروي لها بكل تفصيل، بكل تدقيق، كل ما يمر به في يومه ومن يحادثهم من



رفاقه، وما يجول في ذهنه وأذهانهم؛ وعندما كانت تظهر التبرم بما تسمع، يتطوع بأن يؤكد لها أنها يجب أن تكون في خدمة وطنها، وأنه لا يمكن إلا أن يكون مثلها في خدمته مادام يستضيفه.

كان يعتقد بأن سلامة هذا البلد تمثل سلامة الكون والمستقبل، ومن ثم لا عليه أن يثقل عليها في سرد تفاصيل مجريات يومه... ومن يدري فقد تسأل في شيء عن رفيقها... وعليها أن تكون على علم! «أنا» كانت جزءا مما يجب أن يعرف، ولم ينتبه إلى أنها شيء آخر، إلا ذات يوم وهما يخطوان في حديقة المحبين بجوار الأحرف البارزة لاسم الشاعر الكبير، وقرب تمثاله البرونزي الواطيء، كان يقرأ عليها مسودة مقالته حول «أرضية الصراع في الشرق الأوسط» لتصيح لغته، حين انثنى بها كعب الحذاء أو تعثرت القدم، فأنحرفت فجأة، تلقاها ولم يكن مستعدا فانكفا معا.. برهة احتضان عفوية كانت كافية ليعرف تمام مابقي مما حوله.. وقالت له فيما بعد الزواج، إنها لم تكن تملك طريقة أخرى لإيقاظه!

«أنا» القلب وأم أيوب... كيف يتصدع الكون في الرأس، وتحت الأقدام وتبقى الذكرى وحدها ماثلة والزمن القريب زمن الحلم الأبيض الناصع؟! ماذا يقول لأمه.. تلك التي تحمل أوجاعها هناك منضوية على آجرة محمية أو حجر صلد؟ لماذا ترك أحلامها البسيطة وأشفق على سذاجتها، ووعدا بينه وبين نفسه بأن يدخل عليها الفرحة، عندما يجعل لها بجوار كل بيت طبيبا، ماذا يقول لها عن مستقبل حفيدها أيوب الذي لم تعرف منه إلا الاسم ولن تعرف؟

كيف يتصدع الكون في الرأس وتحت الأقدام، وأنت أنت، أنا أم أيوب، التي كنت تتبرمين بتفاصيل يومياته، وهو يتطوع بسردها في إخلاص تلميذ.. تتابعين حلقومه اليوم، لاستخراج الكلمات.. تعدين ذرات البخار من تنفسه ولهائه...

لماذا تزداد نبضات القلب أو تنتقص أو تثبت...؟ تدققين قراءة الحروف مبنى ومعنى عمن وما وراءها.. تتنكرين لكل لقاء مرتقب أو متخيل مع رفيق؟ أنت أنت أم أيوب! كيف يتصدع كل شيء حولنا ولا تزيد على أن ترفعي قدمك بنصف خطوة متئدة إلى الضفة الأخرى بكامل اليسر والسهولة.. ويصبح صمت أبي أيوب إدانة، وجهه تهمة، وسؤاله مؤامرة، وخطوه على الرصيف والجسر والفضاء... وكل ما كان يزهو به التاريخ.. خطرا مجروسا؟ كيف تصبح بلاغته المثيرة للاعجاب هذا سخيفا؟ وأين أين غاص القراء والرفاق، وأيوب يا أم أيوب؟

انتفض قاعدا في الفراش، أطرافه تثلجت، مد يده يحك أطراف قدميه العاريتين، ثم قام دون أن يعبأ بوضع رجليه في الخف الليفي.. سحب ستار النافذة الشفاف ليسمح لأقصى نور بالتدفق إلى الغرفة، قصد المراة، دقق النظر في شعر ذقنه النابت خالطه البياض، لم يكن راغبا في الحلاقة، لكنه بفعل العادة مد يده نحو الحنفية ثم توقف.. لا ماء.. لا نور.. لا حب.. لا كون.. لا أيوب.. آه يا أيوب...

رنا إلى ساعته، وأسرع يرتدي لباسه.. يمكنه أن يمر على المدرسة ليرى أيوب.. يودعه بقبلة أخيرة. إنها مغامرة لا تخيفه.. مهما يكن فهو أبو أيوب، ومن حقه أن يراه للمرة الأخيرة على الأقل...

أسرع ينزل الدرجات، ملفوفاً بجاكته ثقيلة لم يعبأ بتزويرها.. وعندما لفحه هواء البرد توقف : لماذا يكلف أيوب الصغير لحظة حرجة مريرة تحفر في ضميره الهش ذكرى أليمة؟

بلع ريقه مرات.. بلع حسرة أيوب مع سائر الحشرات ورننت في سمعه فقط مكالمة الأسبوع.. بصوت كصوت «أنا» أو صوت أم أيوب، وبقلب آخر... آخر... يقول : الجواز في المطار...

\*\*\*\*\*

## المساواة بين المرأة والرجل في القرآن

قال الله تعالى في سورة البقرة آية 228 **«وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»**

قال ابن القيم في «اعلام الموقعين» - ج 1 ص 335/334 - :  
و«دخل في قوله : {ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف} جميع الحقوق التي للمرأة وعليها، وأن مرد ذلك إلى ما يتعارفه الناس بينهم ويجعلونه معروفا لا منكرا، والقرآن والسنة كفيلا بهذا أتم كفالة».

وقال الشوكاني في «فتح القدير» - ج 1، ص 236 - : «أي لهن من حقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن، فيحسن عشرتها بما هو معروف عادة للناس أنهم يفعلونه لنسائهم، وهي كذلك تحسن عشرة زوجها بما هو معروف من عادة النساء أنهن يفعلنه لأزواجهن من طاعة وتزين وتحبب ونحو ذلك».

وقال محمد رشيد رضا في «تفسير المنار» - م 2، ص 380/375 **«وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ»** هذه كلمة جليلة جدا جمعت على إيجازها ما لا يؤدي بالتفصيل إلا في سفر كامل، فهي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق إلا أمرا

واحدا عبر عنه بقوله : {وللرجال عليهن درجة} وسيأتي بيانه، وقد أحال في معرفة مالهن وما عليهن على المعروف بين الناس في معاشراتهم ومعاملاتهم في أهليهم، وما يجري عليه عرف الناس، هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وأدابهم وعاداتهم، فهذه الجملة تعطي الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجته في جميع الشؤون والأحوال، فإذا هم بمطالبتها بأمر من الأمور يتذكر أنه يجب عليه مثله بإزائه، ولهذا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه : إنني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي لهذه الآية، وليس المراد المثل بالمثل بأعيان الأشياء وأشخاصها، وإنما المراد أن الحقوق بينهما متبادلة وأنهما أكفاء، فما من عمل تعمله المرأة للرجل إلا وللرجل عمل يقابله لها، إن لم يكن مثله في شخصه، فهو مثله في جنسه، فهما متماثلان في الحقوق والأعمال، كما أنهما بشر تام له عقل يفكر في مصالحه، وقلب يحب ما يلائمه ويسر به، ويكره ما يلائمه وينفر منه، فليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين بالآخر، ويتخذة عبدا يستذله ويستخدمه في مصالحه، ولا سيما بعد عقد الزوجية، والدخول في الحياة المشتركة التي لا تكون سعيدة إلا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه.

قال الأستاذ الامام قدس الله روحه : هذه الدرجة التي رفع النساء إليها لم يرفعهن إليها دين سابق، ولا شريعة من الشرائع، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الاسلام ولا بعده، وهذه الأمم الأروبية التي كان من آثار تقدمها في الحضارة والمدنية أن بالغت في تكريم النساء واحترامهن، وعنيت بتربيتهن وتعليمهن العلوم والفنون، لا تزال دون هذه الدرجة التي رفع الاسلام النساء إليها،

ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها بدون إذن زوجها، وغير ذلك من الحقوق التي منحتها إياها الشريعة الإسلامية من نحو ثلاثة عشر قرناً ونصف، وقد كانت النساء في أوروبا منذ خمسين سنة بمنزلة الأرقاء في كل شيء، كما كن في عهد الجاهلية عند العرب أو أسوأ حالاً، ونحن لا نقول إن الدين المسيحي أمرهم بذلك لأننا نعتقد أن تعليم المسيح لم يخلص إليهم كاملاً سالماً من الإضافات والبدع، ومن المعروف أن ما كانوا عليه من الدين لم يرق بالمرأة، وإنما كان ارتقاؤها من أثر المدنية الجديدة في القرن الماضي.

وقد صار هؤلاء الأفرنج الذين قصرت مدنيته عن شريعتنا في إعلاء شأن النساء يفخرون علينا بل يرموننا بالهمجية في معاملة النساء، ويزعم الجاهلون منهم بالاسلام أن ما نحن عليه هو أثر ديننا. ذكر الأستاذ الامام في الدرس أن أحد السائحين من الأفرنج زاره في الأزهر وبينما هما ماران في المسجد رأى الأفرنجي بنتاً مارة فيه، فبهت وقال : ما هذا؟ أنثى تدخل الجامع، فقال له الامام : وما وجه الغرابة في ذلك؟، قال : إننا نعتقد أن الاسلام قرر أن النساء ليس لهن أرواح، وليس عليهن عبادة، فبين له غلطه، وفسر له بعض الآيات فيهن، قال : فانظروا كيف صرنا حجة في ديننا؟ وإلى جهل هؤلاء الناس بالاسلام حتى مثل هذا الرجل الذي هو رئيس لجمعية كبيرة فما بالكم بعامتهم؟.

إذا كان الله قد جعل للنساء على الرجال مثل مالهم عليهن إلا ما ميزهم به من الرياسة، فالواجب على الرجال بمقتضى كفالة



الرياسة أن يعلموهن ما يمكنهن من القيام بما يجب عليهن، ويجعل لهن في النفوس احتراماً يعين على القيام بحقوقهن ويسهل طريقه، فإن الإنسان بحكم الطبع يحترم من يراه مؤدباً، عالماً بما يجب عليه عاملاً به، ولا يسهل عليه أن يمتهنه أو يهينه، وإن بدرت منه بادرة في حقه رجع على نفسه باللائمة، فكان ذلك زاجراً له عن مثلها.

خاطب الله تعالى النساء بالإيمان والمعرفة والأعمال الصالحة في العبادات والمعاملات كما خاطب الرجال، وجعل لهن عليهم مثل ما جعله لهم عليهن، وقرن أسماءهن بأسمائهم في آيات كثيرة، وبايع النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنات كما بايع المؤمنين، وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة كما أمرهم، وأجمعت الأمة على ما مضى به الكتاب والسنة من أنهن مجزيات على أعمالهن في الدنيا والآخرة، أفيجوز بعد هذا كله أن يحرم من العلم بما عليهن من الواجبات والحقوق لربهن، وليعولتهن، ولأولادهن، ولذي القربى، وللأئمة والملة؟، العلم الاجمالي بما يطلب فعله شرط في توجه النفس إليه اذ يستحيل أن تتوجه إلى المجهول المطلق، والعلم التفصيلي به المبين لفائدة فعله ومضرة تركه يعد سبباً للعناية بفعله، والتوقي من إهماله، فكيف يمكن للنساء أن يؤدين تلك الواجبات والحقوق مع الجهل بهما إجمالاً وتفصيلاً؟، وكيف تعد في الدنيا والآخرة أمة نصفها كالبهائم لا يؤدي ما يجب عليه لربه ولا لنفسه، ولا لأهله، ولا للناس، والنصف الآخر قريب من ذلك، لأنه لا يؤدي إلا قليلاً مما يجب عليه من ذلك ويترك الباقي، ومنه إعانة ذلك

النصف الضعيف على القيام بما يجب عليه من علم وعمل، أو إلزامه إياه بما له عليه من السلطة والرياسة.

إن ما يجب أن تعلمه المرأة من عقائد دينها وأدابه وعباداته محدود، ولكن ما يطلبه منها لنظام بيتها وتربية أولادها ونحو ذلك من أمور الدنيا كأحكام المعاملات - إن كانت في بيت غنى ونعمة - يختلف باختلاف الزمان والمكان والأحوال، كما يختلف بحسب ذلك الواجب على الرجال، ألا ترى الفقهاء يوجبون على الرجل النفقة والسكنى والخدمة اللائقة بحال المرأة؟ ألا ترى أن فروض الكفايات قد اتسعت دائرتها؟ فبعد أن كان اتخاذ السيوف والرماح والقسى كافياً في الدفاع عن الحوزة صار هذا الدفاع متوقفاً على المدافع والبنادق والبوارج، وعلى علوم كثيرة صارت واجبة اليوم ولم تكن واجبة ولا موجودة بالأمس، ألم تر أن تمرىض المرضى، ومداواة الجرحى كان يسيراً على النساء في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الخلفاء رضي الله تعالى عنهم، وقد صار الآن متوقفاً على تعلم فنون متعددة وتربية خاصة، أي الأمرين أفضل في نظر الإسلام؟ أتمرىض المرأة لزوجها إذا هو مرض، أم اتخاذ ممرضة أجنبية تطلع على عورته وتكتشف مخبآت بيته؟، وهل يتيسر للمرأة أن تمرىض زوجها أو ولدها إذا كانت جاهلة بقانون الصحة وبأسماء الأدوية؟، نعم قد يتيسر لكثيرات من الجاهلات قتل مرضاهن بزيادة مقادير الأدوية السامة أو بجعل دواء مكان آخر.

روى ابن المنذر والحاكم وصححه، وغيرهما عن علي كرم الله تعالى وجهه أنه قال في تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبواهم، والمراد بالأهل النساء والأولاد ذكورا وإناثا، وزاد بعضهم هنا العبد والأمة، وهو من : أهل المكان أهولا عمر، وأهل الرجل وتأهل تزوج. وأهل الرجل زوجه وأهل بيته الذين يسكنون معه فيه، والأصل فيه القرابة، وجمع الأهل أهلون، وربما قيل الأهالي (المصباح)، وإذا كان الرجل يقي نفسه وأهله نار الآخرة بتعليمهم وتأديبهم، فهو كذلك يقيهم بذلك نار الدنيا، وهي المعيشة المنغصة بالشقاء وعدم النظام.

والآية تدل على اعتبار العرف في حقوق كل من الزوجين على الآخر ما لم يحل العرف حراما، أو يحرم حلالا مما عرف بالنص، والعرف يختلف باختلاف الناس والأزمنة، ولكن أكثر فقهاء المذاهب المعروفة يقولون إن حق الرجل على المرأة أن لا تمنعه من نفسها بغير عذر شرعي، وحقها عليه النفقة والسكنى... إلخ، وقالوا لا يلزمها عجن ولا خبز ولا طبخ ولا غير ذلك من مصالح بيته أو ماله وملكه، والأقرب إلى هداية الآية ما قاله بعض المحدثين الحنابلة، قال في حاشية المقنع بعد ذكر القول بأنه لا يجب عليها ما ذكر، وقال أبو بكر بن أبي شيبة والجوزجاني : عليها ذلك، واحتجوا بقضية علي وفاطمة رضي الله عنهما، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قضى على ابنته بخدمة البيت، وعلى علي ما كان خارجا من البيت من عمل. رواه الجوزجاني من طرق، قال : وقد قال عليه السلام : «لو كنت أمر أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولو أن رجلا أمر امرأته أن تنتقل من جبل أسود إلى جبل أحمر أو من جبل أحمر إلى جبل أسود لكان نولها (أي حقها) أن

تفعل ذلك». ورواه بإسناده قال : فهذا طاعة فيما لا منفعة فيه فكيف بمؤنة معاشه ؟ .

وقال الشيخ تقي الدين : يجب عليها المعروف من مثلها لمثله، قال في « الانصاف » والصواب أن يرجع في ذلك إلى عرف بلده .

وما قضى به النبي صلى الله عليه وسلم بين بنته وربيبه وصهره (عليهما السلام) هو ما تقضي به فطرة الله تعالى، وهو توزيع الأعمال بين الزوجين : على المرأة تدبير المنزل والقيام بالأعمال فيه، وعلى الرجل السعي والكسب خارجه، وهذا هو المماثلة بين الزوجين في الجملة، وهو لا ينافي استعانة كل منهما بالآخر في عمله أحيانا اذا كانت هناك ضرورة، وانما ذلك هو الأصل والتقسيم الفطري الذي تقوم به مصلحة الناس، وهم لا يستغنون في ذلك ولا في غيره عن التعاون : «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها»، وسورة المائدة : 2 - «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله».

وما قاله الشيخ تقي الدين وما بينه به في « الانصاف » من الرجوع إلى العرف لا يعدو ما في الآية قيد شعرة، واذا أردت أن تعرف مسافة البعد بين ما يعمل أكثر المسلمين وما يعتقدون من شريعتهم، فانظر في معاملتهم لنسائهم تجدهم يظلمونهن بقدر الاستطاعة لا يصد أحدهم عن ظلم امرأته إلا العجز، ويحملونهن ما لا يحملنه إلا بالتكلف والجهد ويكثرون الشكوى من تقصيرهن، ولئن سألتهم عن اعتقادهم فيما يجب لهم، عليهن ليقولن كما يقول

أكثر فقهاءهم : انه لا يجب لنا عليهن خدمة ولا طبخ ولا غسل، ولا كنس ولا فرش، ولا ارضاع طفل ولا تربية ولد، ولا اشراف على الخدم الذين نستأجرهم لذلك، إن يجب عليهن إلا المكث في البيت والتمكين من الاستمتاع، وهذان الأمران عدميان أي عدم الخروج من المنزل بغير إذن، وعدم المعارضة بالاستمتاع، فالمعنى أنه لا يجب عليهن للرجال عمل قط، ولا للأولاد مع وجود آبائهم أيضا، وأقول إن هذه مبالغة في اعفائهن من التكاليف الواجبة عليهن في حكم الشرع والعرف، يقابلها المبالغة في وضع التكاليف عليهن بالفعل ولكن الجاهلين بالمذاهب الفقهية يتهمون رجالها بهضم حقوق النساء وما هو إلا غلبة التقاليد والعادات مع عموم الجهل.

وقال محمد الطاهر بن عاشور في «تفسير التحرير والتنوير» - ج 2، ص 401/396 - :

وفي الآية احتباك، فالتقدير : ولهن على الرجال مثل الذي للرجال عليهن، فحذف من الأول لدلالة الآخر، وبالعكس، وكان الاعتناء بذكر ما للنساء من الحقوق على الرجال وتشبيهه بما للرجال على النساء لأن حقوق الرجال على النساء مشهورة، مسلمة من أقدم عصور البشر، فأما حقوق النساء فلم تكن مما يلتفت إليه أو كانت متهاونا بها، وموكولة إلى مقدار حظوة المرأة عند زوجها، حتى جاء الاسلام فأقامها، وأعظم ما أسست به هو ما جمعته هذه الآية.

وتقديم الظرف للاهتمام بالخبر، لأنه من الاخبار التي لا يتوقعها السامعون، فقدم ليصغي السامعون إلى المسند إليه، بخلاف ما لو



آخر فقيـل : «ومثـل الـذي عليهن بالمعروف»، وفي هذا اعلان لحقوق النساء، واصداع لها واشادة بذكرها، ومثـل ذلك من شأنه أن يتلقى بالاستغراب، فلذلك كان محل الاهتمام.

ذلك أن حال المرأة إزاء الرجل في الجاهلية، كانت زوجة أم غيرها هي حالة كانت مختلطة بين مظهر كرامة، وتنافس عند الرغبة، ومظهر استخفاف، وقلة انصاف عند الغضب، فأما الأول فناشئ عما جبل عليه العربي من الميل إلى المرأة، وصدق المحبة، فكانت المرأة مطمح نظر الرجل، ومحل تنافسه، رغبة في الحصول عليها بوجه من وجوه المعاشرة المعروفة عندهم وكانت الزوجة مرموقة من الزوج بعين الاعتبار والكرامة، قال شاعرهم وهو مرة بن محكان السعدي :

يا ربة البيت قومي، غير صاغرة ضمي إليك رحال القوم والقربا

فسمها « ربة البيت » وخاطبها خطاب المتلطف حين أمرها، فأعقب الأمر بقوله « غير صاغرة »، وأما الثاني فالرجل، مع ذلك، يرى الزوجة مجعولة لخدمته فكان إذا غاضبها أو ناشزته، ربما اشتد معها في خشونة المعاملة، وإذا تخالف رأياهما أرغمها على متابعتها، بحق أو بدونه، وكان شأن العرب في هذين المظهرين متفاوتا بحسب تفاوتهم في الحضارة والبداءة، وتفاوت أفرادهم في الكياسة والجلافة، وتفاوت حال نسائهم في الاستسلام والإباء والشرف وخلافه، وروى البخاري عن عمر بن الخطاب أنه قال : «كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب الأنصار، فصخبت



علي امرأتي فراجعني، فأنكرت أن تراجعني قالت : ولم تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ليراجعنه، وإن احداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فراجعني ذلك، وقلت : قد خابت من فعلت ذلك منهن، ثم جمعت علي ثيابي فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها : أي حفصة أتغاضب احداكن النبي اليوم حتى الليل؟، قالت : نعم، فقلت « قد خبت وخسرت » الحديث، وفي رواية عن ابن عباس عنه : « كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئا فلما جاء الاسلام، وذكرهن الله رأينا لهن بذلك علينا حقا من غير أن ندخلهن في شيء من أمورنا »، ويتعين أن يكون هذا الكلام صدرا لما في الرواية الأخرى، وهو قوله : كنا معشر قريش نغلب النساء.. إلى آخره، فدل على أن أهل مكة كانوا أشد من أهل المدينة في معاملة النساء وأحسب أن سبب ذلك أن أهل المدينة كانوا في أزد اليمن، واليمن أقدم بلاد العرب حضارة، فكانت فيهم رقة زائدة « الحكمة يمانية »، وقد سمي عمر ابن الخطاب ذلك أدبا، فقال : فطفق نساؤنا يأخذن من أدب الأنصار.

وكانوا في الجاهلية إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها إذا حلت له، وإن شاؤوا زوجوها بمن شاؤوا، وإن شاؤوا لم يزوجوها فبقيت بينهم، فهم أحق بذلك، فنزلت آية : **«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا»**، سورة النساء، آية 19.

وفي حديث الهجرة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة مع أصحابه، أخى بين المهاجرين والأنصار، أخى بين عبد

الرحمان بن عوف، وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فعرض سعد بن الربيع على عبد الرحمان أن يناصفه ماله، وقال له : « انظر أي زوجتي شئت أزل لك عنها »، فقال عبد الرحمان : « بارك الله لك في أهلك ومالك » الحديث.

فلما جاء الاسلام بالاصلاح، كان من جملة ما أصلحه من أحوال البشر كافة، ضبط حقوق الزوجين بوجه لم يبق معه مدخل للهزيمة، حتى الأشياء التي قد يخفى أمرها قد جعل لها التحكيم، قال تعالى : «وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدنا أصلاحا يوفق الله بينهما»، وهذا لم يكن للشرائع عهد بمثله.

وأول اعلان هذا العدل بين الزوجين في الحقوق، كان بهاته الآية العظيمة، فكانت هذه الآية من أول ما أنزل في الاسلام.

والمثل أصله النظير والمشابه، كالشبه والمثل، وقد تقدم ذلك في قوله تعالى : «مثلهم كمثل الذي استوقد نارا»، -سورة البقرة، آية 17-، وقد يكون الشيء مثلا لشيء في جميع صفاته، وقد يكون مثلا له في بعض صفاته، وهي وجه الشبه، فقد يكون وجه المماثلة ظاهرا فلا يحتاج إلى بيانه، وقد يكون خفيا فيحتاج إلى بيانه، وقد ظهر هنا أنه لا يستقيم معنى بالمماثلة في سائر الأحوال والحقوق : أجناسا أو أنواعا أو أشخاصا لأن مقتضى الخلقة، ومقتضى المقصد من المرأة والرجل، ومقتضى الشريعة المخالف بين كثير من أحوال الرجال والنساء في نظام العمران والمعاشرة،

فلا جرم يعلم كل السامعين أن ليست المماثلة في كل الأحوال وتعين صرفها إلى معنى المماثلة في أنواع الحقوق على اجمال تبينه تفاصيل الشريعة. فلا يتوهم أنه إذا وجب على المرأة أن تقيم في بيت زوجها وأن تجهز طعامه، أنه يجب عليه مثل ذلك، كما لا يتوهم أنه كما يجب عليه الانفاق على امرأته أنه يجب على المرأة الانفاق على زوجها بل كما تقيم في بيته وتجهز طعامه يجب عليه هو أن يحرس البيت، وأن يحضر لها المعجونة والغربال، وكما تحضن ولده يجب عليه أن يكفيها مؤونة الارتزاق كي لا تهمل ولده، وأن يعهده بتعليمه وتأديبه، وكما لا تتزوج عليه بزواج في مدة عصمته، يجب عليه هو أن يعدل بينها وبين زوجة أخرى، حتى لا تحس بهزيمة فتكون بمنزلة من لم يتزوج عليها، وعلى هذا القياس، فإذا تأتت المماثلة الكاملة فتشعر، فعلى المرأة أن تحسن معاشرة زوجها، بدليل ما رتب على حكم النشوز، قال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾، وعلى الرجل مثل ذلك، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وعليها حفظ نفسها عن غيره ممن ليس بزواج، وعليه مثل ذلك ممن ليست بزوجة ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾، ثم قال: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ الآية، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ أَلَا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ إلا إذا كانت له زوجة أخرى فلذلك حكم آخر، يدخل تحت قوله تعالى: ﴿وَاللرِّجَالُ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ﴾، والمماثلة في بعث الحكمين، والمماثلة في الرعاية، ففي الحديث الرجل راع على أهله، والمرأة راعية في بيت زوجها، والمماثلة في التشاور في الرضاع، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾، وقال: ﴿رَأْتُمْرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾.

وتفاصيل هذه المماثلة، بالعين أو بالغاية، تؤخذ من تفاصيل أحكام الشريعة، ومرجعها إلى نفي الأضرار، وإلى حفظ مقاصد الشريعة من الأمة وقد أوماً إليها قوله تعالى «بالمعروف» أي لهن حق متلبسا بالمعروف، غير المنكر من مقتضى الفطرة والآداب والمصالح، ونفي الأضرار، ومتابعة الشرع، وكلها مجال أنظار المجتهدين، ولم أر في كتب فروع المذاهب تبويبا لأبواب تجمع حقوق الزوجين.

وفي سنن أبي داود، وسنن ابن ماجة، بابان أحدهما لحقوق الزوج على المرأة والآخر لحقوق الزوج على الرجل، باختصار كانوا في الجاهلية يعدون الرجل مولى المرأة، فهي ولية، كما يقولون، وكانوا لا يدخرونها تربية، وإقامة وشفقة وأحيانا واختيار مصير، عند إرادة تزويجها، لما كانوا حريصين عليه من طلب الكفاء، بيد أنهم كانوا مع ذلك، لا يرون لها حقا في مطالبة بميراث ولا بمشاركة في اختيار مصيرها، ولا بطلب مالها منهم، وقد أشار الله تعالى إلى بعض أحوالهم هذه في قوله : «وَمَا يُقْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ» - سورة النساء آية 127 ، وقال : «فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكَحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ» - سورة البقرة آية 232 ، فحدد الله لمعاملات النساء حدودا، وشرع لهن أحكاما، وقد أعلنتها على الأجمال هذه الآية العظيمة، ثم فصلتها الشريعة تفصيلا، ومن لطائف القرآن في التنبيه إلى هذا عطف المؤمنات على المؤمنين عند ذكر كثير من الأحكام أو الفضائل وعطف النساء على الرجال.

وقوله «بالمعروف» الباء للملابسة، والمراد به ما تعرفه العقول السالمة المجردة من الانحياز إلى الأهواء، أو العادات أو التعاليم الضالة، وذلك هو الحسن، وهو ما جاء به الشرع نصاً، أو قياساً، أو اقتضته المقاصد الشرعية، أو المصلحة العامة، التي ليس في الشرع ما يعارضها، والعرب تطلق المعروف على ما قابل المنكر. أي وللنساء من الحقوق مثل الذي عليهن ملابساً ذلك دائماً للوجه غير المنكر شرعاً، وعقلاً، وتحت هذا تفاصيل كبيرة تؤخذ من الشريعة، وهي مجال لأنظار المجتهدين في مختلف العصور والأقطار، فقول من يرى أن البنت البكر يجبرها أبوها على النكاح قد سلبها حق المماثلة للابن، فدخل بذلك تحت الدرجة، وقول من منع جبرها، وقال لا تزوج إلا برضاها قد أثبت لها حق المماثلة للذكر، وقول من منع المرأة من التبرع بما زاد على ثلثها إلا بإذن زوجها، قد سلبها حق المماثلة للرجل، وقول من جعل للمرأة حق الخيار من فراق زوجها إذا كانت به عاهة، قد جعل لها حق المماثلة، وقول من لم يجعل لها ذلك قد سلبها هذا الحق، وكل ينظر إلى أن ذلك من المعروف، أو من المنكر، وهذا الشأن في كل ما أجمع عليه المسلمون من حقوق الصنفين، وما اختلفوا فيه من تسوية بين الرجل والمرأة، أو من تفرقة، كل ذلك منظور فيه إلى تحقيق قوله تعالى : «بالمعروف» قطعاً أو ظناً، فكونوا من ذلك بمحل التيقظ، وخذوا بالمعنى دون التلفظ.

ودين الإسلام حري بالعناية باصلاح شأن المرأة، وكيف لا وهي نصف النوع الانساني، والمربية الأولى، التي تفيض التربية السالكة إلى النفوس قبل غيرها، والتي تصادف عقولا لم تمسها

وسائل الشر، وقلوبا لم تنفذ إليها خراطيم الشيطان، فإذا كانت تلك التربية خيرا، وصدقا وصوابا، وحقا، كانت أول ما ينتقش في تلك الجواهر الكريمة، وأسبق ما يمتزج بتلك الفطر السليمة، فهيأت لأمثالها من خواطر الخير منزلا رحبا ولم تغار لأغيارها من الشرور كرامة ولا حبا.

ودين الاسلام دين تشريع ونظام، فلذلك جاء باصلاح حال المرأة ورفع من شأنها لتتھيا الأمة الداخلة تحت حكم الاسلام إلى الارتقاء وسيادة العالم».

\*\*\*\*\*



## المرأة شقيقة الرجل (\*)

الاستاذ علال الفاسي

نظرتان في التاريخ مختلفتان في الحكم على المرأة تبلورت فيهما روح الديانات والفلسفات والحضارات البشرية قبل الاسلام.

الأولى، النظرة الغربية المستمدة من روح الديانة المسيحية ومن تكييفها لقصة بدء الخلق ودور المرأة في إخراج آدم من الجنة عن طريق الاغراء والغواية. وهذه هي النظرية التي جعلت المسيحيين والمعتمدين على الحضارات المسيحية في أوروبا وأمريكا يرون في المرأة شيطانا خلق ليفسد على الانسان روحانيته وينزل به إلى أسفل سافلين. وكان لهذه النظرية أثرها العميق في تكوين مبدأ الخطيئة الأصلية الموروثة للانسان والمصاحبة له في كل زمان ومكان؛ والقاضية عليه بأن لا يرتفع الا عن طريق الآلام والزهد الدائمين، ولذلك فهو لا يفتأ يلعن المرأة التي كانت السبب المهم في تنغيص حياته في الوقت الذي ما ينفك يهواها ويستمتع بها ويطيعها.

وطبعي أن تصبح المرأة بهذا الاعتبار شيئا حقيرا ملعونا ليس ذا روح أو أنها تملك روحا خبيثة لا تقترب بحال من روح الرجل،

(\*) من كتاب : «مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها»، ص 241، ط 2، ماي 1979.

ونتيجة لذلك فيجب أن تبقى المرأة بعيدة عن كل حق غير مطالبة بأي واجب؛ إلا أن تستغفر في كل حين من ذنبها وإساءتها للانسان.

وعلى هذا المنهاج بنيت الحضارات المسيحية؛ فليس للمرأة أن تنال مكانة الراهب في الدين؛ وحسبها أن تعينه وتخدمه اذا شاءت.

وليس لها أن تشارك في تسيير المجتمع أو في تدبير السياسة وغيرها من وسائل الحياة؛ وهي إن فعلت ذلك فإنما تتعرض للمساس بطبيعة الأشياء؛ وسيكون أثر عملها سوء. وهي متى تدخلت في شيء أفسدته؛ وإن أعياك أن تجد سبب عيب أو خصومة أو نقص ففتش عن المرأة.

تلك آراء الغربيين في المرأة؛ استنبطوها من عقيدتهم الدينية؛ وخوفهم المحيط بهم من الخطيئة الأصلية.

وطبيعي أن تسير النهضة الفكرية ضدا على هذه الآراء، وطبيعي أن يصل الناس بعقولهم وعلومهم إلى أن المرأة خلق كالرجل لا محل لأن يعامله الدين ولا المجتمع المبني عليه هذه المعاملة. وهكذا تجعل الثورات التي قامت في الغرب تحرير المرأة في مقدمة شعاراتها والغايات التي تعمل لها وان كانت العقلية الأوربية وذهنياتها لا ينقطعان عن العمل بمقتضى ما وقر في نفوسهم من قصة بدء الخلق ودور المرأة في تكون الخطيئة الأصلية للانسان.

أما النظرة الثانية فهي النظرة العربية والشرقية على العموم إلى المرأة. وهي نظرة مدنية لا صلة لها بالدين؛ وإنما تتصل بواقع التجربة العربية في أطوار الجاهلية. وما أدت إليه أحكام عنجهيتها الأخاذية؛ وهي تقضي بأن المرأة مخلوق ضعيف لا يقوى على حماية نفسه ولا على الوقاية من أدواء الجسم والخلق وهي بذلك محتاجة إلى عائل يعولها؛ وراع يرعاها؛ وهكذا تصبح ثقلاً على أصحابها وكلاً على أسرتها لا تنفع في كسب ولا تقوم بحراثة ولا تغني غناء الرجل في الحروب؛ وإنما هي انسان لابد منه للنسل؛ وبما أنه ضعيف فيجب أن يحترم الاحترام الكامل، ويكون محط وقاية الانساب من الاختلاط والأسرة من الانحلال.

فالمرأة في نظر العرب حرمة تنبغي العناية بها والدفاع عنها والقيام بشؤونها. ومتعة يتطلبها الرجل ويجد فيها هواه ومطلبه؛ ولكنها مع هذا وذاك أو بسببهما كل على الرجل؛ قد تمس عرضه وترميه بالعار إذا هي انحرفت عن المعتاد؛ وقد تصل الأسرة بمن لا يليق بها من الاصهار. وقد تؤدي بנדاءات الحماية والثار التي تصدر عنها إلى الحروب وموت الرجال؛ وتلزم الأب والعائل بالبحث عن أسباب الرزق للقيام بها وقد تؤدي به إلى الاملاق.

فالعرب لم يحتقروا المرأة ولم يحكموا عليها بخطيئة أصلية لأنهم لا يعرفونها بل هم برئوا منها على جاهليتهم. وإنما اوقعوا المرأة في جو اعتبرها مجرد متاع وحماية للعرض فقد أدى بهم الأمر إلى التحكم فيها وحرمانها من حقوق كثيرة وبما أنهم القائمون عليها فقد حاولوا أن يتحرروا منها أحياناً بالوأد؛ أو

يعبثوا برئاستهم في معاملتها. وبذلك منعوها من المساواة مع الرجل في الحقوق وفي الواجبات فأصبحت بمثابة الأمة الخادمة وإن كانت محترمة كأم ومقدسة كحريم.

أما الاسلام فقد جاء مقوما لما أعوج من الدين وما طغى من جاهلية فأعلن قبل كل شيء ان الغواية وقعت لآدم وحواء على السواء أغواهما الشيطان؛ وإن الله تعالى تاب عليهما بعد ما غويا وهدى. وإن الميراث الوحيد الذي يعترف به القرآن هو عداوة آدم وذريته رجالا ونساء للشيطان وعداوة الشيطان لهما، والحياة البشرية على وجه الأرض صراع بين الخير الذي تمثله الانسانية والشر الذي يمثله الشيطان.

وإذن فلا مسؤولية على المرأة في تلك الغواية المغفورة. ولا ميراث للخطيئة عند الناس؛ لأن الأبناء لا يؤخذون بذنوب الآباء؛ (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت).

ثم أعلن الرسول ان (النساء شقائق الرجال في الأحكام) فليس للرجل من حق لا تملكه المرأة أو ما يقابله؛ وليس يجب على المرأة الا ما يجب على الرجل اذا تساوت المهمات.

فالواجبات والخطورات الشرعية يخاطب بهما الرجل والمرأة. والثواب والعقاب متساو في الجزاء اذا تساوت الأعمال.

ومن هنا ابتداء تحرر المرأة.

فهي كالرجل في الكرامة وهي كالرجل في حقها في الحياة. وهي مثله في الحرية. وهي مثله في المسؤولية.

ولن أذهب في تفصيل معالم التحرير الذي قام به الاسلام للمرأة؛ ولكن حسبي أن أقول : انها انسان مكلف كالرجل سواء بسواء وذلك هو الفرق الذي تفوق به الدين الحنيف عن غيره من الديانات والحضارات.

حرر المرأة من الجاهلية العربية وحررها من الوضع الذي وضعتها فيه خرافة الخطيئة الأصلية فأصبحت انسانا كالناس لها ما لهم وعليها ما عليهم وذلك هو الحق المبين.

\*\*\*\*\*

## المرأة المسلمة (\*)

الاستاذ محمد حسن الوزاني

.... ومما يدل على عناية الإسلام بالمرأة الحقوق التي فرضها الله لها والتي تجعل منها امرأة راقية كاملة والتي تغطيها عليها نسوة الأمم المتعدنة الحديثة. هذه الحقوق هي التي أشار إليها الرسول في خطبة الوداع - وهي لنا بمثابة دستور عام - لما أوصى المسلمين خيرا بالنساء. ومن الخير أن نضمن للمرأة حقوقها الشرعية ونكفل لها حقها في العلم الذي بدونه لا تكون مسلمة كاملة عارفة بحق الله وحق نفسها وحق ملتها (1).

ولا نجد في الاسلام ولا عند الشارع ما يصد المرأة عن طلب العلم، بل نجد التصريح بوجوب تعليمها كما ذكرنا آنفا سواء في ذلك الحرائر والإماء : قال رسول الله : « أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » في هذا الحديث الشريف يتجلى بوضوح سمو الروح الاسلامية، ومنه تفيض نبالة العاطفة المحمدية، فالرسول يرغب المسلم في تحرير الولائد من ذل الجهل وذلك بحسن التعليم والتأديب، كما يرغبه في إعتاقهن من الوجهة الاجتماعية بتمليكهن من أنفسهن واتخاذهن أزواجا.

(\*) فصل من كتاب : الاسلام والمجتمع والمدنية، وهو بحث كتبه المرحوم محمد حسن الوزاني في المنفى. ط، مؤسسة محمد حسن الوزاني، 1987.



وللمرأة المسلمة خير قدوة في بعض نساء الرسول. فقد كان بعضهن يكتبن كحفصة وأم كلثوم. ومكان عائشة في العلم معروف حتى إن الرسول قال : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » هذا دليل صريح على أن الرسول جعل المرأة شريكة الرجل في العلم كما هي شريكته في الحياة الاجتماعية. فليس لها أن تتعلم العلم فحسب، بل لها كذلك أن تكون معلمة الرجل ومهذبة عقله بالعلوم والمعارف. ولا ينبغي للرجل الذي سماه الله قَوَّاماً على المرأة أن يجد غضاضة في التلمذة لها في كل ما تحسنه، فالعلم مشاع بين الرجل والمرأة، فعلى العالم أن يعلم الجاهل وعلى الجاهل أن يأخذ من العالم، وذلك بصرف النظر عن الجنس والسن. وفي الحديث : لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه. « من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار »، « ما أتى الله عالما علما إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه » إنما بُعِثْتُ معلِّماً. وقال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾.

فهذا القرآن وهذا الحديث كلاهما يأمر العالم ببذل علمه للجاهل والجاهل بالتعلم من العالم. ولا نجد في كلام الله ولا في حديث رسول الله ما يفهم منه تخصيص الرجال بذلك دون النساء. فهم جميعا شركاء في الواجب وميثاق الله. ومثال عائشة زوجة الرسول خير مصداق لهذا. فقد أشار الرسول بالأخذ عنها كما تقدم، ومكانتها في كثرة رواية الحديث هي بعد أبي هريرة. وقد كان لها بين الصحابة منزلة عالية يستشيرونها في مسائل دينية وقضائية.

والشرع يطلب من الرجل أن يعلم زوجته الضروري من العلم. قال حجة الاسلام أبو حامد الغزالي : على الزوج أن يُعَلِّمَ زوجته أحكام الصلاة وما يقضي منها في الحيض وما لا يقضي، فإنه أمر بأن يقيها النار بقوله تعالى : «قُتُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا». فعليه أن يلقتها اعتقاد أهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها ويخوفها في الله إن تساهلت في أمر الدين ويعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج إليه... فإن كان الرجل قائما بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء، وإن قصر علم الرجل ولكن ناب في السؤال فليس لها الخروج، فإن لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصى الرجل بمنعها. ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها فليس لها أن تخرج إلى مجلس ذكر ولا إلى تعلم فضل إلا برضاه. ومهما أهملت المرأة حكما من الأحكام ولم يعلمها الرجل خرج الرجل معها وشاركها في الاثم.

يُستفاد من هذا أنه على المرأة أن تتعلم الضروري من علوم الدين مثل الرجل، وإن واجبا على الزوج أن يعلم زوجته هذه الحصّة اللازمة من العلم. فإذا قصر الرجل فلها بل عليها أن تطلب العلم الواجب في الخارج. ويعد من العصيان حيلولة الرجل دون امرأته وما يلزمها من العرفان. وسواء أخذت علمها الضروري عن زوجها أو عن غيره فليس لها أن تخرج لأجل العلم الكمال إلا بإذنه ورضاه، وهو أمر معقول. وخلاصة القول أن المرأة مطالبة شرعا بالضروري من العلم مثل الرجل. أما المعارف الكمالية فلها أن ترغب عنها مثل الرجل ولها أن ترغب فيها فتلقنها خارج البيت أي في مجالس العلم وهي المدارس لكن بوافق الزوج الذي هو القيم

عليها. وليس في هذا الشرط المعقول ما يجعله من الموانع التي لا تغلب. وما أشبه هذه المسألة بموقف الأولاد من الوالدين. وفي بيان هذا يقول الغزالي : وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح أو نافلة إلا بإذنهما. والمبادرة إلى الحج الذي هو فرض الاسلام نفل لأنه على التأخير. والخروج لطلب العلم نفل إلا إذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الاسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين. إن « رضى الوالدين حتم » كما يقول الغزالي ولكن من غير إطلاق. والتقيد بإذن الوالدين لا يمنع حاجا من حجه ولا متعلما من علمه، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. كما أن شرط الاذن من الزوج لا يصد الزوجة عن تعلم الفضل والكماليات. إن الشرع يجعل من حقوق الأبناء أن يؤدبهم أبوهم فيحسن تأديبهم. قال رسول الله : « من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ». وليس في هذا الحديث الشريف ما يعرض هذا الحق للبنين دون البنات. فعبرة الولد تشمل الذكور والأنثى. وإذا عملنا بالحديث القائل : « سووا بين أولادكم في العطية »، وكذلك لقوله عليه السلام : « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها » بذلنا العلم للبنين وللبنات على السواء، لأن حقهم علينا أكد من كل حق إذ هم أمس رحما بنا، وهم « ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة وسمااء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة » (الأحنف بن قيس)...

### لماذا يجب تعليم المرأة المغربية ؟

- 1- تعليم المرأة واجب في الشريعة الاسلامية السمحة كما تقدم. فالمرأة مطالبة شرعا مثل الرجل بتعلم الضروري من علوم الدين.

قال تعالى : ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾، والتفقه يشمل المسلم ذكراً وأنثى ويقتضي البصارة بعلوم العقائد والعبادات والأحكام وعلوم اللسان التي هي الأداة لذلك وبها تدرك معاني القرآن الكريم والحديث الشريف والنصوص الشرعية عامة». فتقصير المرأة في التفقه في دينها عصيان لأوامر الله ومتلفة للشريعة التي حياتها بمعرفتها من المسلمين رجالاً ونساء. وبديهي أن كثيراً من معالم الدين لم تدرس بيننا إلا لأننا غدونا مع الجهل لا نتشبت من الاسلام إلا بالاسم. وما أكثر الأعمال التي نظنها من الاسلام وهو منها براء! وما أجدرنا بالرحمة! ولكن الله لا يرحم من لا يرحم نفسه ولا يعمل ما به يستحق الرأفة.

2 - نهضة الأمة برجالها ونسائها لا بفريق من أعضائها دون فريق. فكل نهضة تقوم على الرجل دون المرأة إنما هي نصف نهضة. وإنما لتكون ناقصة بئراً مختلفة عقيمة بقدر ما يكون في الأمة من نساء جاهلات. فالرقي العام التي تنشده البلاد في طور النهضة، وتسعى له العناصر الحية النيرة من أبناء الأمة، وتتطلبه حياة المجتمع الجديدة لا يدرك حقاً ولا يتيسر كاملاً إلا إذا سار رقي البنات جنباً لجنب مع رقي البنين. ولا رقي لهم جميعاً إلا بالعلم الصحيح الذي يناسب كل فريق من ناشئة الأمة. فالعلم يجب أن يكون رائد المرأة والرجل معاً في سير النهضة المغربية، نداء النهضة التي نريد أن تصبح مثال الرشيد والتوفيق والكمال. وفي المثل : الجهل مطية من ركبها ذل، ومن صاحبها ضل.

3 - تربية الأولاد منوطة بالنساء. والتربية الرشيدة الفاضلة مسألة عسيرة المنال إلا على العارفات من الأمهات. ولا سبيل إلى

ادراك أسرارها عن طريق الفطرة والالهام والعادة مجردا. وبعبارة فالمرأة الجاهلة ليس من شأنها أن تتوفق في تربية الأولاد تربية ترضي العقل والدين والمصلحة، لأن التربية هي قبل كل شيء علم وخبرة ودراية. فإذا اعتبرنا المرأة «أم الوطن» - وهي كذلك بصفة مصدر النسل والثمرة. وحاضنة الأولاد زمن تربيتهم، وقيمة البيت - أدركنا أهمية الغاية بتعليمها وفظاعة الجرم الذي نقترفه بتركها مهمة لا علم ينير عقلها ويهديها، ولا دراية تهذب نفسها وتعليها، ولا سلاح يسندها في القيام بوظيفتها ويقويها. فالمرأة إذا صلحت بالعلم والتهديب صلح الأبناء الذين هم عمدة الأمة في مستقبلها، وإذا أفسدها الجهل ساءت أحوال النشء وقامت الأمة في ضلال وضعف وفوضى.

4 - حسن مستقبل الأسرة مقيد بصلاح جميع أعضائها. والأم التي تسمى عادة ربة البيت ومملكة المنزل هي الركن الثاني الذي تشاد عليه الأسرة. فجهل الأم التي تلك مكانتها وذلك شأنها شر فساد تتضرر منه العائلة. وبما أن العائلة الجديدة بهذا الاسم عبارة عن جماعة محكمة الروابط متراسة الأجزاء وأن لكل من أعضائها حقوقا وواجبات، ففساد الأم بالجهل له تأثير سيء ظاهر أو خفي في صفة الروابط العائلية وكيفية أداء تلك الحقوق والواجبات بين الأعضاء. وإذا سلمنا أن كل عائلة إنما هي خلية في عميرة الأمة، وحلقة من سلسلتها المحكمة شخصنا الداء العضال الذي تصاب به الجماعة من جراء جهل النساء، وأيقنا بعظم المسؤولية التي تثقل كواهلنا بسبب ما نرتكبه غيا وجمودا من التقصير الشنيع في تعليمهن وتهذيبهن. فصلاح المجموع بصلاح القطعة وهي العائلة،



وصلاح العائلة إنما هو بالعلم الذي يعم جميع أفرادها : الأب والأم والأولاد ذكورا وإناثا. فإذا عرى داء الجهل أحد هذه الأقانيم العائلية الثلاثة وهو الأم تردت العائلة في هلكة هلكاء وساءت مصيرا.

وحسن مصير الأسرة بانتظام سيرها. فلكل عضو منها وظيفته الخاص له ما يناسبه من الحقوق والواجبات. والمصلحة هي في أداء كل وظيف على أكمل صورة. وكيف يستطيع ذلك ناقص العقل قصير الباع وهو كل جاهل ذكرا كان أو أنثى؟ وبإحكام النظام في العائلة هو في إحلال كل عضو في المحل الخلق به : فالأب بصفته الرئيس له السلطة والسيطرة على الجميع. والأم تابعة له وهو قيم عليها من الوجهة القانونية الشرعية. لكنها شريكته في الحياة والولادة، وهي وإياه سواء من الوجهة المعنوية. فسلطة الزوج تزي بشأن المرأة لأنها سلطة ناشئة عن المسؤولية وليست قائمة على مجرد التسلط والاذلال. فلكل منهما منزلته ولكل منهما حرمة ولكل منهما مجال عمله. وازدياد الأولاد يزيد روابطهما إحكاما وتثبيتا. وخير العائلة في حسن تناسق وضعيتي الأبوين. وهذا التناسق إنما يكون مضمونا في العائلة التي أفرادها عارفون وعالمون بما لهم وعليهم من حق وواجب.

5 - مكافحة الأمية بين قومنا أول واجب على الأمة شعبا ودولة. والأمية تفتك بالنساء أكثر من فتكها بالرجال، لأنها تحقيق بجنس ضعيف حسا ومعنى وويلها في الأمة يشتد على قدر ما يوجد فيها من نسوة جاهلات وهن جميع النسوة تقريبا. وإن أكبر ما يشين المرأة ولو كانت «ملكة جمال» لهو الجهل<sup>(2)</sup> فإليه يعزى كثير من



فساد التربية واختلال كثير من شؤون العائلة. والمسؤول عن هذه الأسواء كلها الرجل قبل المرأة لأنه قوام عليها وله عليها السلطة والنفوذ. ورب قائل: "تعرض علينا بوجوب تعليم الرجال قبل النساء ظنا منه أن المصلحة العامة تتطلب تقديم البنين على البنات في العلم والتدريب. وهذا من حماقة والخور، وليس هو من المصلحة العامة في شيء".

إن الأمة تتركب من رجال ونساء. فالاهتمام بجنس دون الآخر تفريط عظيم وتقصير فظيع. والأمة لا ترقى إلا برقي جميع أعضائها رجالا ونساء، وصلاح الأولاد تابع لصلاح الأمهات، لأنهن الحاملات المرضعات المربيات وهن المدرسة الأولى التي يتلقى فيها الأطفال مبادئ التربية الأولى. وهن الأقطاب اللائي تدور حولهن الحياة العائلية، وهن في البيئة المنزلية السماء الممطرة والشمس المشرقة والأرض الخصبة. فالمرأة غيث ونور وثمر. إن علمنا هذا حق العلم اقتنعنا بوجوب تعليم المرأة لأنها أساس تربية الأبناء والنهوض بالعائلة من خفض الوهاد وضمان مستقبل زاهر للبلاد.

أعددت شعبا طيب الأعراق  
شغلت مآثرهم مدى الأفاق  
في الدور بين مخادع وطباق  
دولا وهن على الجمود بواق  
فالشر في التقبيد والاطلاق  
(حافظ).

الأم مدرسة إذا أعددتها  
الأم أساتذة الأساتذة الأولى  
ليست نساءكم أثاثا يقتنى  
تتشكل الأزمان في أدوارها  
فتوسطوا في الحاليتين وأنصِفوا

الجهل لا تحصى عليه جماعة  
وإذا النساء نشأن في أمية  
ليس اليتيم من انتهى أبواه من  
فأصاب بالدنيا الحكيمه منهما  
إن اليتيم هو الذي تلقى له  
كيف الحياة على يدَي عزيلا؟  
رضع الرجالُ جهالةً وخمولا  
هم الحياة وخلفاءه ذليلا  
وبحسن تربية الزمان بديلا  
أما تخلت أو أبا مشغولا

(شوقي).

6 - حُسن الأسوة بالملك في تعليم الفتاة المغربية واجب لا محيد عنه. فإذا كانت مشكلة تعليم المرأة المسلمة قد أثارت في المشرق زوابع من الكلام وأسالت جداول من المداد وشغلت حقا من الزمان. فإنها ما كادت تظهر في فجر نهضتنا لحيز الوجود وتفرض نفسها على حملة الأقلام من المغاربة المفكرين والمصلحين، وتروج ذكرها في الصحف والأندية والمجالس حتى هب جلالة الملك - أعزه الله - فأعلن في صراحة واعتزام بين العلماء وطلبة العلم بالقرويين : «هناك أمر آخر نهتم به كل الاهتمام وهو تعليم بناتنا وتثقيفهن لينشأن على سنن الهدى ويهذبن بما ينبغي حتى يتصفن بما يتعين أن تتصف به المرأة المسلمة حتى تكون على بينة من الواجب عليها لله ولزوجها وبنيتها وبيتها».

بهذا التصريح أنهى جلالة الملك موقفه الحاسم إزاء مشكلة تعليم المرأة المغربية المسلمة وصدع في الأمة بوجوب ترقية الفتاة بالعلم الصحيح والتربية الفاضلة كي تصبح أهلا لوظائفها في العائلة والمجتمع. تكلم جلالة الملك في وسط العلماء بالقرويين وفي هذا من المغزى ما لم يفت أحدا من أبناء الأمة ولا غرب عن فطنة هؤلاء

العلماء أنفسهم الذين هم أعرف الناس بمسألة الشريعة والمرأة الذين يلزم أن يكونوا أكثر الناس خفوا إلى تعليم البنات.

ما كدنا نسمع جلالته الشريفة يجهر بالواجب الآكد علينا للمرأة في مجال نهضتنا العامة حتى رددنا مع المثل : قطعت جهيزة قول كل خطيب! نعم بذلك القول أراد جلالة الملك أن يوفر على الأمة خصومة قلمية عريضة كالتى قامت في المشرق يوم وضعت مسألة المرأة على البساط أمام الرأي العام، لأن خصومة كهذه يجب أن لا تستفحل وتستحكم بيننا فتشغلنا بالكلام دون العمل، وتؤدي بنا إلى طول الجدل الذي لا نظفر معه بنتيجة إلا بعد أن تفنى أزمان وتضيع أعمار ونزداد شقاء على شقاء وضغنا على إبالة.

الخصومة في شأن تعليم المرأة المغربية قد تطورت بعد أن قال فيها الملك كلمته التي هي فصل الخطاب في الموضوع. فلم تبق خصومة تموج فيها الأهواء، وتتضارب في شأنها الآراء وتتعارض في مجالها الخصوم والأنصار. بل انقلبت سريعا معركة في سبيل تعليم المرأة المغربية المسلمة تخوض معمعتها الأمة لا يشذ عنها أحد بقول ولا عمل. فكل ما يقال ويكتب ويعمل يجب أن يكون وسيلة وسلاحا في يد المجاهدين المتظافرين على غزو وجهالة المرأة المستميتين حتى يربحوا المعركة ويفوزوا فوزا مبينا.

قال الملك الامام كلمته النهائية فأصبحت كمّا لكل خصم معاند ونبراسا لكل من ينهج سواء السبيل. ولم يتكلم جلالته إلا بعد أن عمل هو نفسه في الميدان ما رأى أن يكون خيرا وقدوة للأمة جمعا (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد).

لا نريد بعد أن نطق الملك بالحق وأفصح عما فيه صالح الأمة أن يبقى بيننا صوت مخالف ينازع في تعليم المرأة بل نريد أن تتحد الآراء كلها وتتبارى الهمم جميعها كي تزاح غشاوة الجهل المقيت عن عقول بنات هذا الجيل الذي هو جند النهضة وعمدة المستقبل. وفي المثال الذي سار عليه جلالة الملك في تعليم كريماته الجليلات خير مبدد لمخاوف المضطربين، وهواجس المحافظين، ووساوس المتزمتين. فلو رأى جلالته أي مانع ديني أو آفة خلقية في تعليم بناته لأحجم عن ذلك بتاتا، ولكن حاشا الدين أن يرضى للمرأة المسلمة جهلها، وحاشا الملك أن يعمل ما لا يوافق الدين الحنيف ولا يطابق المصلحة. ومتى كفل الجهل للمرأة الصون والعفاف، والحصانة لا يضمنها الجهل حتما بعهد الله وميثاقه. وقد يتوفر هذا في الجاهلة لكن العالمة أجدر بأن تعرف ما لها وما عليها وتميز الخبيث من الطيب والفضيلة من الرذيلة. وقد حمدنا كل ما عمل وقال جلالة الملك في شأن ترقية المرأة بالعلم والتربية، وتفاءلنا خيرا بتزعمه هذه الحركة الجلييلة التي سار فيها كثير من قومنا خطوات مشكورة والتي نأمل أن ينضم الناس إليها أفواجا أفواجا أسوة بصاحب العرش العظيم. وقديما قالوا : الناس على دين ملوكهم. فواجب على الأمة أن تهب من غفلتها وتحذو في تعليم بناتها مثال الأميرات الجليلات، وتأتمر في إنجاز هذا الإصلاح الضروري الخطير بالأمر المولوي. وإن جلالة الملك لحارص حرص الرعية على أن يكون تعليم الفتاة المغربية موافقا لتعاليم الاسلام. لذلك أمر جلالته بأن يوضع برنامج التعليم تحت إشرافه لئلا يلحقه شطط أو تحريف ليضمن رقي الأمة من كل الحيثيات ويحفظ من الإهمال كما يحفظ من الآفات، ويتسنى لها أن تسابق الأمم من غير خروج على مبدأ

دينها الأقوم، تتعلم ما ينفعها ويحييها وتجنب ما يؤخرها. مقصدها العلم الحقيقي النافع، وراندها الرشد البين، لا تحيد عن طريق الهدى ولا تلوي على مهاوي الردى وديننا الزكي الطاهر يسر لا عسر ومنهجه القويم الظاهر سهل لا قسر. أفبعد هذا يبقى أي مجال للتردد لحظة في اقتناعنا بالآثر واستنهاج السبيل والاندراج في الحركة؟ لينهض العلباء الذين أرادهم الله هداة للملة وليكونوا في هذا العمل الصالح خير من يؤازر جهود أمير المؤمنين ويهدي هديه في الدعوة إلى العلم ونخدم بالمرأة إلى الأمام.

### هل يراد بتعليم المرأة تحريرها ؟

إن المرأة المسلمة ليست رقيقاً فتحتاج إلى إعناق وتحرير. قد يتوهم بعض الأجانب أن مركز المرأة في الإسلام ينبني على القهر والاستبداد والاستعباد، وأن ليس لها من الحق إلا الرضوخ والاستسلام لارادة الرجل. ومما يدفعهم إلى هذا الظن أن حظ المرأة في الارث نصف حظ الرجل وأن الزواج بأكثر من واحدة مباح، وأن الطلاق بيد الزوج دون الزوجة، وأن للزوج سيطرة بصفته قواماً على زوجته. فكل هذا - في ظن الأجانب - يؤدي إلى هضم حقوق المرأة وجعلها في منزلة رضيعة بالنسبة للرجل. وقد فات أصحاب هذا الظن ما في تلك المسائل من حكمة ومصلحة ليس هنا مجال تبليانها. والحقيقة أن الإسلام خول المرأة من الحقوق ما يكاد يماثل حقوق الرجل، وأنه لم يخص الرجل بشيء دون المرأة إلا راعياً لمصلحة العائلة والمجتمع، على أن الشريعة لم تترك المرأة أمام الرجل عزلاء من كل سدرج، بل عملت لصيانة حقوقها بما فرضته من الشروط والقيود التي تعد ضمانات كافية. أما دعوى استرقاق



المرأة فباطلة، إذ ان الشرع لا يبيح أن يسترق مسلم أصلاً، ثم إنه لا يبيح بعد ذلك إلا استرقاق اسرى حرب شرعية لم تقم إلا على إعلاء كلمة الله تعالى. مراعى فيها أن تكون مسبوقة باعتداء غير المسلمين عليهم. أما استرقاق غير المحاربين ممن لا كتاب لهم ولا شُبْهة كَعَبْدَةِ الأوثان فقال مالك والشافعي وأحمد في إحدى رواياته إن ذلك لا يجوز مطلقاً<sup>(3)</sup> وإني لأستحيي أن أستعبد إنساناً يقول ربي الله. (علي بن أبي طالب).

أما ما آل إليه أمر المرأة المسلمة من الجهل والانزواء فلا يقره الاسلام السمح. وبصفة عامة يجب أن لا يستدل على الاسلام بما عليه المسلمون اليوم في كثير من أحوالهم. ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. فإذا كان لابد من التحرر فلا يكون هذا باسم المدنية الحديثة ولكن باسم الاسلام، وذلك بتطبيق تعاليمه السامية الخاصة بالنساء. وإنها لتضمن لهن من الحقوق ما لا تتمتع به نسوة كثيرة من الأمم المتحضرة اليوم، ومن الحرية ما يناسبهن في الحياة الاجتماعية الراقية. والحجاب الشرعي لا يحول بين المرأة المسلمة وما تبتغيه من رقي وصلاح. كما أن مجرد السفور لا يضمن للمرأة رفعة ولا يجلب لها منفعة، فقيمة المرأة إنما هي بكمال عقلها وحسن خلقها. وكمال العقل بالعلم الصحيح وحسن الخلق بالتربية الفاضلة. وكلاهما في متناول المرأة المتحجبة والمرأة السافرة معاً. فمسألة المرأة التي نعى بها ليست مسألة حجاب أو سفور، ولكن مسألة جهل أو علم. فالمرأة المتعلمة لا يضرها الحجاب، والمرأة السافرة إن بقيت جاهلة لا يجديها السفور نفعا ولا فضلاً، وخير منها مهذبة العقل والنفس ولو ظلت من وراء



حجاب. وتعجبني في الموضوع كلمة حكيمة قالها أحد أفذاذ العلم والاصلاح من المسلمين في هذا العصر، وهي : إذا طالبنا بوجوب تحرير المرأة فإنما نطالب بتحريرها من رق الجهل وسلطان الغباوة فلا تعود تستسلم للخرافات وتنقاد لسيء العادات. وليس المراد بتحريرها أن تنزع عنها برقع الحياء والحشمة وتركب رأسها فتتصرف في شؤونها حسبما تشاء وتريد. ولم تخلق المرأة مستعبدة لمثل تلك الحرية وهذا التصرف، ولا يمكن أن تصادف وسطا يلئم أن تعيش فيه هذه المعيشة المحفوفة بالأسواء والمخاطرة...

### مستقبل الفتاة المغربية :

يجب علينا أن لا نخطئ في تعليم الفتاة وتهذيبها خبط عشواء. بل يلزمنا أن نسير في هذا كله على بصيرة وهدى.

ونحن لا نريد في بيان ما يكفل المصلحة الراهنة ويضمن مستقبل هذا الجيل أن نتوسع كثيرا ونرمي بالنظر إلى أبعد الأفاق. لهذا سنقتصر على ما نراه الآن ممكنا وضروريا.

قلنا إن جلالة الملك يشرف على وضع برنامج صالح لتعليم البنات المسلمات، لكن رغبة الأمة هي أن يتولى جلالته الاشراف دائما على مدارس البنات. ولكن الاشراف الملكي المباشر لا يمكن باستمرار. ولكي تراقب تلك المدارس عن كثب ينبغي أن يناط ذلك برجال يستوفون الشروط اللازمة ويستحقون ثقة جلالة الملك. وفي هذه المراقبة خير ضمان لتنفيذ البرنامج الشريف الخاص

بتعليم الفتيات ولاطمئنان الآباء على حياتهن المدرسية وتعليمهن تعليماً بريئاً نافعاً. ومما يحسن التنبيه إليه تمكين الآباء من المشاركة في الاشراف على سير التعليم بالمدارس النسوية، وذلك في صورة لجنة استشارية منتدبة لذلك. ففي هذا أكبر مشجع للناس على إدخال بناتهم للمدارس والمضي في ترقيتهن بالتعليم والتهذيب.

\*\*\*\*\*

---

الهوامش :

- (1) قال أنس : ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث : « خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي ».
- (2) « إن الحكمة تزيد الشريف شرفاً وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك ».
- (3) عبد العزيز جاويشي : الإسلام دين الفطرة.

## تعليم البنات(\*)

الاستاذ محمد الحجوي

ان فكري في هذه المسألة مشهور من لدن جهرت به سنة 1341 في محاضرتي بالمؤتمر الذي انعقد بالرباط وهو أن يعلمن تعليما عربيا اسلاميا على نحو تعليم السلف الصالح نساءهم من غير أن يؤدي ذلك إلى السفور ورفع الحجاب الذي يأباه الدين والقرآن ومكارم الأخلاق وحفظ النسل لأنه مثار الشهوة مضاد للحياء والحشمة.

أما ادلته فممنها أني لم أقف في الكتاب والسنة على دليل يمنع المرأة من العلم أي علم كان أو يوقفها عند حد محدود في التعليم العربي الديني بل الأصوليون صرحوا بأن المرأة يجوز أن تصل إلى مرتبة الاجتهاد في علوم القرآن والسنة وما يوصل إليهما من العلوم الاسلامية حتى تكون كمالك والشافعي وأضرابهما ومنها أن الاسلام ثقافة وعلم وتهذيب أخلاق فكيف يتصور عاقل أن يمنع من تعلم المرأة ويترك نصف المتدينين به خلوا من الثقافة والفضيلة وفي الصحيح ثلاثة يوتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، والعبد المملوك اذا أدى حق الله تعالى وحق مواليه، ورجل كانت له أمة فأدبها

(\*) نص محاضرة للأستاذ محمد الحجوي. مجلة المغرب - السنة الرابعة - جمادى الثانية

1354 هـ موافق غشت/شتنبر 1935.

وأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها فله اجران » فإذا كان الاسلام يندبنا إلى تعليم الاماء حفظا لمجتمعنا من مفسدة جهلهم فما ظنك بتعليم الحرائر ومنها قوله عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم رواه ابن ماجة والبيهقي وابن عدي وغيرهما قال العلقمي جمعت له خمسين طريقا في جزء خاص وحكمت بصحته لغيره وقال العراقي صحح بعض الأئمة طريقه وقد الحق بعض المصنفين بآخر الحديث ومسلمة وليس لها ذكر في شيء من طريقه. وهذه الزيادة غير محتاج إليها فكل حكم ورد في الشريعة لمسلم أو مؤمن إلا والمسلمات والمؤمنات داخلات فيه اما بطريق اللفظ أو القياس لأن النساء شقائق الرجال في الأحكام الا ما ورد فيه استثناء كاحكام الحيض والنفاس ومنها أن الأمة مجمعة على أن لا يجوز لامرئ مسلم أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه وان الله لا يعبد الا بالعلم والمرأة داخلة في ذلك بلاشك، ويجب على وليها تعليمها فإن فرط في ذلك فعلى الزوج تعليمها وهذا من ضروريات الفقه والدين، فهذا الدليل والذي قبله ينتجان وجوب تعليمها ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجعل لهن يوما مخصوصا لتعليمهن وكانت تأتيه نسوة الأنصار يسألنه عن الدين وهو في جمع الصحابة من غير أن ينكر عليهن كما كن يأتينه في منزله الشريف لذلك وكان إذا خطب الرجال ووعظهم تقدم للنساء فخطبهن ووعظهن وعلمهن، وهذا كله معلوم في الصحاح وكتب السير لا يمتري فيه مسلم وكذلك كن يأتين مجلس عمر وابن مسعود وغيرهما يسألن ويتعلمن بل ينتقدن ويتحاججن بكل صراحة في أمور دينهن ودنياهن لا منكر ولا مستقبح، كالمرأة التي ردت على عمر حين أمر أن يقتصر في الأصدقة على ما كان النبي

صلى الله عليه وسلم يقتصر عليه في صداق أزواجه وبناته بقولها أتبع قولك أو قول الله : وأتيتم إحداهن قنطارا، فرجع لقولها، والمرأة التي قالت لابن مسعود لما روى حديث لعن الله الواشمة والمستوشمة ان زوجتك تفعل ذلك فقال لها لو كانت تفعل ذلك ما جامعتنا اذهبي إليها وانظري والحديث في أصح الصحيح وقد قال تعالى إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الآية وقال إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك الآية إلى غير ذلك، فما من منقبة سبق إليها الرجال كالهجرة والبيعة والجهاد والنصرة في الدين واعلاء شأنه الا وكان للنساء حظهن في ذلك، ويظهر من لفظ القرآن الكريم انهن تطوعن بذلك وتسابقن إليه اختيارا منهن للفضيلة والمشاركة للرجل في الخير، فليست خديجة عليها السلام الا كآبي بكر في سبقها للاسلام وتقديم مالها ونفسها لله تعالى، وكم فيهن من مهاجرات للحبشة كأُم سلمة وأُم حبيبة، وقد حضر لبيعة العقبة الثانية بضعة وسبعون رجلا وامرأتان والكل بايع علي الذب عن الاسلام وحمايته من اعدائه ونشر دعوته وإحدى المبايعات أُم عمارة الانصارية النجارية ليلة العقبة وشاهدت مشاهد معه صلى الله عليه وسلم فجرحت في غزوة أحد وشهدت اليمامة بعده عليه السلام فجرحت اثنتا عشرة جراحة وقطعت يدها وقتل ولدها، وكم فيهن ممن كن يحضرن الجهاد يداوين المرضى ويضمدن الجرحى كما فعلت فاطمة بنت رسول الله بأبيها في غزوة أحد، وكما كانت أُم عطية وغيرها يفعلن في سائر المغازي وكنا يغزون حتى في البحر كما وقع لأُم حرام بنت ملحان التي غزت قبرص مع زوجها عبادة بن الصامت وماتت هناك أو ببירות عند أوبنتها وهي التي طلبت النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو لها بأن تكون من أول من يغزو في البحر

كما في البخاري، فقبل الحجاب كن يداوين الجرحى ويفزون وهن غير محجبات وبعده كن يفعلن ذلك محجبات ولا تدل هذه الأعمال على رفع الحجاب أصلاً، وكن يحفظن القرآن وينشرن الدين وهل كان اسلام عمر الذي هو من أعظم أركان هيكل الاسلام الا على يد أخته التي وجدها تتعلم القرآن خفية في منزلها هي وزوجها سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل والنبي إذ ذاك مختف في دار الأرقم بن الأرقم وكم منهن من استشهدت في سبيل الله كسمية والددة عمار بن ياسر التي قتلها أبو جهل بعدما عذبت عذاباً شديداً في ذات الله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر عليها وهي تعذب هي وزوجها بمكة فيقول : « صبرا آل ياسر ». فالمرأة أول شهيد في الاسلام.

ولما ظهر من النسوة الصحابيات ما ظهر من النصرة والنضال عن الدين ورفع مناره حررهن الاسلام مما كن فيه من الذل والهوان واعتبرهن عضواً عاملاً في المجتمع البشري واعترف لهن بحقوق عظيمة لم تتمتع بها المرأة قبله فقد اعتبر الاسلام المرأة منبت الانسان فمنها تتكون العائلة وهي قرارة النطفة المكيئة المؤتمنة على استياداع أمانتها وهي بذرة العائلة التي هي بذرة الأمة ومربية الأولاد ومدبرة البيت وسائسه ورئيسة العيال ومصلحة شؤون المنزل والقيمة على الدار والحافظة الأمانة والكاتمة للسرى والمسلية عن الأكدار والمريحة للزوج من كل ما يعانيه من مشاق عراك الحياة فالزوج يعارك في معترك الحياة خارج البيت والمرأة توطىء له الأكفاف وتهيئ له ما ينجم به لاستعادة قواه والاستعداد للميدان فالشريعة قسمت لهما الحياة وخصصت الرجل للأعمال الشاقة العظيمة وملاقات الأخطار والدواهي وخصصت



الجنس اللطيف لكل لطيف يستدعي شفقة ورقة فأعطى لكل واحد من النوعين ما يليق به على مقتضى الحكمة والخلقة و الفطرة الثابتة التي لا تتحول وناموس الكون المشاهد والشرعية لا تكون ضد الفطرة.

ولما كان المسلمون متمسكين بنظامهم الاسلامي موفين المرأة حقوقها في التعليم وغيره سائرین على نهج القرآن والسنة لا على العوائد والمألوفات كانت المرأة المسلمة أرقى نساء أهل الأرض ومنها تكونت تلك الأمة الماجدة الحافلة التاريخ والتي بشرت سكان المعمور بكل المكارم.

وأكثر من رأيته ينتقد النظام الإسلامي ليس هو المرأة، فالمرأة المسلمة قابلة لنظامها حاملة مولاها عليه وشاكرة وما سمعنا منها تأففا ولا شكوى منذ ثلاثة عشر قرنا مضت وقد بلغ الاسلام فيها شأوا في التقدم والمدنية لم تبلغه دولة من الدول بعد تمدنا أدبيا أخلاقيا حقوقيا ونظاميا، وكان للمرأة حرية النضال عن حقوقها زمن نزول الوحي وتشريع الحجاب وما بلغنا ان امرأة انتقدت الحجاب أو تقززت منه أو عدته مهينا أو شينا لجنسها بل قبلته بطيب خاطر وقلب رحب وقد كان عمر يريد أن يزداد فيه تشديد عليهن بعدم بروزهن من البيوت كليا ففاضلت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم إن الله أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن كما في أصح الصحيح، ومما يدل على حریتهن في النضال والمراجعة قوله تعالى : «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما»

وغيرها من الآيات والأحاديث، قال ابن عبد الله في الاستيعاب جاءت أسماء بنت يزيد بن السكن إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إني رسول من ورائي من جملة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي إن الله بعثك إلى الرجال والنساء فأمنّا بك واتبعناك ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم وإن الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد وإذا خرجوا إلى الجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت بوجهه إلى أصحابه فقال هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه فقالوا بلى يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم انصرفي يا أسماء واعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال فانصرفت وهي تهلل وتكبر استبشارا بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

نعم الانتقاد إنما وقع من الرجال وأقول مع الأسف ليسوا هم برجال أجانب بل رجال يدعون الاسلام وولدوا في الاسلام ولكن حرموا لذته واشربوا في قلوبهم حب الشهوة فراموا أيشهروا أسماءهم في العالم ولو بشر فرفعوا عقيرتهم بتحرير المرأة جهلا منهم بنظام الاسلام الذي يزعمون أنه دينهم أو عنادا والحال أنهم أرقاء فهم هم أرقاء ما تمتعوا بحرية حقيقية ولا فهموا لها معنى ومع ذلك يزعمون أنهم يدافعون عن تحرير المرأة ومتى كانوا هم أحرارا ومتى كانت المرأة رقيقة في الاسلام بل المرأة قانعة بما قسمه لها الاسلام من الحرية وبما اختارته لها الشريعة من الأحكام،

والحرية المطلقة مذمومة منافية لمكارم الأخلاق والنظام ولا بد لكل حرية من تقييد الدين والنظام والأخلاق ليقع الاعتدال والا كانت فسادا وشرا مستطيرا.

نعم أنا لا أنكر أن المرأة تأخرت في الاسلام بتأخره فأصابها حظها من التأخر أو أكثر من حظها وليس الذنب على الشريعة بل على المسلمين حيث اهملوا تعليم المرأة كأنه منكر من الأمر وفجور، فالمرأة في القرون المتأخرة ليست هي المرأة في زمن زهرة الاسلام وعظمتها.

لقد كانت عائشة أم المؤمنين مفتية الاسلام وراويته في زمنها كما كان بقية أزواجه عليه السلام وكن يقرآن ويكتبن وكن من واحدة من أمهات المؤمنين كان لها مصحف تقرأ فيه كعائشة وحفصة وأم سلمى رضي الله عنهن وقد تعلمن القرآن والكتابة على عهده صلى الله عليه وسلم فحفصة بنت عمر علمتها السفاء بنت عبد الله بن عبد شمس القرشية قال لها النبي صلى الله عليه وسلم علميها رقية النملة كما علمتها الكتابة رواها أبو نعيم وغيره كما في الاصابة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمر مع أزواجه يعلمهن الأدب والعلم ويدل على ذلك قصة حديث أم زرع في الصحيح والشمائل وغيرها، وهكذا كانت سيرة السلف في سمرهم في بيوتهم مع أزواجهم وبناتهم وعيالهم للتعليم والتهديب وبسبب ذلك انتشر العلم في نسوة الإسلام إذ لم يكن لديهم مسارح ولا مقاصف ولا مقاهي ولا محلات التمثيل والصور المتحركة التي يزعم بعض أهل العصر أنها مهذبة سفسطة ومكرا وهي منبع فساد

الأخلاق لتمثيلها أنواع الجرائم والمآثم والغرام والخيانات فهي التي تنبه الغافل وتعلم الجاهل، وما كانت نساء المسلمين إلا كما وصف القرآن محصنات عاملات مؤمنات.

ولقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم اهتمام بتعليم المرأة ففي أصح الصحيح قصة المرأة التي وهبت نفسها للرسول ليتزوجها ولم يردّها فقام رجل وقال زوجنيها يا رسول الله إلى أن قال له زوجناكها بما معك من القرآن وفي رواية ابن عباس أزواجها منك على أن تعلمها أربع أو خمس سور من كتاب الله تعالى.

وقالت عائشة كما في الصحيح نعم النساء نساء الأنصار لم يمتنعن الحياء من التفقه في الدين.

وقد انتشر تعليم المرأة في الاسلام بانتشاره وسرعة امتداده بعد الجهل العظيم فظهر فيه عالمات مقرئات مفتيات راويات شاعرات ماهرات أديبات واعظات مربيات مدرسات، فقد كانت أم سعد بنت سعد بن الربيع الأنصارية مقرئة يقصدها القراء لأخذ كتاب الله روى أبو داود أن داود بن الحصير قال كنت أقرأ عليها مع ابنها أبي موسى وكانت يتيمة في حجر أبي بكر الصديق فقرأت عليها والذين عقدت إيمانكم فقلت لا ولكن والذين عاقدت إيمانكم الحديث، وهذه السفاء بنت عبد الله بن عبد شمس القرشية العدوية من المهاجرات السابقات وعاقلات النسوة كانت تعلم النسوة القراءة والكتابة على العهد النبوي لأنها من أهل مكة الذين لهم اعتناء معلوم بالكتابة وسبقوا إليها لضرورة التجارة التي هي أحوج

المهن إليها بخلاف أهل المدينة الذين كانوا فلاحين. ولقد كان عمر يقدمها في الرأي ويرعاها ويفضلها وربما ولاها شيئاً من أمر السوق قاله ابن سعد وابن عبيد البر وابن حجر وانظر الجزء الرابع من الاصابة والاستيعاب تر بعضاً من تراجم عالمات الصحابييات، وهكذا كان الذي يؤلفون في تواريخ الرجال يخصصون جزءاً للنساء العالمات الأدبيات ومنهم من خصصهن بالتأليف كأبي الفضل أحمد بن طاهر البغدادي صاحب كتاب بلاغات النساء الذي ذكر جملة من خطيبات النساء وشاعراتهن المتوفى سنة 280.

وأذكر لك من التابعيات حفصة بنت سيرين التي روى عنها أصحاب الصحيح كلهم قال اياس بن قرة ما أدركت أحداً أفضله عليها، ورابعة العدوية ومعاذة العدوية وغيرهن.

ولقد نبغ في زمن التابعين ومن بعدهم نسوة كثيرة نبوغاً فائقاً مثل الرجل أو أكثر فكن كعبة علم وأدب ودين وفضل وزهادة ووعظ وإرشاد محجوبات لطلاب العلم والآداب على عهد زهرة الاسلام مثل كريمة بنت محمد المروزية التي كانت تقصد من الآفاق وتشد لها الرجال الرحال ليروا عنها صحيح البخاري وتصحح الطلاب النسخ على نسختها وكان مجلسها بمكة يجمع الطلاب من كل فن تلقى عليهم أنواع المعارف، وفاطمة بنت علي بن المظفر البغدادية التي كانت تلقن النساء رواية صحيح مسلم، وفاطمة بنت محمد بن سعد البغدادية الواعظة مسندة أصبهان، وأم مالك بنت الامام مالك راوية الموطأ، وكريمة بنت عبد الوهاب القرشية مسندة



الشام، وشهدت بنت أبي نصر الدنيوري الكاتبة وغيرهن ممن يضيق بذكرهن مجلد، كل ذلك كان مع الحجاب والوقوف مع آداب الشريعة الغراء.

وان أبا داود الطيالسي وحده روى عن سبعين امرأة، وقد كان بالربض الشرقي من قرطبة أيام بني أمية مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، وهذا الامام ابن حزم الظاهري يقول عن نفسه في كتابه طوق الحمامة: «وهن علمنني العزاء وروينني كثيرا من الأشعار ودربنني في الخط»، وكان في اشبيلية خمسمائة محبرة للنساء.

وعلى كل حال لما كان الاسلام متقدما زاهرا كانت المرأة عالمة كاتبة شاعرة وهي محجبة تبتدىء التعليم خارج المنزل وعندما تحتجب تكمل معلوماتها في منزلها أو تخرج لتلقيه في المساجد محجبة ولما وقع التأخر وقع في الجميع ولكنه كان في النساء أكثر وأظهر، وليس المراد انعدام تعلمها بل قلته فقط، فإننا نرى في أخريات الأيام كان لا يزال بعض النساء عالمات أديبات كالأستاذة الأدبية الشاعرة سارة بنت أحمد بن عثمان الحلبيّة ثم الفاسية المتوفاة بفاس آخر المائة السابعة أول الثامنة لها شعر كثير وأدب وفير ينظر بعضه في الجذوة، وأم هانيء بنت محمد العبدوسي الفاسية الفقيهة المفتية آخر هذا البيت من الفقهاء بفاس توفيت سنة 866 وأختها فاطمة كذلك وغيرهن، فالعلم والفضل والأدب لم ينقطع قط من نساء الاسلام وإنما قل ورق عند تأخره وقلته فيهن من أسباب تأخر الاسلام، ولقد أدركنا فاسا قبل عهد الحماية وفي



جل حوماتها دور لتعليم البنات القرآن والكتابة والقراءة وفيها معلمات صالحات زيادة عن دور تعلم الصنائع اليدوية الرقيقة المتنوعة تعليما ممزوجا بأدب المنزل وكان في كل درب منها عدد ليس بقليل بحيث نقول عن تحقيق أن جل بنات فاس كن يتعلمن الصنائع ويتهذبن وكثير منهن يتعلمن القراءة والكتابة ولا يبقى دون تعلم الا نزر زهيد جدا، وهكذا كانت الحواضر عندنا كسلا والرباط ومراكش وتطوان والصويرة وغيرها من بلدان المغرب الا ما قل والذي حدث على عهد هذه النهضة الأخيرة هو تكثير تلك الدور وتسميتها مدارس وتنظيمها تنظيما يساير الرقي العصري في سائر الأقطار الاسلامية وغيرها.

كان المغاربة أزهد الناس في هذه المدارس التي فتحت للبنات حتى أن إدارة المعارف لحرصها على التعليم فتحت واحدة بفاس سنة 1333 وبقيت فارغة لم يقصدها أحد واضطرت لغلقتها ولاكن لما وقفوا في الأيام الأخيرة منذ سنة 1341 على حسن نوايا الحكومة حين أعربت لهم عما في هذا المشروع من المصالح الحيوية وعدم منافاته للدين الاسلامي في المسامرة التي نشرت من قبل، عند ذلك أقبلوا عليها بتسابق ونشاط فلا تفتح مدرسة الآن إلا وتمتليء آخر الشهر الأول من عمرها حتى بفاس، وقدزادت التلميذات في هذه المدة الوجيزة على ثلاثة آلاف وكل يوم في الزيادة ولم تكن سنة 1341 عندنا الا تلميذات (125)، ففي مدة نحو ثمان سنين تضاعف عددهن خمسا وعشرين مرة، فأقبال المغاربة على تعليم البنات مدهش وهو أعظم من اقبالهم على تعليم البنين بكثير إذ عدد البنين الآن يتجاوز خمسة عشر ألفا فقط والحال أنه بدأ قبل

سنة ثلاثين فعمره ينيف عن اثنين وعشرين سنة مع عموميه في المدن وأكثر القرى بخلاف تعليم البنات فإنه لم يزل في بعض المدن خاصة.

وقد أن الآن أن أشرح ما أومله في تعليم الفتاة المغربية وترقيته وحده الذي ينتهي إليه، فإن تربية البنت وتعليمها ضروري من حيث الدين والاجتماع معا وليس هو بكمالي كما يظن من لم يمعن في المسألة تأملا ونقدا وقد أجمع الرأي العام داخل المغرب وخارجه على أن تربية الأمم هي صلاح الكون أو فساداه ولا سبيل لأمة أن تحل المحل اللائق من الرقي الا بتعليم البنت وتهذيبها وبقدر تعميم رقي البنت الفكري والأخلاقي ترقى الأمة وبقدر نقصان ذلك التعميم تنحط الأمة، لهذا يروى أن بعض مهرة القواد سئل عن أي حصون بلاده أمنع فقال المرأة الصالحة وهذا لعمري حد جامع مانع للمرأة كاف في التنبيه على خطر أمرها ووجوب تعليمها وحجابها وصونها والاعتناء بها وأن العلم أكد حاجة للانسان في حياته بعد القوات وبقدر انتشاره في الأمم تشتد الحاجة إليه في الذكور والاناث معا وهو الغاية التي يسعى إليها كل من يريد السعادتين، إذا كان ذلك فلا يكفي في تعليم البنت القراءة والكتابة على الطراز القديم الصعب القليل الجدوى وحفظ يسير من القرآن أو كله من غير فهم ولا استفادة فكر ولا يكفي تعلم صنعة أو صنائع بدون تهذيب وهذا هو جل ما هو موجود في المدارس الآن (إلا من أراد أن يعلم ابنته شيئا من مبادئ الفرنسية وطلب ذلك) فمدارس البنات الآن مدارس أولية صناعية ولم تصل إلى أن تكون ابتدائية أو تهذيبية وأعظم سبب في ذلك عدم وجود معلمات مغربيات يعرفن

شيئاً من العلم أو التهذيب غير قراءة لفظ القرآن العظيم ولا يحسن شيئاً من العلوم الدينية المفروض علينا تعليمها للبنات عينا ولا حتى قراءة القرآن أو رسمه كما ينبغي وإن هذا لشيء غير مفيد إفادة يحسن السكوت عليها، وهناك بنات يتعلمن عند الراهبات الانكليزيات وغيرهن في الجديدة وفي مدن أخرى غيرها والكل يعلم ذلك وما فيه وخطره على الناس وعلى الدين وعليه فالواجب أن يرقى تعليم البنات إلى قدر أعلى من ذلك وأن نزيده نظاما وتحسينا حتى يحصل منه المقصود الذي بيناه أنفا تعليما ابتدائيا أدبيا إسلاميا صناعيا.

فنحب أن ترقى البنت ترقية صحيحة متينة تجمع بين تهذيب الأخلاق والعلم والعمل وذلك بأن تعلم البنات زيادة على قراءة ما تيسر من القرآن الذي تتعلمه الآن القراءة والكتابة والخط والرسم بطريق أسهل وأتقن طبق ما هو جار في المدارس الابتدائية للذكور وأرقى تعلم ضروريات الدين من عقائد وعبادات ومبادئ النحو والآداب العربية كذلك تعليما ابتدائيا مع المطالعة والاملاء والانشاء المناسب تعلم الحساب كذلك وعلى الأقل قواعده الأربع بحيث إذا مات زوجها وأصبحت وصية على أولادها أو تصرفت لنفسها تعرف ضبط ما هي مضطرة إليه حسابا وكتابا لا يذهب مالها ومال الحاجير ضحية الجهل والغلط والنسيان، وتتعلم الجغرافية والتاريخ ومبادئ العلوم ومنها الهندسة العملية وكل ماله علاقة بالأدب والثقافة تعليما ابتدائيا يصيرها قادرة على التفكير الصحيح تتعلم الأخلاق الإسلامية تعليما وتخلقا فحسن الخلق يقدم عند عقلاء الناس على حسن الخلق وما سعادة المرأة إلا في أخلاقها الكريمة الدائمة لا في جمالها الزاهب فلتكن عروسة

صالحة وأما رؤؤفا لتصلح لسيادة البيت ورياسته أما الجمال أو المال وحدهما فلا يؤهلانها لذلك لا سيما مع انتشار العلم في الذكور تتعلم تدبير المنزل بمعناه الحقيقي والاقتصاد والرشد في الأحوال تتعلم تدبير الصحة والرياضة البندية لما في ذلك من حفظ صحتها وصحة أولادها لتربيتهم جسما وروحا وأدبا تتعلم فن التربية لتحسن تربيتهم به وتسبك منهم جواهر نفيسة تكون حلية في تاج البلاد المغربية تتعلم صنعة أو أكثر كالخياطة والطرز والفنون الجميلة والطهي وغير ذلك استعدادا للطوارئ ولا سيما إذا كانت فقيرة فالصناعة لها ضرورية، فإذا حصلت الفتاة على هذا القدر من التهذيب أمكنها أن تؤدي وظيفتها وكانت خيرا على أمتها، فإن بقيت جاهلة كانت عضوا أشل وشقا ذا شلل ولعله عن قريب سيجيء يوم نندم غاية الندم فيه على عدم ترقية البنت ونجدها أفلتت من يدنا جاهلة بعلومنا الصالحة لنا فتتعلم علوما لا تليق بنا وتكون أعظم كارثة عاناها المغرب.

فهذا القدر من التعليم الابتدائي الديني الأدبي الدنيوي هو الذي أقوله جهرا وأطلبه وأحض عليه وأعتقد أنه لا سبيل لرقينا وانتشالنا مما نحن فيه من تأخر أحوالنا ونقصان مدارك رجالنا وسوء نظام مجتمعنا إلا به، ويمكن الفتاة أن تحصل عليه قبل أو ان الحجاب إذا أدخلت المدرسة وهي بنت خمس سنين فلا تأتي السنة الحادية عشرة أو الثانية عشرة إلا وهي محصلة لذلك فعند ذلك يسدل الحجاب وتكمل تعلمها ان شاءت داخل الباب إذ لكل نفس حق طبيعي في طلب الكمال وتنمية الملكة الفاضلة إلى أقصى حد ممكن.

ولست أرى من حاجة لبنت المغرب الذي يرى الحجاب ديناً حقاً  
وشريعة محكمة يجب حفظها وعليه مبنى نظام العائلة أن تدخل  
مدرسة ثانوية لتحوز إجازة دبلوم أو باكلوريا أو غيرها مما  
يفعلونه في الشرق وإني أرى سد الذرائع هنا واجباً فلنقتصر بهن  
على التعليم الابتدائي الذي يقتصر عليه سواد الأمم الراقية فضلاً  
عن أمة مثلنا لا يحصله منها إلا القليل من الذكور.

\*\*\*\*\*

## المرأة راعية على بيت زوجها وولده ومسؤولة عن رعيتهما<sup>(\*)</sup>

للفقيه محمد بن العربي العلوي

الحمد لله حمدا كثيرا والصلاة والسلام على من بعثه الله بشيرا  
ونذيرا

أيها السادة الكرام وأعني ذكرانكم وإناثكم جريا على سنة القرآن  
وهدي سيد ولد عدنان ومتعارف العرب أهل اللسان من جميع  
الذكور والاناث في خطاب واحد بصيغة المذكر اشارة إلى أنهما  
شيء واحد لا فرق بينهما في مسؤولية الحياة إلا فيما اقتضته  
وجهة كل منهما من الاختصاص كما هو مقرر في الأصول الفقهية  
والقواعد البيانية واحتراما وإجلالا للمرأة ان تواجه بالخطاب على  
رؤوس الملأ والأشهاد وغيره عليها اقتضتها الحشمة والصيانة والله  
در ابن زيدون إذ يقول:

لسنا نسمة إجلالا وتكرمة      فقدرك المعتلي عن ذاك يغنيننا  
إذا انفردت وما شوركت في صفة      فحسبنا الوصف ايضاحا وتبيينا

(\*) حديث إذا عي ألقاه الفقيه محمد بن العربي العلوي (وزير العدلية)، بتاريخ 1943/10/3،  
جريدة السعادة، ع 5953، السنة 40، 13 شوال 1362 هـ، موافق 13 أكتوبر 1943.



سادتي

إذا كانت المرأة راعية على بيت زوجها وولده كما في الحديث النبوي المتفق عليه بمعنى أنها أميرة على ذلك ومكلفة بتدبيره كان الواجب أن تدرع بدرع من العلم حصين وتسليح بالمعارف والأخلاق الدينية الفاضلة للقيام برعايتها وإمارتها أتم قيام وأحسنه، أما إذا أسندت إليها هذه المهمة وحملت هذا العبء الثقيل وهي عزلاء من كل علم ومعرفة خالية من كل تربية وتجربة فإنها تعجز لا محالة فتضيع ولايتها ويبنى بيتها على جرف هار.

سادتي

إن المرأة هي أساس المنزل الذي تنبني عليه جدرانها وأركانها، وأوتادها التي ترسى بها عمده وأسبابه كما أن الزوج هو عمده وجدرانها ولله درّ الأفوه الأودي في قوله :

والبيت لا يبتنى إلا بأعمدة ولا عمود إذا لم ترس أوتاد

إن المرأة هي قهرمانة البيت والقيمة عليه فهي المسؤولة عن إصلاحه وترتيبه ووضع كل شيء موضعه وأنى للجاهلة أن تقوم بذلك كما ينبغي فقد يفعل الجاهل بنفسه ما لا يفعل العدو بعدوه ويرحم الله القائل :

رام نفعاً فضر من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقاً

إن المرأة هي المدرسة الأولى للأولاد وهي القالب الذي يصب فيه الناشيء إذ يخرج للدنيا على الفطرة قابلاً لكل ما يلقنه وكالماء شفافاً يتلون بلون إنائه فالواجب أن يكون ذلك القالب وذلك الإناء

على أجمل شكل وأكمل هندام وأخلاق ولا يكون ذلك الا بالعلم الصحيح وإلا ففاقد الشيء لا يعطيه.

إن المرأة مسؤولة عن معاشرة قرينها وشريكها في البيت وروحها الثانية فلا بد أن تعلم حقوق الزوج وواجبات الزوجية لتجلب السعادة لزوجها ولنفسها ولبيتها ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف كما يقول الله جل ذكره.

هذا بعض ما أجمله مهذبنا الأكبر ومربينا الأطهر صلى الله عليه وعلى آله وسلم في قوله : والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ومسؤولة عن رعيتها.

سادتي :

إن المرأة مكلفة قبل ذلك بمعرفة ربها وخالقها ومنشئها وممدها فلا مناص من تعليمها ما تيسر من القرآن ومن سنة النبي عليه الصلاة والسلام لتعلم أن لا إله إلا الله حق العلم وأن معنى هذه الكلمة التي هي مفتاح الاسلام انه لا خالق ولا رازق ولا معطي ولا مانع ولا نافع ولا ضار ولا إلخ. الا الله تعالى فإذا تحصنت بهذا الحصن المنيع وتدرعت بهذه الدرع السابغة سلمت أمرها كله إلى خالقها أمنة من كل قوة غيبية غيره مستهزئة بالخرافات والمنحرفين والساحرين والمشعوذين إلى غير ذلك مما هو غير خفي.

إن المرأة مسؤولة عن نبيها ومبلغها رسالة ربها لتعلم حقيقة قولها محمد رسول الله فيكون قوله وما جاء به هو قائدها

ومرشدتها وسيرته هي مقتداها وأسوتها، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، فلا محيد لها عن معرفته ومعرفته سيرته لتأمن بسبب ذلك من مخالفته وتقديم هدي غيره على هديه كما انه لا بد لها من معرفة سيرة سلفنا الصالح من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وأهل بيته وتابعيهم بإحسان لتأمن الغلط والخطأ في الاتباع والافتداء.

فكل خير في اتبع من سلف وكل شر في ابتعد من خلف  
وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع  
هذا إجمال فيما على المرأة تعلمه وقل من كثير لا تسمح هذه  
العجالة ببسطه.

تكفي اللبيب إشارة مرموزة وسواه يفهم بالنداء العالي

سادتي

إن العلم هو العلم وكفى مدحا :

أشر لي بوصف واحد من صفاته تكون كمن سمى وكنى ولقبنا

وقد قال عليه السلام كفى بالعلم شرفا أن كلا يدعيه وبالجهل خسة أن كلا يتبرأ منه فبالعلم يمتاز النوع الانساني من أخيه في الجنس النوع العجماوي فكلما ازداد الانسان علوا ازداد انفصالا عن الحيوان الأعجم وازداد قدرا وعلاء وقيمة وكرم الله وجهه علي اذ يقول : قيمة الانسان ما يحسنه ونظم ابن الوردي فقال :

قيمة الانسان ما يحسنه أكثر الانسان منه أو أقل

فلو لم يكن العلم هو الوسيلة لكل خير والوقاية من كل شر لما كان طلبه متعينا على كل انسان لأن به كماله وشرفه.

لذلك تضافرت أي القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم على مدحه والحث عليه، قال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات، وقال ما يعقلها إلا العالمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم وقل ربي زدني علما مع أنه سيد العالمين إرشادا لنا وتعلima، لنكون متعطشين إلى العلم ولذلك قال سلفنا أطلب العلم من المهد إلى اللحد وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عدي والبيهقي وابن عبد البر اطلبوا العلم ولو بالصين وقال فيما يرويه ابن عدي والطبراني في معاجمه والخطيب والبيهقي طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة كما بينا سالفًا من شمول خطاب المذكر للأنثى ولذلك يزيد بعضهم في الحديث ومسلمة فهو بيان وتفسير للمراد وليس المراد انه وردت الرواية بذلك فلا يعترض عليه على أن في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأمره للنساء بالخروج لمصلى العيد وحضور الجمععات والجماعات ليشهدن الخير ودعوة المسلمين حتى العواتق وذوات الخدور ولم يعذر في ذلك من لا جلاباب لها أمرا اختها يعني في الاسلام أن تسترها معها بجلابابها وإفراده النساء بالوعظ والنصيحة لما ظن أنهن لم يسمعن خطابه وسيرة أزواجه الطاهرات وغيرهن من الصحابيات وما علمن من العلم ونقلن للمسلمين من سيرة سيد المرسلين وتبعهن على ذلك نساء المؤمنین في كل وقت

وحيث فالمطلع على التاريخ يجد في كل وقت منهم طائفة صالحة في كل فن وخصوصا رواية الحديث النبوي فلا زلن يأخذن عن الرجال ويأخذ الرجال عنهن إلى الآن نقول ان في ذلك كله ما لا يترك ريبة في وجوب تعليم المرأة شرعا كما يجب طبعا. والنهاية القصوى في الترغيب في تعليم البنات هو الحديث المتفق عليه وترجم له البخاري بقوله باب تعليم الرجل أُمته وأهله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة فأديبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها وتصور ربة بيت ربية دينية وتعلمت تعليما صالحا، ألا تتصور السعادة ضاربة أطنابها على أهل ذلك البيت والاصلاح ناشرا أجنحته عليهم فلا غش ولا خيانة ولا خداع ولا مكر ولا تبذير ولا إسراف ولا كسل ولا عجز ولا إفراط ولا تفريط ولا انخداع ولا قبول تلبيس.

ثم تصور بيتا بني على امرأة فاقدة للتربيتين الدينية والدنيوية جاهلة بحق ربها ونبيها وسلفها وبعلمها وأولادها وسيرة سلفها لاشك أنك تتصور بؤرة فساد أخلاق وعش خداع ونفاق وتلبيس وتبذير وانخداع لكل مشعوذ وملبس لطلب المكانة عند الزوج من طرف الطلسمات والجداول وضرب الفال وغير ذلك مما يستحي من ذكره.

ولا بأس أن نكرر على الاسماع حكاية أكثر الناس من ذكرها للاعتبار ذلك أنهم قالوا إن رجلا عرض عبدا للبيع على أنه لا عيب

فيه الا أنه يكذب كذبة في السنة فاستهان مشتريه بهذا العيب فبقي مدة على استقامة حتى اطمأن له أهله الجدد فقال للزوجة يوما إن سيدي يريد أن يتزوج عليك وجعل يفتل منها في الدروة والغارب إلى أن صدقته فاستشارته ما المخلص من هذا فقال لابد من سحره ليكف عن التزوج وذلك متوقف على شعرات من ذقنه فواطأته على ذلك فذهب إلى سيده وقال له إن سيدتي تراكنت مع غيرك على التزوج بها واتفقت معه على ذبحك فتناعس لتري فأظهر السيد النوم فأتت البلهاء بموسى فحننت على الزوج لتأخذ الشعر فأيقن بما قاله له العبد فقتلها واعلم العبد اقاربها فقتلوه واحتدم القتال بين أوليائهما حتى خلت القرية وبقي هو يتفرج على ذلك. هذا منشأ المثل العامي - اخلاها برك واقعد يشوف - فلو كانت المسكينة محصنة بالعلم الصحيح لما أمكن لذلك الوغد خداعها وكم من ضحية جهل سقته زوجه ما فيه حتفه قاصدة بذلك التقرب إليه والتودد ولكن جهلها وعدم الاعتماد على خالقها تركها تنقاد لكل غاش ومخادع من أصحاب الطلاسم والعزائم ومن عجائز النحس، من الشوافات والطلاعات وحم وميرة وأولاد ابن الأحمر أسماء ما انزل الله بها من سلطان فلو كانت تلقن المبادئ الإسلامية الحقبة والعلوم الصحيحة المبنية على سنن الكون وأسبابه المعقولة لما وجد السبيل إليها غاش ولا خائن ولما بذرت ثروتها وثروة زوجها في السفاسف والأوهام وقد ذكروا أن امرأة غني كانت معه في مذاكرة فقالت له إن الخير امرأة والشر امرأة فمر حطاب في غاية البؤس يتعثر بحزمة حطبه فقال لها هل يمكنك أن تصلحي من حال هذا لو كنت عنده فقالت نعم فطلقها وتزوجت الحطاب فأخذت تقتصد له من ثمن الحطب ما اشترى به بهيمة تريحه وتنمي كسبه، ثم



اذخرت له من ذلك ما يشتري به مسكنا يسكنه بلا كراء وهكذا اتخذ دكانا وصار يبيع ويشترى إلى أن أثري فدارت الأيام دورتها فإذا زوجها الأول يتكفف على باب دارها من غير أن يعرفها فتعرفت له وأخبرها أنه تزوج امرأة جاهلة فصار بتبذيرها وسوء تدبيرها إلى هذه الحالة والأمر ما قال عامتنا - محولت كشيئة تبني مدينة - يريدون بالمحاولة الاقتصاد وقد ورد ما عال من اقتصد كما في المسند عن ابن مسعود، والاقتصاد نصف العيش.

إذا فالعلم أيها السادة هو طريق النجاح والصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه وقد قال جل وعلا ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ قال السموأل :

سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول

لا تقل أيها المستمع الكريم قد اطلت الاحتجاج على الواضح المسلم واقمت الدلائل على الشمس في رابعة النهار.

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتج النهار إلى دليل

فعذري إليك أيها الألمي هو أنه قد يخال بعض من لم ينظر إلى بواطن الأمور أن بالتعلم يمكنها أن تتوسل إلى بعض الأغراض السيئة، لما يراه من التهلك في بعض المتعلمات غافلا عن كون ذلك إنما نشأ عن تلقين مذهب الماديين الإباحيين لا عن العلم الصحيح كما بينا.

سادتي  
بهذا التعليم الصحيح تكون المرأة كفوءاً لولاية بيت زوجها  
ورعايته.

فلذلك انبعثت همة مولانا ولي النعم إلى القيام بحق رعيته  
وولايته العامة إذ هو أول الأمراء في الحديث الشريف المتفق عليه  
وهو قوله صلى الله عليه وسلم كلکم راع وكلکم مسؤول عن رعيته  
فالامام راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو  
مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن  
رعيته الخ.

فبعد ما شملت عنايته أرشده الله وأعانته نصف الأمة وهو  
ذكورها بما أسسه وما هو عازم علي تأسيسه من المدارس والمعاهد،  
التفتت إلى النصف الثاني إذ به يتم بناء الأمة على الوجه  
الصحيح فاقترضى نظره أعزه الله بعد الاستشارة مع ذوي الخبرة  
بأحوال الأمة وأصحاب العلم الصحيح من شيوخ وشبان المغاربة لما  
لهم من الاطلاع على أحوال قومهم وعلى مقتضيات دينهم الاسلامي  
ومن رجال الدولة الحامية لاطلاعهم الواسع وخبرتهم التامة  
بأساليب الاصلاح والتعليم أن يدخل بعض التعديل على مدارس  
البنات لتكون أكثر ملاءمة مع التربية الدينية والأهلية وإنشاء  
مدارس أخرى علمية على نمطها وأخرى صناعية يكون حظ القرآن  
والأخلاق الدينية وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة  
السلف الصالح كافيا وافرا في الجميع وكذا حظ اللسان العربي  
والتدبير المنزلي، وحيث كان لا يتيسر للفقيهات والمعلمات

المسلمات القيام به على وجهه الآن تعين أن يندب له من الذكور من فيه الأهلية علما ودينا على أن يسند اختيارهم لرؤساء العلم الاسلامي وللقضاة حيث لا رئيس علم بالمحل وعلى أن يسابق بين المرشحين انتخابا للأفضل كما يعين مفتشون أهليون بحسب المصلحة، لكل ناحية مفتش تراعى فيه الأهلية معرفة وأخلاقا وذلك ريثما ينبغ من بناتنا من تصلح للقيام بوظيفي التعليم والتفتيش لأن تعليم المعلمات للبنات أبعد عن القيل والقال على أن تعليم الرجل للمرأة والمرأة للرجل في دائرة الدين والحشمة مما لا نزاع فيه وإذا كان لا يقبل في المدرسة الا من لم تتجاوز السنة الثالثة عشرة من غير تقييد لسنة الدخول إلا بكونها لا تقل عن الخامسة كما اقتضاه نظره السامي فلا محل للخوف على البنت حتى لو لم تكن هذه الاحتياطات، وكيف معها، نعم قد وقعت المسامحة لبعض التلميذات اللاتي أشرفن على إحراز الشهادة الابتدائية في السنة المقبلة فقط أن يتممن دروسهن وإن جاوزن الثالثة عشرة الى الرابعة عشرة والمقصود من هذا هو أن تحصل البنت على الشهادة الابتدائية، ولمن شاءت إتمام دروسها في المدارس الأخرى أو حيث يمكنها فلا تحجير وسينشر عليكم باقي البرنامج في فرصة أخرى إن شاء الله.

إنما المهم في المسألة هو أن سيدنا أعزه الله ارتكب كل ما يمكن به نجاح بناتنا في دائرة قوميتهن ودينهن خاطيا بنا خطوة إلى الأمام على قدر استعدادنا وأهليتنا وأول الغيث قطر ثم ينهمر.

وإذا رأيت من الهــــــــــــــــلال نموهُ      أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

فالواجب أن نقدم له يد المساعدة والمناصحة شكرا له على جده  
واجتهاده ونصحه وإخلاصه سائلين الله تبارك وتعالى أن يمد في  
حياته وأن يمدّه بتوفيقه وإعانتة وأن يقر عينه بولي عهده وببأقي  
أنجاله الكرام أمين أمين لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف  
أمين.

\*\*\*\*\*

## تحرير الاسلام للمرأة، وتطويره لوضعها الاجتماعي : صورة تطبيقية من السنة النبوية

لعل أصدق وأدق ما يعكس الانقلاب الذي حدث لوضع المرأة الإجتماعي الذي أحدثه الاسلام فحقق لها حرية التصرف والتعبير بدرجة مساوية لما كفله للرجال، ما جاء في قصة ايلاء رسول الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى السلام من نسائه - رضي الله عنهن - كما رواها ابن عباس عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - فيما أخرجه كل من :

أحمد في « المسند » ج ١، ص 80/78، ح 222 - قال :

حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن الزُّهري، عن عبيد الله بن أبي ثور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لم أزل حريصا على أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالى : ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ . حتى حج عمر رضي الله عنه وحججت معه، فلما كنا ببعض الطريق عدل عمر رضي الله عنه وعدلت معه بالإِدَاوَةِ، فتبرز، ثم أتاني فسكبت على يديه فتوضأ، فقلت : يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى : ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، فقال عمر رضي الله عنه : وأعجبا لك يا ابن عباس قال الزهري : كرهه والله ما سأله عنه ولم يكتمه عنه، قال : هي حفصة وعائشة، قال : ثم أخذ

يسوق الحديث، قال : كنا معشر قريش قوما نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة، وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نساؤهم، قال : وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي، قال: فتغضبت يوما على امرأتي، فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت : ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم إلى الليل، قال : فانطلقت فدخلت على حفصة، فقلت : أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، قالت : نعم. قلت : وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت : نعم، قلت : قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت؟ لا تراجعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئا، وسليني ما بدا لك؟ ولا يغرنك ان كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله منك، يريد عائشة رضي الله عنها. وساق باقي الحديث.

وأخرج البخاري هذا الحديث مختصرا أحيانا، ومفصلا أحيانا أخرى في صحيحه، في كل :  
 - ج 2، ص 741/739، ك : المظالم ب : الغرفة والعلية المشرفة في السطوح وغيرها، ح 2468 - قال :  
 حدثنا يحيى بن بكير : حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني عبيد الله بن أبي ثور، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : لم أزل حريصا على أن أسأل عمر رضي الله عنه، عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، اللتين قال الله لهما : ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، فحججت معه، فعدل



وعدلت معه بالاداة، فتبرز، حتى جاء فسكبت على يديه من الاداة فتوضأ، فقلت : يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، اللتان قال الله عز وجل لهما : «ان تتوبا إلى الله»، فقال : واعجبي لك يا ابن عباس، عائشة وحفصة، ثم استقبل عمر الحديث يسوقه، فقال : اني كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على النبي صلى الله عليه وسلم : فينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره، وإذا نزل فعل مثله، وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصحت على امرأتي فراجعتني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت : ولم تنكر أن أراجعك، فوالله ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه، وان احداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأقزعني، فقلت : خابت من فعل منهن بعظيم، ثم جمعت علي ثيابي فدخلت على حفصة، فقلت : أي حفصة، أتغاضب احداكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل؟ فقالت : نعم، فقلت : خابت و خسرت، أفتامن أن يغضب الله لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فتهلكين، لا تستكثري على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تراجعيه في شيء ولا تهجره، واسأليني ما بدا لك، ولا يغرنك ان كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - يريد عائشة - وكنا تحدثنا أن غسان تنعل النعال لغزونا، فنزل صاحبي يوم نوبته، فرجع عشاء، فضرب بابي ضربا شديدا، وقال : أنائم هو، ففزعت، فخرجت إليه، وقال : حدث أمر عظيم، قلت : ماهو، أ جاءت غسان ؟ قال : لا، بل أعظم منه وأطول، طلق

رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه، قال : قد خابت حفصة وخسرت كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون، فجمعت علي ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي صلى الله عليه وسلم، فدخل مشربة له فاعتزل فيها، فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي، قلت: ما يبكيك، أو لم أكن حذرتك، أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت : لا أدري، هو ذا في المشربة، فخرجت فجئت المنبر، فإذا حوله رهط يبكي بعضهم، فجلست معهم قليلا، ثم غلبني ما أجد فجئت المشربة التي هو فيها، فقلت للغلام له أسود : استأذن لعمر، فدخل فكلّم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم خرج فقال : ذكرت لك له فصمت، فأنصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئت فذكر مثله، فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام، فقلت : استأذن لعمر، فذكر مثله، فلما وليت منصرفا فإذا الغلام يدعوني، قال : أذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلت عليه، فإذا هو مضطجع على رمال حصير، ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجانبه، متكئ على وسادة من آدم، حشوها ليف، فسلمت عليه، ثم قلت وأنا قائم : طلقت نساءك؟ فرفع بصره إلي، فقال : « لا »، ثم قلت وأنا قائم : طلقت نساءك؟ فرفع بصره إلي، فقال : « لا »، ثم قلت وأنا قائم استأنس : يا رسول الله، لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على قوم تغلبهم نساؤهم، فذكره فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قلت : لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت : لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم - يريد عائشة - فتبسم أخرى، فجلست حين رأته تبسم، ثم ساق باقي الحديث.

وفي ج ١، ص 56، ك : العلم ب : التناوب في العلم، ح 89، قال :  
حدثنا أبو اليمان : أخبرنا شعيب عن الزهري قال أبو عبد الله :  
وقال ابن وهب : أخبرنا يونس، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن  
عبد الله بن أبي ثور، عن عبد الله ابن عباس، عن عمر، وساق من  
الحديث طرفا.

وفي ج 4، ص 1671/1669، ك : النكاح ب : موعظة الرجل ابنته لحال  
زوجها ح 5191 - وساق الحديث المتقدم في المظالم رقم 2468 بنفس  
السند واللفظ.

ثم، ص 1678، ح 5218 قال :  
حدثنا عبد العزيز بن عبد الله : حدثنا سليمان، عن يحيى، عن  
عبيد بن حنين سمع ابن عباس عن عمر. وساق طرفا من الحديث.

وفي ص 1863/1862 ك : اللباس ب : ما كان النبي يتجوز من  
اللباس والبسط ح : 5843، قال :

حدثنا سليمان بن حرب : حدثنا حماد بن زيد، عن يحيى بن  
سعيد، عن عبيد بن حنين، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :  
لبثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على  
النبي صلى الله عليه وسلم، فجعلت أهابه، فنزل يوما منزلا فدخل  
الاراك، فلما خرج سألته فقال : عائشة وحفصة، ثم قال : كنا في  
الجاهلية لا نعد النساء شيئا، فلما جاء الاسلام وذكرهن الله، رأينا  
لهن بذلك علينا حقا، من غير أن ندخلهن في شيء من أمورنا، وكان

بيني وبين امرأتي كلام، فأغلظت لي، فقلت لها : وانك لهنالك ؟  
 قالت : تقول هذا لي وابنتك تؤذي النبي صلى الله عليه وسلم  
 فأتيت حفصة فقلت لها : اني أحذرك أن تعصي الله ورسوله،  
 وتقدمت إليها في أذاه، فأتيت أم سلمة فقلت لها، فقالت : أعجب  
 منك يا عمر، قد دخلت في أمورنا فلم يبق إلا أن تدخل بين رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه ؟ فرددت. وساق باقي الحديث.

وفي ج 5، ص 2267 ك : أخبار الأحاد ب : ماجاء في اجازة خبر  
 الواحد الصدوق ح : 7256، قال :

حدثنا سليمان بن حرب : حدثنا حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد  
 عن عبيد بن حنين، عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنهم قال.  
 وساق طرفا من الحديث.

وفي ص : 2269، ب : قوله تعالى ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ  
 يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾، فإذا أذن له واحد جاز ح : 7263 :

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا سليمان بن بلال، عن يحيى  
 عن عبيد بن حنين : سمع ابن عباس، عن عمر رضي الله عنهم قال :  
 وساق طرفا من الحديث.

وفي ج 3، ص 1567/1568 ك : التفسير ب : 2، ح : 4913، قال :  
 حدثنا عبد العزيز بن عبد الله : حدثنا سليمان بن بلال، عن يحيى،  
 عن عبيد بن حنين : أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يحدث  
 أنه قال : مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما  
 أستطيع أن أسأله هيبة له، حتى خرج حاجا فخرجت معه، فلما  
 رجعت وكنا ببعض الطريق، عدل إلى الراك حاجة له، قال :

فوقفت له حتى فرغ، ثم سرت معه فقلت : يا أمير المؤمنين، من اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم من أزواجه، فقال : تلك حفصة وعائشة، قال : فقلت : والله ان كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة، فما أستطيع هيبة لك، قال : فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم فأسألني، فإن كان لي علم خبرتك به، قال : ثم قال عمر : والله انا كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمرا، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم، قال : فيما أنا في أمر أتأمره، اذ قالت امرأتي : لو صنعت كذا وكذا، قال : فقلت لها : مالك ولما هاهنا، فيما تكلفك في أمر أريده؟، فقالت لي : عجباً لك يا ابن الخطاب ما تريد أن تراجع أنت، وان ابنتك لتراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان، فقام عمر، فأخذ رداءه مكانه حتى دخل على حفصة، فقال لها : يا بنية انك لتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان؟ فقالت حفصة : والله انا لنراجعه، فقلت : تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يا بنية لا تغرنك هذه التي أعجبها حسنهما حب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها - يريد عائشة -، قال : ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرايتي منها فكلمتها، فقالت أم سلمة : عجباً لك يا ابن الخطاب، دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه، فأخذتني والله أخذا كسرتني عن بعض ما كنت أجد، فخرجت من عندها.

وأخرجه مسلم في «الصحیح»، ج 2، ص : 1105/1106، ك : (18)  
الطلاق ب : (5) الايلاء واعتزال النساء وتخييرهن، وقوله تعالى :

ان تظاهرا عليه، ح : 1479، قال :

حدثني زهير بن حرب، حدثنا عمر بن يونس الحنفي، حدثنا عكرمة بن عمار عن سماك أبي زميل، حدثني عبد الله بن عباس، حدثني عمر بن الخطاب قال : لما اعتزل نبي الله صلى الله عليه وسلم نساءه قال : دخلت المسجد فاذا الناس ينكتون بالحصى، ويقولون : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه، وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب، فقال عمر : فقلت : لأعلمن ذلك اليوم، قال : فدخلت على عائشة، فقلت : يا بنت أبي بكر، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. فقالت : مالي ومالك يا ابن الخطاب؟ عليك بعيبتك، قال : فدخلت على حفصة بنت عمر، فقلت لها : يا حفصة، أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والله لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحبك، ولولا أنا لطلقك رسول الله، فبكت أشد البكاء فقلت لها : أين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت : هو في خزانته في المشربة، فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا على أسكفة المشربة، مدل رجله على نقيير من خشب، وهو جدع يرقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وينحدر، فناديت : يا رباح استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إلي فلم يقل شيئا، ثم قلت : يا رباح، استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر رباح إلى الغرفة، ثم نظر إلي، فلم يقل شيئا، ثم رفعت صوتي فقلت : يا رباح، استأذن لي عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاني أظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظن أنني جئت من أجل حفصة، والله، لئن أمرني رسول الله صلى الله عليه



وسلم بضرب عنقها لأضربن عنقها، ورفعت صوتي، فأوماً إلي أن ارقه، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على حصير، فجلست فأدنى عليه أزاره، وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، ومثلها قرظاً في ناحية الغرفة، وإذا أفيق معلق قال : فابتدرت عيناى، قال : « ما يبكيك ؟ يا ابن الخطاب » قلت : يا نبي الله، ومالي لا أبكي ؟ وهذا الحصير قد أثر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والانهار، وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته، وهذه خزانتك، فقال : « يا ابن الخطاب، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؟ قلت : بلى، قال : ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب، فقلت : يا رسول الله، ما يشق عليك من شأن النساء ؟ فان كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك. وقلمما تكلمت، وأحمد الله، بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول، ونزلت هذه الآية، آية التخيير «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن»، التحريم 5، «وان تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهیر»، التحريم 4. وكانت عائشة بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت : يا رسول الله، أطلقتهن ؟ قال : « لا » قلت : يا رسول الله، اني دخلت المسجد والمسلمون ينكتون بالحصى، يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه، أفأنزل فأخبرهم أنك لم تطلقهن ؟ قال : « نعم، إن شئت » فلم أزل أحدثه حتى تحسر الغضب عن وجهه، وحتى كشر

فضحك، وكان من أحسن الناس ثغرا، ثم نزل نبي الله صلى الله عليه وسلم ونزلت، فنزلت أتشبت بالجذع، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأنما يمشي على الأرض ما يمسه بيده، فقلت : يا رسول الله، انما كنت في الغرفة تسعة وعشرين، قال : « ان الشهر يكون تسعا وعشرين » فقامت على باب المسجد، فناديت بأعلى صوتي : لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه. ونزلت هذه الآية : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ، وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾. النساء 83، فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر. وأنزل الله عز وجل آية التخيير.

ثم قال، ص 1108 :

حدثنا هارون بن سعيد الأيلي، حدثنا عبد الله بن وهب، أخبرني سليمان (يعني ابن بلال)، أخبرني يحيى، أخبرني عبيد بن حنين، أنه سمع عبد الله بن عباس يحدث. ثم ساق الحديث المتقدم عند البخاري رقم (4913) في كتاب التفسير.

وقال، ص 1110 :

حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرني يحيى بن سعيد عن عبيد بن حنين عن ابن عباس، قال : أقبلت مع عمر، حتى اذا كنا بمر الظهران، وساق الحديث بطوله، كنحو حديث سليمان بن بلال، غير أنه قال : قلت : شأن المرأتين؟ قال : حفصة وأم سلمة وزاد فيه : وأتيت الحجر فإذا في كل بيت بكاء، وزاد أيضا : وكان ألى منهن شهرا، فلما كان تسعا وعشرين نزل اليهن.

وقال :

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب (واللفظ لأبي بكر) قالوا : حدثنا سفيان بن عيينة عن يحيى بن سعيد، سمع عبيد بن حنين (وهو مولى العباس) قال : سمعت ابن عباس يقول : كنت أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ساق طرفا من الحديث.

وقال في، ص 1111 :

حدثنا اسحاق بن ابراهيم الحنظلي ومحمد بن أبي عمر (وتقاربا في لفظ الحديث) (قال ابن أبي عمر : حدثنا، وقال اسحاق : أخبرنا عبد الرزاق)، أخبرنا معمر عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور، عن ابن عباس قال : وساق الحديث بلفظه المتقدم في رقم (2468) من صحيح البخاري.

وأخرجه الترمذي في «الجامع»، ج : 5 ص : 423/420، ك : (48) تفسير القرآن ب : (66) من سورة التحريم، ح 3318 :

حدثنا عبد بن حميد، أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور قال : سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول : لم أزل حريصا أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل «ان تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما». وساق لفظ الحديث المتقدم في صحيح البخاري رقم (2468). وعقب عليه : هذا حديث حسن صحيح، قد روي من غير وجه عن ابن عباس. ولعله يشير إلى الطرق السالفة وإلى التي ستعقب.

وأخرجه النسائي في «المجتبي»، ج : 4 ص : 137/138، ب : كم الشهر  
ح 2132 :

أخبرنا عبيد الله بن سعد بن إبراهيم قال : حدثنا عمي قال :  
حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب أن عبيد الله بن عبد الله ابن  
أبي ثور حدثه.

أخبرنا عمرو بن منصور قال : حدثنا الحكم بن نافع قال : أنبأنا  
شعيب عن الزهري قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور  
عن ابن عباس قال : لم أزل حريصاً أن أسأل عمر بن الخطاب عن  
المرأتين من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله  
فيهما «ان تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما» وساق الحديث، وقال  
فيه : فاعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه من أجل ذلك  
الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعاً وعشرين ليلة، قالت  
عائشة : وكان قال ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة موجدته  
عليهن حين حدثه الله عز وجل حديثهن، فلما مضت تسع وعشرون  
ليلة، دخل على عائشة، فبدأ بها، فقالت له عائشة : انك قد كنت  
آليت يا رسول الله أن لا تدخل علينا شهراً، وإنا أصبحنا من تسع  
وعشرين ليلة نعدّها عدداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
«الشهر تسع وعشرون ليلة».

وأخرجه ابن حبان في «علاء الدين الفارسي : الاحسان في  
تقريب صحيح ابن حبان» ج : 9 ص : 492/495، ك : (14) النكاح ب : (8)  
معاشرة الزوجين، ح : 4187 :

أخبرنا محمد بن الحسن بن قتيبة، قال : حدثنا حرملة بن يحيى قال : حدثنا ابن وهب، قال : أخبرنا يونس، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس قال : وساق الحديث المتقدم بلفظه في صحيح البخاري رقم (2468).

وفي - ج 10، ص 89/85 ك : (16) الطلاق ب : ذكر البيان بأن عائشة لما خيرها المصطفى صلى الله عليه وسلم اختارت الله جل وعلا وصفيه صلى الله عليه وسلم ح : 4268 - قال :

أخبرنا ابن قتيبة، قال حدثنا ابن أبي السري، قال : حدثنا عبد الرزاق، قال : أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس قال : لم أزل حريصاً أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قال الله : **«إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا»** - التحريم : 4، حتى حج عمر فحججت معه، فلما كان في بعض الطريق عدل ليتوضأ، وعدلت معه بالاداة فتبرز، ثم أتاني، فسكبت على يديه، فتوضأ فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله : **«إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا»** ؟ فقال عمر : وأعجبا لك يا ابن عباس، ثم قال : هي عائشة وحفصة : ثم ساق الحديث.

وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى». ج : 7 ص : 38/37 ك :  
النكاح ب : ما وجب عليه من تخيير النساء - قال :

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد الجبار السكري ببغداد أنبأ اسماعيل بن محمد الصفار حدثنا أحمد بن منصور حدثنا عبد الرزاق أنبأ معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لم أزل حريصا أن أسأل عمر رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالى ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ حتى حج عمر رضي الله عنه وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر رضي الله عنه لحاجته وعدلت معه بالاداة فتبرز، ثم أتى فسكبت على يديه فتوضأ فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ فقال عمر رضي الله عنه : واعجبا لك يا ابن عباس، قال الزهري رحمة الله تعالى كره والله ما سألته ولم يكتمه قال : هي حفصة وعائشة، ثم أخذ يسوق الحديث فقال : كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال : وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي، فتغضبت يوما على امرأتي فإذا هي تراجعني فانكرت أن تراجعني فقالت : ما تنكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه وتهجره احداهن اليوم إلى الليل، قال : فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت : نعم، وتهجره احداهن اليوم إلى الليل؟ قالت : نعم، قلت : قد خاب من فعل ذلك منكن، وخسر أفتأمن احداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت، لا تراجعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئا



وسليني ما بدا لك، ولا يغرنك ان كانت جارتك هي أوسم وأحب  
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك - يريد عائشة - وساق  
باقي الحديث.

\*\*\*\*\*

## قاسم أمين وتحرير المرأة

مقتطفات من كتابه «تحرير المرأة»، «المرأة الجديدة».

**يقول قاسم أمين في كتابه : «تحرير المرأة» (١) :**

إنني أدعو كل محب للحقيقة أن يبحث معي في حالة النساء المصريات، وأنا على يقين من أنه يصل وحده إلى النتيجة التي وصلت إليها. وهي : ضرورة الإصلاح فيها. هذه الحقيقة التي أنشرها اليوم شغلت فكري مدة طويلة كنت في خلالها أقليبها وامتحنها واحللها حتى اذا تجردت عن كل ما كان يختلط بها من الخطأ استولت على مكان عظيم من موضع الفكر مني، وزاحمت غيرها، وتغلبت عليه، وصارت تشغلني بورودها، وتنبيهني إلى مزاياها، وتذكرني بالحاجة إليها، فرأيت ان لا مناص من ابرازها من مكان الفكر إلى فضاء الدعوة والذكر....

سيقول قوم إن ما أنشره اليوم بدعة. فأقول : نعم أتيت ببدعة، ولكنها ليست في الاسلام. بل في العوائد وطرق المعاملة التي يحمد طلب الكمال فيها.

لَمْ يعتقد المسلم أن عوائده لا تتغير ولا تتبدل، وأنه يلزمه أن يحافظ عليها إلى الأبد؟ ولم يجري على هذا الاعتقاد في عمله، مع أنه هو وعوائده جزء من الكون الواقع تحت حكم التغيير والتبديل

في كل أن؟ ايقدر المسلم على مخالفة سنة الله في خلقه، اذ جعل التغيير شرط الحياة والتقدم، والوقفة والجمود مقترنين بالموت والتأخر؟ أليست العادة عبارة عن اصطلاح أمة على سلوك طريق خاصة في معيشتهم ومعاملاتهم حسبما يناسب الزمان والمكان؟ ومن ذا الذي يمكنه أن يتصور أن العوائد لا تتغير بعد أن يعلم أنها ثمرة من ثمرات عقل الانسان، وأن عقل الانسان يختلف باختلاف الأماكن والأزمان؟ المسلمون منتشرون في أطراف الأرض، فهل هم انفسهم متحدون في العادات وطرق المعاش؟ من ذا الذي يمكنه أن يدعي أن ما يستحسنه عقل السوداني يستحسنه عقل التركي أو الصيني أو الهندي. أو أن عادة من عادات البدوي توافق أهل الحضر، أو يزعم أن عوائد أمة من الأمم مهما كانت، بقيت جميعها على ما كانت عليه من عهد نشأتها بدون تغيير؟

والحقيقة أن لكل أمة في كل مدة من الزمن عوائد وأدابا خاصة بها، موافقة لحالتها العقلية. وان تلك العوائد والآداب تتغير دائما تغيرا غير محسوس تحت سلطان الاقليم والوراثة والمخالطات والاختراعات العلمية والمذاهب الأدبية والعقائد الدينية والنظم السياسية وغير ذلك. وان كل حركة من حركات العقل نحو التقدم يتبعها حتما اثر يناسبها في العادات والآداب. وعلى ذلك يلزم أن يكون بين عوائد السوداني والتركي مثلا من الاختلاف بقدر ما يوجد بين مرتبتها في العقل. وهو الأمر المشهور الذي لا ريبه فيه. وعلى هذه النسبة يكون الفرق بين المصري والأوروبي.

ولا يمكن أن يتصور احد ان العادات، التي هي عبارة عن طريق سلوك الانسان في نفسه ومع عائلته ومواطنيه وأبناء جنسه، تكون في أمة جاهلة أو متوحشة مثل ما تكون في أمة متمدنة، لأن سلوك كل فرد منها إنما يكون على ما يناسب مداركه ودرجة تربيته.

ولهذا الارتباط التام بين عادات كل أمة ومنزلتها من المعارف والمدنية، نرى أن سلطان العادة انفذ حكما فيها من كل سلطان، وهي أشد شؤونها لصوقا بها، وابعدها عن التغيير، ولا حول للأمة عن طاعتها إلا اذا تحولت نفوس الأمة وارتفعت أو انحطت عن درجتها في العقل، ولهذا نرى انها تتغلب دائما على غيرها من العوامل والمؤثرات حتى على الشرائع. ويؤيد ذلك ما نشاهده كل يوم في بلادنا من ان القوانين واللوائح التي توضع لاصلاح حال الأمة تنقلب في الحال إلى آلة جديدة للفساد. وليس هذا بغريب فقد تتغلب العادات على الدين نفسه فتفسده وتمسحه بحيث ينكره كل من عرفه.

وهذا هو الأصل فيما نشهده ويؤيده الاختبار التاريخي من التلازم بين انحطاط المرأة وتوحشها، وبين ارتقاء المرأة وتقدم الأمة ومدنيتها. فقد علمنا أن في ابتداء تكون الجمعيات الانسانية كانت حالة المرأة لا تختلف عن حالة الرقيق في شيء، وكانت واقعة عند الرومان واليونان مثلا تحت سلطة أبيها ثم زوجها ثم من بعده أكبر أولادها. وكان من المباح عند العرب قبل الاسلام أن يقتل الآباء بناتهم، وان يستمتع الرجال بالنساء من غير قيد شرعي ولا عدد

محدود. ولا تزال هذه السلطة الآن سائدة عند قبائل افريقيا وأمريكا المتوحشة. وبعض الأمم الأسيوية يعتقد أن المرأة ليس لها روح خالدة، وانها لا ينبغي أن تعيش بعد زوجها. ومنهم من يقدمها إلى ضيفه اكراما له كما يقدم له أحسن متاع يمتلكه.

كل هذا يشاهد في الجمعيات الناشئة التي لم تقم على نظمات عمومية، بل كل ما فيها يقوم بروابط العائلة والقبيلة، والقوة هي القانون الوحيد الذي نعرفه. وهكذا الحال الآن في البلاد التي تدار بحكومة استبدادية لأنها تحكم كذلك بقانون القوة....

سبق الشرع الاسلامي كل شريعة سواه في تقرير مساواة المرأة للرجل، فأعلن حريتها واستقلالها يوم كانت في حضيض الانحطاط عند جميع الأمم، وخولها كل حقوق الانسان، واعتبر لها كفاءة شرعية لا تنقص عن كفاءة الرجل في جميع الأحوال المدنية، من بيع وشراء وهبة ووصية من غير أن يتوقف تصرفها على إذن أبيها أو زوجها. وهذه المزايا، التي لم تصل إلى اكتسابها حتى الآن بعض النساء الغربيات، كلها تشهد على أن من أصول الشريعة السمحاء احترام المرأة والتسوية بينها وبين الرجل. بل أن شريعتنا بالغت في الرفق بالمرأة فوضعت عنها احمال المعيشة ولم تلزمها بالاشتراك في نفقة المنزل وتربية الأولاد خلافا لبعض الشرائع الغربية التي سوت بين الرجل والمرأة في الواجبات فقط وميزت الرجل في الحقوق.

والميل إلى تسوية المرأة بالرجل في الحقوق ظاهر في الشريعة الإسلامية حتى في مسألة التحلل من عقدة الزواج. فقد جعلت لها في ذلك طرقاً جديدة بالاعتبار.

ولم أر إلا مسألة واحدة ميز الشرع فيها الرجال على النساء وهي تعدد الزوجات. والسبب في ذلك واضح يتعلق بمسألة النسب، التي لا يقوم للزواج حياة بدونها. وبالجمله فليس في أحكام الديانة الإسلامية ولا فيما ترمي إليه من مقاصدها ما يمكن أن ينسب إليه انحطاط المرأة المسلمة. بل الأمر بالعكس فإنها اكتسبت مكاناً رفيعاً في الهيئة الاجتماعية.

ولكن، وأأسفاه... قد تغلبت على هذا الدين الجميل أخلاق سيئة ورثناها عن الأمم التي انتشر فيها الإسلام ودخلت فيه حاملة لما كانت عليه من عوائد وأوهام، ولم يكن العرفان قد بلغ بتلك الأمم حداً يصل بالمرأة إلى المقام الذي أحلته الشريعة فيه، وكان أكبر عامل في استمرار هذه الأخلاق توالي الحكومات الاستبدادية علينا.

تجردت الجمعيات الإسلامية على اختلاف الأزمان والأماكن من النظمات السياسية التي تحدد حقوق الحاكم والمحكوم، وتخول للمحكومين مطالبة الحاكم بالوقوف عند الحدود المقررة لهم بمقتضى الشريعة والنظام. بل أخذت حكومتها الشكل الاستبدادي دائماً، فكان لسلطانهم وأعوانه سلطة مطلقة، فحكموا كيف شاؤوا بلا قيد ولا استشارة ولا مراقبة، وأداروا مصالح الرعية بدون أن يكون لها صوت فيها.



نعم إن كان الحاكم صغيرا أو كبيرا فهو ملزم باتتباع العدل واجتناب الظلم، لكن من المجرب أن السلطة غير المحدودة تغري بسوء الاستعمال إذا لم تجد حدا تقف أمامه ورأيا يناقشها وهيئة تراقبها. ولهذا مضت القرون على الأمم الإسلامية وهي تحت حكم الاستبداد المطلق، وأساء حكامها في التصرف، وبالغوا باتتباع أهوائهم، واللعب بشؤون الرعية. بل لعبوا بالدين نفسه في أغلب الأزمنة. ولا يستثنى منهم الا عدد قليل لا يكاد يذكر بالنسبة إلى غالبهم.

إذا غلب الاستبداد على أمة لم يقف أثره في الأنفس عند ما هو في نفس الحاكم الأعلى. ولكنه يتصل منه بمن حوله ومنهم إلى من دونهم وينفث روحه في كل قوي بالنسبة لكل ضعيف متى مكنته القوة من التحكم فيه. يسرى ذلك في النفوس، رضي الحاكم الأعلى أو لم يرض.

كان من أثر هذه الحكومات الاستبدادية ان الرجل في قوته أخذ يحتقر المرأة في ضعفها وقد يكون من أسباب ذلك أن أول أثر يظهر في الأمة المحكومة بالاستبداد هو فساد الأخلاق.

قد يمكن أن يتوهم من أول وهلة ان الشخص الواقع عليه الظلم يحب العدل ويميل إلى الشفقة، لما يقاسيه من المصائب التي تتوالى عليه. ولكن المشاهد يدل على أن الأمة المظلومة لا يصلح جوها ولا تنفع أرضها لنمو الفضيلة ولا يربو فيها الا نبات الرذيلة. وكل المصريين الذين عاشوا تحت حكم المستبدين السابقين

- وما العهد منهم ببعيد - يعلمون أن شيخ البلد الذي كان يسلب منه عشرة جنيهاً كان يستردها مئة من الأهالي، والعمدة الذي كان يضرب مائة كرباج عند عودته إلى بلده ينتقم من مئة فلاح.

فمن طبيعة هذه الحالة أن الإنسان لا يحترم إلا القوة ولا يردع إلا بالخوف. ولما كانت المرأة ضعيفة اهتضم الرجل حقوقها وأخذ يعاملها بالاحتقار والامتهان وداس بأرجله على شخصيتها. عاشت المرأة في انحطاط شديد أيا كان عنوانها في العائلة، زوجة أو أما أو بنتاً، ليس لها شأن ولا اعتبار ولا رأي، خاضعة للرجل لأنه رجل ولأنها امرأة. فنما شخصها في شخص الرجل ولم يبق لها من الكون ما يسعها إلا ما استتر من زوايا المنازل، واختصت بالجهل والتحجب بأستار الظلمات، واستعملها الرجل متاعاً للذة، يلهو بها متى أراد، ويقذف بها في الطريق متى شاء، له الحرية ولها الرق، له العلم ولها الجهل، له العقل ولها البله، له الضياء والفضاء ولها الظلمة والسجن، له الأمر والنهي ولها الطاعة والصبر. له كل شيء في الوجود وهي بعض ذلك الكل الذي استولى عليه (...).

**ويقول في مكان آخر من كتابه (2) :**

إنني أكرر ما قلته من أنه يستحيل تحصيل رجال ناجحين، إن لم يكن لهم أمهات قادرات على أن يهيئهم للنجاح، فتلك هي الوظيفة السامية التي عهد التمدن بها إلى المرأة في عصرنا هذا، وهي تقوم بأعبائها الثقيلة في كل البلاد المتمدنة، حيث نراها تلد الأطفال ثم تصوغهم رجالاً.

وبديهي أن العمل الأول، وهو الولادة، هو عمل بسيط مادي، تشترك فيه المرأة مع الحيوانات، فلا يحتاج إلا بنية سليمة، أما العمل الثاني، وهو التربية، فهو عمل عقلي امتاز به النوع الانساني، وهو محتاج في تأديته إلى تربية واسعة واختيار عظيم ومعارف مختلفة.

والأمر الذي يلزم أن تلتفت إليه كل أمة لا تغفل عن مصالحها الحقيقية، هو وجود النظام في العائلات التي يتكون منها جسم الأمة، لأن العائلة هي أساس الأمة. ولما كانت المرأة هي أساس العائلة كان تقدمها وتأخرها في المرتبة العقلية أول مؤثر في تقدم الأمة وتأخرها.

المرأة ميزان العائلة. فإن كانت منحطة احتقرها زوجها وأهلها وأولادها، وعاشوا جميعا منحلين لا يرتبط بعضهم ببعض، ولا يعرفون نظاما ولا ترتيبا في معيشتهم، فتفسد آدابهم وعوائدهم. أما إن كانت المرأة على جانب من العقل والأدب، هذبت جميع العائلة، واحترمها أفرادها، واحترموا أنفسهم، وعاش الجميع في نظام تام تحت لواء محبتها، متضامنين، أقوياء باتحادهم، وهذه الصفات التي تشاهد في العائلة، هي الصفات التي تشاهد في الأمة، إذ كل منا يسلك في أمته مسلكه في عائلته. ومن المحال أن يكون للانسان من الصفات والأخلاق في أمته ما ليس له نموذج في منزله، وأن يعامل مواطنيه بأخلاق غير التي يعامل بها أفراد عائلته، فإن كان حسن الأخلاق في عائلته كان ذلك في أمته، وإن كان سيء الأخلاق في عائلته ساءت أخلاقه في أمته أيضا. ومن هذا يتبين مقدار عمل المرأة في تقدم الأمم وتأخرها.

وبالجملة فإن ارتقاء الأمم يحتاج إلى عوامل مختلفة متنوعة، من أهمها ارتقاء المرأة، وانحطاط الأمم ينشأ من عوامل مختلفة متنوعة أيضا، من أهمها انحطاط المرأة.

فهذا الانحطاط في مرتبة المرأة عندنا هو أهم مانع يقف في سبيلنا ليصعدنا عن التقدم إلى ما فيه صلاحنا. وعلى هذا فليست تربية المرأة من الكماليات التي ينتظر لها مرور الأزمان، ويجوز الابطاء في إعداد الوسائل لها، كما يتوهمه كثير من الناس الذين يطنطنون بمزايا تربية الذكور ويقدمونها على تربية البنات، وإنما هي من الحاجيات، بل من الضروريات التي يجب البدء بها والعناية بتوفير ما يلزم لها من المعدات، وهي الواجب الخطير الذي ان قمنا به سهل علينا كل اصلاح سواه، وإن اهملناه أفسد علينا كل اصلاح سواه....

وعندي أن من أعظم ما يؤسف عليه حرمان بلادنا من أعمال النساء الخيرية، لأن الميل إلى الخير من غرائز المرأة الفطرية، ويقودها إليه رقة الاحساس وحنو القلب، ولها من الصبر على خدمة الفقراء والمرضى ما لا يتحمله أعظم الرجال جلدا، ولها اعتناء جميل واندفاع قلبي، وهذه الصفات توجد عند النساء في الغالب، غير أن المرأة الجاهلة لا تجد من نفسها مرشدا يهديها إلى سبل الخير فتصرف ما أودعه قلبها من كنوز الرحمة في أصغر الأمور وأحقرها....

والناظر في الأحوال التي فضلت فيها شريعتنا الرجل على المرأة، مثل الخلافة والامامة، والشهادة في بعض الأحوال، لا يجد واحدة منها تتعلق بعيشتها الخصوصية وحريتها، وإن الشارع لم يراع في هذه المسائل القليلة إلا عدم الخروج بالمرأة عن وظيفتها في العائلة، وحصر الوظائف العمومية في الرجال، وهو تقسيم طبيعي جرى على مقتضاه إلى الآن التمدن في أوربا، ولا يوجد فيه شيء يمنع من ترقية المرأة والوصول بها إلى أعلى مرتبة تستحقها. وما من عاقل يدرك الغرض الصحيح من تلك الحقوق العظيمة التي خولتها الشريعة الإسلامية إلى المرأة في جميع الأعمال المدنية - ومنها اهليتها لأن تكون وصية على الرجل - يستحسن ما يخالفها من عوائدنا التي تؤدي إلى حرمان المرأة بالفعل من استعمال هذه الحقوق.

والقارئ الذي تتبع سلسلة القواعد الكلية التي سردها بغاية الإيجاز لابد أن يكون قد لاحظ أنها كلها تتلخص في عبارة واحدة: هي أنه لابد لحسن حال الأمة من أن تحسن حال المرأة. فإذا أرسل الناظر فكره ليحيط بأطراف هذا الموضوع الواسع وبجميع ما يرتبط به من المسائل انجلت له الحقيقة وتجلت له بجميع أسرارها فيرى صورة لا تشابه الخيال الذي كان يظنه جسماً، يرى المرأة التي يهيئها المستقبل تتلألأ في أنوار جمالها ظاهرة مظهرها الفطري ولابسة حلة كمالها النسائي : الجسم والعقل.

## يقول قاسم أمين في كتابه « المرأة الجديدة »<sup>(3)</sup> :

لا يمكن معرفة حال المرأة اليوم إلا بعد معرفة حالها في الماضي. تلك هي قاعدة البحث في المسائل الاجتماعية، فإننا لا يمكننا أن نقف على حقيقة حالنا في أي شأن من شؤوننا إلا بعد استقراء الحوادث الماضية والالمام بالأدوار التي تقلبت فيها، وبعبارة أخرى يلزم أن نعرف من أي نقطة ابتدأنا حتى نعلم إلى أي نقطة نصل....(ص 123)

..... عاشت المرأة حرة في العصور الأولى حيث كانت الانسانية لم تزل في مهدها ثم بعد تشكيل العائلة وقعت في الاستعباد الحقيقي.

ثم لما قامت الانسانية على طريق المدنية تغيرت صورة هذا الرق، واعترف للمرأة بشيء من الحق، ولكن خضعت لاستبداد الرجل الذي قضى عليها بأن لا تتمتع بالحقوق التي اعترف لها بها.

ثم لما بلغت الانسانية مبلغها من المدنية نالت المرأة حريتها التامة وتساوت المرأة والرجل في جميع الحقوق، أو على الأقل في معظمها.

أربعة أحوال يقابلها أربعة أدوار من تاريخ التمدن في العالم.



فالمرأة المصرية هي اليوم في الدور الثالث من حياتها التاريخية، بمعنى أنها في نظر الشرع إنسان حر له حقوق وعليه واجبات، ولكنها في نظر رئيس العائلة وفي معاملته لها ليست بحرة، بل محرومة من التمتع بحقوقها الشرعية، وهذه الحال التي عليها المرأة اليوم هي من توابع الاستبداد السياسي الذي كان يخضعنا ونخضع له..... (ص 132).

.... وهذا يدل على أن سلطان الأخلاق القديمة لا يزال نافذا في نفوسنا، وله أثر ظاهر في أعمالنا، فقوانيننا وضعت لأمة حرة، وأخلاقنا لا تزال أخلاق أمة مستترقة. لهذا نرى رجالا وردوا موارد العلم، وتنقلوا من مدرسة إلى مدرسة، ومن درجة إلى درجة، حتى حازوا على لقب علمي، وفقهاء يعلمون الحقوق، وشعراء من نوابغ العصر، على ما يقول العارفون بفنهم، وكتابا نصبوا أنفسهم لافادة الناس بجرائد تلقب بالعلمية أو الأدبية أو الفنية أو ما شئت من هذه الألقاب، وخطباء مشهورين بحب الحرية والاستقلال، رأينا جميع من ذكرنا عندما سمعوا القول بأن للمرأة حقا مهضوما، وأنها إنسان محروم، أخذوا يتساءلون : هل يسوغ لها أن تخرج من سجنها؟ أو يرفع عنها غطاء من جهلها؟ وبعد طول التساؤل رجعوا إلى ما هو مركزهم في طباعهم فأنكروا عليها هذا الحق، وحكموا عليها بأن تبقى في ظلمات الجهل وفي السجن المؤبد!.... (ص 133).

.... أما نحن فإننا لا ننظر إلى المرأة نظرننا إلى الرجل، ولم تستعد عقولنا إلى ادراك هذه الحقيقة الظاهرة وهي أن المرأة إنسان مثل الرجل، فجردناها عن استعمال جميع حقوق الانسان، وحرمانها من جميع مزايا الحياة الخاصة والعامة.... (ص 135).

.... يتعجب بعض الناس من طلبي تخويل الحرية للنساء، ويتساءلون : هل هن في قيد الرق ؟ ولو فهموا معنى الحرية لما اختلفوا معنا في الرأي.

ليس مرادنا أن نقول إن المرأة اليوم تباع وتشترى في الأسواق، لكن ليس الرقيق هو الانسان الذي يباح الاتجار به فقط، بل الوجدان السليم يقضي بأن كل من لم يملك قياد فكره و ارادته وعمله ملكا تاما، فهو رقيق.

لا أظن أن القارئ المنصف يختلف معي في الرأي إن قلت : إن المرأة في نظر المسلمين، على الجملة، ليست إنسانا تاما، وإن الرجل منهم يعتبر أن له حق السيادة عليها، ويجري في معاملته معها على هذا الاعتقاد، والشواهد على ذلك كثيرة.

فليس من الأدب في كثير من العائلات ان لا تقبل المرأة يد الرجل عند السلام عليه، ولا من الأدب أن يجلس النساء مع الرجال، ولا من الأدب أن يأكلن معهم، وقد رأيت مرارا بعيني أن الرجل يجلس على مائدة الطعام وامرأته قائمة تطرد الذباب عنه وبنته تحمل قلة الماء.

نعم ان معاملة الرجل للمرأة على هذه الطريقة الفظة المستهجنة تشاهد في الغالب في بعض الطبقات، خصوصا في بلاد الأرياف، لكن استعباد المرأة في الطبقات الأخرى وفي المدن موجود على أشكال أخرى.... (ص 139)

.... ولو أخذ المسلمون برأي الجهال من فقهاءهم، وهم أهل الرأي عندهم، لرأوا من الواجب عليهم أن يسجنوهن وان لا يسمحوا لهن بالخروج الا لزيارة الأقارب في العيدين، ورأوا من الأفضل أن لا تخرج من بيتها في جميع الأحوال، وقد عدوا من مفاخرهم أن لا تخرج المرأة من خدرها إلا محمولة إلى قبرها.

ولا شك أن تقرير الحق للرجل في سجن زوجته ينافي الحرية التي هي حق طبيعي للانسان.

والمرأة التي يسوقها والدها كالبهيمة إلى زوج لا تعرفه ولا تعرف شيئاً عن أحواله معرفة تسمح لها بأن تتبين حقيقة أمره وتحصل لنفسها رأياً فيه لا تعتبر حرة في نفسها، بل تعد في الحقيقة رقيقة، ومن المعلوم أن عموم الآباء في جميع طبقات الأمة يزوجون بناتهم على هذه الطريقة، فيتخابرون مع الخطاب ثم يعقدون عقد الزواج، اما هن فلا رأي لهن في هذا الأمر الخطير الذي تتعلق به سعادتهن وشقاؤهن في المستقبل، ولا يقال إن حال الرجل في ذلك كحال المرأة اذ هو أيضا لا يعلم من أحوال خطيبته شيئاً، إلا أن الرجل يمكنه أن يتخلص من عواقب جهله بأن يطلقها في أي وقت شاء أو يتزوج غيرها مثنى وثلاث ورباع، أما المرأة التي تبلى برجل لا ترضى نفسها بمعاشرته فليس لها إلى الخلاص منه سبيل، فتزويج المرأة برجل تجهله، وحرمانها حق التخلص منه، مع اطلاق الارادة للرجل في إمساكها وتسريحها كيف يشاء، هو استعباد حقيقي.

والمرأة التي يجب أن لا تتعلم الا فروض العبادة، كما يقول الفقهاء ومن أخذ عنهم، أو يجب الا تتعلم الا مقداراً محدوداً من مبادئ بعض العلوم، تحسب رقيقة، لأن قهر الغرائز الفطرية والمواهب الالهية على لزوم حد مخصوص ومنعها عن النمو إلى أن تبلغ الكمال الذي أعدت له، يعد استعباداً معنوياً.

والمرأة التي تلزم بستر أطرافها والأعضاء الظاهرة من بدنها بحيث لا تتمكن من المشي ولا من الركوب، بل لا تتنفس ولا تنظر ولا تتكلم الا بمشقة، تعد رقيقة، لأن تكليفها بالاندراج في قطعة من قماش إنما يقصد منه أن تمسخ هيئتها وتفقد الشكل الانساني الطبيعي في نظر كل رجل ماعدا سيدها ومولاها.

وبالجملة، فالمرأة من وقت ولادتها إلى يوم مماتها هي رقيقة، لأنها لا تعيش بنفسها ولنفسها، وإنما تعيش بالرجل وللرجل، وهي في حاجة إليه في كل شأن من شؤونها، فلا تخرج إلا مخفورة به، ولا تسافر إلا تحت حمايته، ولا تفكر إلا بعقله، ولا تنظر الا بعينه، ولا تسمع إلا بإذنه، ولا تريد الا بإرادته، ولا تعمل إلا بواسطته، ولا تتحرك بحركة إلا ويكون مجراها منه، فهي بذلك لا تعد انساناً مستقلاً، بل هي شيء ملحق بالرجل... (ص 140 - 141)

.... رأى العلماء أنه لا يصح الحكم على طبيعة المرأة ومبلغ استعدادها للكمال الانساني بآثارها التي صدرت منها إلى الآن. وإنما يصح ذلك بعد أن تملك من حريتها ما يملك الرجل وبعد أن تشتغل بتثقيف عقلها مدة من الزمن تساوي المدة التي قضاهـا

الرجال في تربية ملكاتهم العقلية والأدبية، غير أنهم حكموا بأن المرأة ليست مثل الرجل في الخلقة وأنه يوجد بين الصنفين اختلافات تشريحية وفيسيولوجية يمتاز بها كل صنف عن الآخر، ولكن ليس في هذه الاختلافات ما يدل على أن أحد الصنفين أرقى من الآخر أو أحط منه....

فالمرأة في رأي أعظم العلماء وأدقهم بحثاً مساوية للرجل في القوى العقلية، وتفوقه في الاحساسات والعواطف. وإنما يظهر للناظر وجود فرق عظيم بينهما في العقل لأن الرجال اشتغلوا أجيالاً عديدة بممارسة العلم فاستنارت عقولهم وتقوت عزيمتهم بالعمل بخلاف النساء فإنهن حرمن من كل تربية، فما يشاهد الآن بين الصنفين من الفروق هو صناعي لا طبيعي.

لا نريد بهذا التساوي أن كل قوة في المرأة تساوي كل قوة في الرجل وكل ملكة فيها تساوي كل ملكة فيه، ولكننا نريد أن مجموع قواها وملكاتها يكافئ مجموع قواه وملكاته، وإن كان يوجد خلاف كبير بينهما، لأن مجرد الخلاف لا يوجب نقص أحد المتخالفين عن الآخر.

فعلى أي دليل علمي يستند الرجال لاستعباد النساء، وبأي حق جاز لهم أن يحرموهن من حريتهن؟ لنفرض جدلاً أن عقل المرأة أقل من عقل الرجل، فهل نقصان العقل في شخص يبيح أن يجرد من حريته؟ ألا يوجد بين أفراد الرجال اختلاف في العقول أكبر من الاختلاف الموجود الآن بين الرجال والنساء؟ أليس عقل المصري

يختلف باختلاف طبقات الأمة المصرية، ومع ذلك نرى جميع الرجال متساوين في تمتعهم بحريتهم البدنية؟ ألا يوجد بين نساءنا المصريات من هن أكبر عقلا وأكمل أخلاقا من أزواجهن أو آبائهن أو أبنائهن؟.

لا يصح أن يكون اختلاف العقول سببا لتجريد الانسان عن حريته، بل الذي يجر إليه الاختلاف إنما هو أن يعلو فكر على فكر فيقوده بقوة الاقناع أو تسود إرادة على إرادة بقوة الاستمالة حتى تسخرها على طوع منها....(ص 144 و 146)

\*\*\*\*\*

---

(1) صدر كتاب «تحرير المرأة» سنة 1899م  
أنظر الاعمال الكاملة لقاسم أمين، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمارة الجزء  
الثاني، ابتداء من ص 11 الى ص 17. المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت،  
لبنان، 1976.

(2) الاعمال الكاملة، ج 2، ص، 78-79.

(3) صدر كتاب «المرأة الجديدة» سنة 1900م  
أنظر الاعمال الكاملة لقاسم أمين، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمارة الجزء  
الثاني، ابتداء من ص 123 الى ص 146. المؤسسة العربية للدراسة والنشر،  
بيروت، لبنان، 1976.



## تعدد الزوجات(\*)

للأستاذ محمود شلتوت

تعدد الزوجات إحدى المسائل التي كان لصوت الغرب المتعصب، ودعايته المسمومة أثر في توجيه الأفكار إلى نقدها، حتى حاول فريق من أبناء المسلمين في فترات متعاقبة - ولا يزالون يحاولون - وضع تشريع لها يقيد من إطلاقها بما لم يقيد به الله به.

وقد وقعت هذه المسألة بين نص تشريعي، وحالات اجتماعية، وقد تجازبت كلا منهما الأفهام و التقديرات.

فبينما نرى بعض الناظرين في النص الشرعي يقرر أن الأصل في تعدد الزوجات هو الحظر. وأنه لا يباح إلا لضرورة ملجئة، نرى بعضا آخر يقرر أن الأصل هو الإباحة، وأنه لا يحظر إلا إذا خيف أن يغلب خيره شره.

وبينما نرى بعض الباحثين الاجتماعيين، يقرر - كما أسلفنا - أن تعدد الزوجات جريمة اجتماعية تقع على الأسرة والأمة فيجب الحد منها بقدر المستطاع، نرى آخر يقرر أن هذا إسراف في تقرير الواقع، وتحكيم لحالات شاذة لا يصح أن تتخذ أساسا للحد من

(\*) الفصل الثاني من كتاب «الاسلام عقيدة وشرعية» للأستاذ محمود شلتوت، ط، 16، القاهرة، 1992.

تشريع له من الآثار الطيبة في الحياة الخلقية والاجتماعية معا ما يربو كثيرا عن تلك الحالات الشاذة.

هذا هو وضع المسألة، وهو يقتضينا عرض الموضوع من ناحيتيه : الشرعية والاجتماعية، وأن نزن جانبي التفكير في كل من الناحيتين بميزان العدل الذي طلبه الله في كتابه وقضى به في خلقه، وبذلك يجيء الكلام في :

أولهما : تعدد الزوجات في ظل النصوص الشرعية.

ثانيهما : التعدد في ظل الحالات الاجتماعية الواقعة.

### أولا : التعدد في ظل النصوص الشرعية

التعدد شرعة قديمة :

١ - مما لاشك فيه أن القرآن جاء بمشروعية تعدد الزوجات، ونراه في الآية الثالثة من سورة النساء : ﴿وإن خفتن ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ (١).

وقد جاء متصلا بها الآية 129 من السورة نفسها : ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم. فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان عفورا رحیما﴾ (2).

والإسلام لم يكن في شرع تعدد الزوجات، ولا في شرع أصل الزواج مبتكرا لشيء لم يكن معروفا من قبل، وهذا شأنه في كثير

من وجوه المعاملات والارتباطات البشرية التي تقضي بها طبيعة الاجتماع، وإنما كان مقررا ما تقتضيه الطبيعة من ذلك معدلا فيها بما يرى من جهات التهذيب التي تكفل للطبيعة الوقوف في الحد الوسط، وتقفيها شر الانحراف والميل، وتحفظ للاجتماع خير مقتضيات هذه الطبيعة.

عرف الزواج في طبيعة البشر الأولى، وعرف كذلك تعدد الزوجات في الحقب الماضية، وكان له في كثير من الشرائع السماوية وجود واسع، وامتداد إلى عدد كثير، كما يحدثنا التاريخ عن ابراهيم، ويعقوب، وداود، وسليمان، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين.

وكما يحدثنا عن العرب وغيرهم من أكثر بلاد المعمورة حتى عند أهل أوربا، فقد كان مباحا عندهم إلى عهد شرلمان الذي كان متزوجا بأكثر من واحدة، ثم أشار القساوسة في ذلك الوقت على المتزوجين بأكثر من واحدة أن يختاروا لهم واحدة من بينهن، يطلق عليها «زوجة» ويطلق على غيرها اسم «خدن».

ومن هنا أخذ التعدد في أوربا لونا بغيضا يقزز النفس، ويحرج الصدر، وينزل بالخلق، وهكذا ظل التعدد محظورا عندهم بالارتباط الشريف مباحا بالمخادنة.

### حكمة التعدد :

2- هذا وللباحثين في تعليل تعدد الزوجات آراء. فمنهم من يرى أنها أثر لأثرة طبع عليها الرجل بالنسبة للمرأة، تدفعه هذه الأثرة

إلى الإستيلاء على ما يستطيع الاستيلاء عليه من النساء، وظاهر أن هذه الأثرة إن صح وجودها وصح التعليل بها لظاهرة تعدد الزوجات، فمن الواضح أنها لا تهدف إلى مجرد الاستيلاء والحوز إنما تهدف إلى تلبية طبيعة خلق عليها الرجل، وهذا يوضحه التعليل الآخر وهو : أن التعدد أثر لعامل جنسي في طبيعة الذكر والأنثى، يقضي هذا العامل باستمرار القوة الفاعلة واتساع الأمد في استعدادها، ويقضي في الوقت نفسه بطرود فترات يعدم فيها استعداد القابلية في المرأة كفترات الحيض، والحمل والوضع والنفاس، ويقضي بقصر الأمد في استعداد القابلية فيها عن أمد استعداد الفاعلية في الرجل، فإن أمد الاستعداد عندها ينتهي ببلوغها سن اليأس المحدد في أكثر حالاته بالوصول إلى العقد السادس، وبهذا تظل القوة الفاعلة مهددة للرجل في صحته، أو خلقه، أو فيهما معا، مدة قد تصل إلى أربعين سنة أو خمسين. ومن العلماء من يرى أنها لسنة كونية قضت بسخاء الطبيعة على الوجود بالأنثى أكثر من سخائها بالرجل، وقضت أيضا بقسوة الطبيعة على الرجال قسوة جعلت تعداد متوفيهم أكثر من تعداد متوفى الإناث. وإذا لم يكن من عوامل تلك القسوة سوى تلك الحروب التي تشن على الدوام غاراتها في أرجاء العالم لكفت في تحقق هذه القسوة، فما بالناس إذا ضم إلى ظاهرة الحرب التي تغتال الرجال وتجعل كثرة الأمم أطفالا ونساء، ظاهرة التعرض لمازق الحياة المرهقة وبخاصة في طبقات العمال الذين يباشرون أعمالهم بين الحديد والنار، وفي قاع البحار وأمواجها، وفي ظلمات المناجم وصيفها، وفي رفع أنقاض البيوت المهدمة وقطع الأحجار ونقلها وما إلى ذلك مما لا تعرف فيه عاملا سوى الرجل، ومما لا تؤمن فيه السلامة من الموت والهلاك.

الشريعة هذبت ما تقضي به الطبيعة :

3 - هذه هي تعليقات تلك الظاهرة الاجتماعية فيما يرى العلماء والباحثون، وهي تعليقات يرسمها الواقع المحس بحروف واضحة على صفحة الوجود، وبها استقر تعدد الزوجات شأنًا اجتماعيًا قديمًا، واستمر إلى الإسلام فلم تنقض شريعة الإسلام فيه ما تقضي به الطبيعة وهو أصل التعدد، وإنما هذبت من ناحيتين :

وقفت به عند عدد يكفل حاجة الرجل على وجه لا يؤثر فيه طروء الفترات التي تعدم فيها قابلية المرأة.

وأوجبت على الرجل أن يعدل في مطالب الحياة بين هذه الزوجات حتى يكون أعون على بقاء أصل الهدوء والاطمئنان، وأبعد عن الظلم والميل والانحراف، وهذا قدر اتفقت عليه النصوص الشرعية وأجمع عليه فقهاء الشريعة، واقرأ فيها قوله تعالى : **﴿مثنى وثلاث ورباع﴾**<sup>(3)</sup> وقوله : **﴿فإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة﴾**<sup>(4)</sup> وقوله : **﴿فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾**<sup>(5)</sup>.

وقد يكون من أعجب ما استنبط من هذه الآيات أنها تدل على أن التعدد غير مشروع، بحجة أن العدل جعل شرطاً فيه بمقتضى الآية الأولى، وأنبأت الآية الثانية أن العدل غير مستطاع، وبذلك حال معنى الآيتين : يباح التعدد بشرط العدل، والعدل غير مستطاع، فلا إباحة للتعدد.

وواضح أن هذا عبث بآيات الله، وتحريف لها عن مواضعها؛ فما كان الله ليرشد إلى تزوج العدد من النساء عند الخوف من ظلم

اليتامى ويضع العدل بين الزوجات شرطا في التعدد بأسلوب يدل على استطاعته والقدرة عليه ثم يعود وينفي استطاعته والقدرة عليه.

#### المعنى الصحيح للآيتين :

4- وإذن فتخريج الآيتين الذي يتفق وجلال التنزيل وحكمة التشريع، ويرشد إليه سياقهما وسبب نزول الثانية منهما أنه لما قيل في الآية الأولى : «فإن خفتم ألا تعدلوا» فهم منه أن العدل بين الزوجات واجب، وتبادر إلى النفوس أن العدل بإطلاقه ينصرف إلى معناه الكامل الذي لا يتحقق إلا بالمساواة في كل شيء، ما يملك وما لا يملك، فتخرج بذلك المؤمنون، وحق لهم أن يتخرجوا؛ لأن العدل بهذا المعنى الذي تبادر إلى أذهانهم غير مستطاع، لأن فيه ما لا يدخل تحت الاختيار، فجاءت الآية الثانية ترشد إلى العدل المطلوب في الآية الأولى، وترفع عن كواهلهم هذا الحرج الذي تصوره من كلمة «فإن خفتم ألا تعدلوا».

وكأنه قيل لهم : العدل المطلوب ليس هو ما تصورتهم فضاقت به صدوركم، وبه تخرجتم من تعدد الزوجات الذي أباحه الله لكم، ووسع به عليكم، وإنما هو : ألا تميلوا إلى إحداهن كل الميل، فتذروا الأخرى كالمعلقة.

فهذا بيان إلهي كان ينتظره المؤمنون بعد نزول الآية الأولى، وفهمهم منها ما فهموا، ويرشد إلى هذا قوله تعالى في مفتتح الآية الثانية : «ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن»، ثم عدد



أمورا كانت موضع استفتائهم، وكان خاتمها قوله تعالى : ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾.

#### عمل الأمة أوضح شاهد :

وبهذا يتضح جليا أن الآية الثانية تتعاون مع الآية الأولى على تقرير مبدأ التعدد بما يزيل التحرج منه، وفي ضوء هذا المبدأ عدد النبي صلى الله عليه وسلم زوجاته، وعدد الأصحاب والتابعون زوجاتهم، ودرج المسلمون في جميع عصورهم وبجميع طبقاتهم يعددون الزوجات متى شاءوا، ويرونه مع العدل الذي طلبه الله من الأزواج، حسنة من حسنات الرجال إلى النساء، وحسنة إلى الرجال أنفسهم، وحسنة إلى الأمة جميعا.

ومضت على ذلك سنة المسلمين أربعة عشر قرنا وجد فيها الأئمة المجتهدون في جميع الأمصار، ودونت مذاهبهم، وخدمت بالنشر والتعليم، جيلا بعد جيل، ولم نسمع عن أحد من هؤلاء جميعا أن الآية الثانية تنقض أو تحاول أن تنقض شيئا قررته الآية الأولى، وإنما هي توضيح وبيان لما طلب فيها من العدل الذي جعل الخوف من عدمه موجبا لالتزام الواحدة.

#### تقرير العدل إلى الفرد :

5- وكانوا جميعا مع ذلك يعرفون أن قوله تعالى : ﴿فإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة﴾ خطاب موجه للأفراد في شأن لا يعرف إلا من جهتهم يرجعون فيه إلى نفوسهم، ويتحاكمون فيه إلى نياتهم

وعزائمهم، وليس له من الأمارات الصادقة المطردة أو الغالبة ما يجعل معرفته وتقديره داخليين تحت سلطان الحاكم حتى يرتب على تلك الامارات تشريع المنع أو الاباحة.

وكم من شخص يرى بأمارات تدل على غلظ الطبع ثم يكون في المعاشرة أو الاقتران مثالا حيا لحسن العشرة والقيام بالواجب.

وإذن فالشخص وحده هو المرجع في تقدير خوفه من عدم العدل، وهو المطالب فيما بينه وبين الله بتطبيق الحكم المناسب لما يعرف من نفسه ولا سبيل ليد القانون عليه، وشأنه في ذلك، هو شأنه في سائر التكاليف التي تحاكم الشريعة فيها المؤمن إلى نفسه، كالتييمم، أو الإفطار في رمضان إذا خاف المرض أو زيادته باستعمال الماء أو الصوم.

### متى يتدخل القانون؟

6 - نعم يجد القانون سبيله إلى من تزوج فعلا بالثانية أو الثالثة، ووقع منه الجور على إحدى زوجاته، وأعلنت الحاكم بضررها وعندئذ يتدخل القانون بالردع والزجر ثم بالحكمين، وما رسم الله من طرق الوفاق بين الزوجين، حتى إذا ما استحكم الشقاق وتكرر الجور، وتبين أنه لا سبيل إلى إزالته فللقاضي أن يقطع هذه الزوجية بالتفريق، وهذه الحالة قد كفلتها الشريعة بما سنت من وجوه التعزير. وكفلها القانون حينما أخذ بمذهب الامام مالك في تقرير مبدأ التطليق بالضرر<sup>(6)</sup>.

### الأصل إباحة التعدد :

7- وإلى هنا يتضح جلياً أن القول والعمل يدلان من عهد التشريع على أن التعدد مباح ما لم يخش المؤمن الجور في الزوجات، فإن خافه، وجب عليه تخليصاً لنفسه من إثم ما يخاف أن يقتصر على الواحدة، ويتضح أيضاً أن إباحة التعدد لا تتوقف على شيء وراء أمن العدل وعدم الخوف من الجور، فلا يتوقف على عقم المرأة، ولا مرضها مرضاً يمنع من تحصن الرجل، ولا على كثرة النساء كثرة ينفرط معها عقد العفاف. نعم، يشترط في الزوجة الثانية ما يشترط في الأولى من القدرة على المهر والنفقة.

هذا وقد وضعت الآية تعدد الزوجات في موضع الأصل في طريق التخلص من عدم القسط في اليتامى. ثم ذكر الاقتصار على الواحدة عند طروء الخوف من عدم العدل بين الزوجات، ومن هذا كان لنا أن نقول : إن الأصل في المؤمن العدل، وبه يكون الأصل إباحة التعدد، وأن الجور شيء يطرأ على المؤمن فيخافه وبه يوجد ما يوجب عليه أن يقتصر على الواحدة.

ويلتقي هذا مع ما قرره الباحثون في تحليل ظاهرة التعدد في الزوجات كما سلف، وأن التعديل في جملته وتفصيله يقضي بتعدد الزوجات، إما بالنظر إلى حاجة الشخص، أو حاجة المرأة.

ولو كان الأمر على عكس هذا لكان أسلوب الآية هكذا : إن خفتن ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا واحدة من غيرهن، فإن كان بها عقم أو مرض، واضطررتم إلى غيرها فمثنى وثلاث ورباع.

ولفات بذلك الغرض الذي ربط به تشريع تعدد الزوجات من قصد التوسعة عليهم في ترك اليتامى حين الخوف من عدم الاقساط فيهن.

ولكان الأسلوب على هذا الوجه هو الأسلوب الذي عهد للقرآن في إباحة المحرم عند الضرورة الطارئة، وذلك كما نراه في مثل قوله تعالى : «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير...» إلى أن قال : «فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم».

ولدت الآية بهذا على أن التزام الواحدة هو الأصل والواجب، وأن إباحة التعدد إنما تكون عند الضرورة.

ولكن شيئاً من ذلك لم يكن، فإن أسلوب الآية كما ترى، وضع التعدد أولاً طريقاً للخلاص من التحرج في اليتيمات، ثم علقت الواحدة على طروء حالة هي الخوف من عدم العدل.

وعليه فلا دلالة في الآية على أن المطلوب في الأصل هو التعدد أو الواحدة، وهذا إذا لم نقل إن الأصل والمطلوب هو التعدد، تلبية للعوامل التي طبع عليها الرجل والاجتماع البشري والتي قضت بظاهرة تعدد الزوجات في قديم الزمن وحديثه.

وبعد؛ فلو كان التعدد مقيدا بشيء مما يذكرون وراء الخوف من عدم العدل، والمسألة تتعلق بشأن يهم الجماعة الانسانية وتمس الحاجة إلى بيان شرطها وبيانها لما أهمل هذا التقييد من المصادر

التشريعية الأولى الأصلية، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم مع الذين أسلموا ومعهم فوق الأربع موقف آخر وراء التخيير في إمساك أربع ومفارقة الباقي، وللزم أن يبين لهم - والوقت وقت وحي وتشريع - أن حق إمساك الأربع أو الزائد عن الواحدة مشروط بالعقم، أو المرض أو القدرة على تربية ما قد يلد الرجل من زوجاته المتعددات، وعلى الانفاق على من تجب عليه نفقته من أصوله وفروعه وسائر أقاربه، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن، فدل كل هذا على أن التعدد ليس مما يلجأ إليه عند الضرورة، وليس مما يتوقف إباحته على شيء غير أمن العدل بين الزوجات، فيما يدخل تحت قدرة الانسان من النفقة والمسكن والملبس.

### كلمة للغزالي :

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نذكر كلمة للامام الغزالي فيما يتصل بتعدد الزوجات، وسبب إباحته بالنظر إلى العامل الجنسي، الذي سبق الكلام عليه في عرض آراء العلماء والباحثين في تعليل ظاهرة التعدد، قال : «ومن الطباع ما تغلب عليه الشهوة بحيث لا تحصنه المرأة الواحدة، فيستحب لصاحبها الزيادة عن الواحدة إلى الأربع، فإن يسر الله مودة ورحمة، واطمأن قلبه بهن وإلا فيستحب له الاستبدال». وعلى هذا عدد الأصحاب وقل فيهم من ليس له اثنتان.

ثم قال الغزالي : «ومهما كان الباعث معلوما فينبغي أن يكون العلاج بقدر العلة، فالمراد تسكين النفس فليُنظر إليه في الكثرة والقلة»، ويشير الغزالي بهذا إلى أن التعدد لتحسين النفس أمر

مرغوب فيه شرعا، أي مع أخذ النفس بالعدل الواجب بين الزوجات، ويشير أيضا إلى أن الذين يعددون زوجاتهم مجرد الانتقال من ذوق إلى ذوق، دون حاجة إليه في تحصين النفس، وعفتها عن المحرم يعملون عملا تأباه الشريعة، ويمقتة أدب الدين.

## ثانيا : التعدد في ظل الحالات الاجتماعية

### مشروع تقييد التعدد :

١ - يثور بين الحين والحين كلام كثير، بل حملات مدبرة، حول تعدد الزوجات وأضرارها الاجتماعية، ولم يقف الأمر عند الكلام، بل قامت حركات تطالب الحكومات بمنع التعدد أو تقييده، وكان من أبرزها الحركة التي قامت بها وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية سنة 1945، ووضعت مشروعا يقضي بتقييد تعدد الزوجات بإذن القاضي الشرعي بعد «الفحص والتحقيق من أن سلوك المتزوج الذي يريد أن يتزوج بأخرى، وأحوال معيشته يؤمن معها قيامه بحسن المعاشرة والانفاق على أكثر ممن في عصمته ومن تجب عليه نفقتهم من أصوله وفروعه».

وبالرجوع إلى المذكرات الايضاحية لهذا المشروع في أطواره الثلاثة يتبين أن لاحقها قد اعتمد على ما جاء في سابقها، وأنها كلها تدور حول أن التعدد مضيعة للأسر، مفسدة للنسل، وأنه يحمل الحكومة أعباء ثقيلة بكثرة المتشردين ومن لا عائل لهم، ويقطع أواصر الرحم والقرباة، وأنه لو لم يكن في إطلاقه سوى أنه دافع إلى إهمال تربية النشء، لكان ذلك داعيا إلى وضع نظام يقطع على غير القادرين طريق الإقدام عليه.



### أصحاب المشروع أهملوا محاسن التعدد :

2- وبهذا العرض الوجيز لتلك المذكرات يتضح أن أصحابها قد أهملوا النظر إلى مقتضيات التعدد ومحاسنه، وأغفلوها إغفالا تاما، وكان من واجبهم أن يعرضوا لها، وأن يقارنوا خير التعدد بشره، كما هو الشأن في موازنة خير الشيء بشره إذا كان له جانبا خير وشر، ثم يصدر عن حكمهم في الجانب الذي تظهر غلبته على الآخر.

ومن القواعد المقررة أن ما ترجح خيره على شره وجب المصير إليه، وأن الشر القليل بجانب الخير الكثير لا يعبأ به في مقام التشريع، وما من تشريع له خيره الكثير ولا يوجد بجانبه شر ولو ضئيلا، وأن الحياة الدنيا بطبيعتها لا يسلم خيرها مهما عظمت مقتضياته من شر تقضي به حالات الشذوذ التي لا تمنع تشريعا لجلب الخير الكثير.

### العدل المقصود في الآية :

3- وقد توسع أصحاب المشروع في معنى العدل المذكور في الآية : «فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة» فقالوا : إن التعدد لا يباح إلا حيث لا يخشى منه الجور، سواء أكان ذلك الجور يظن وقوعه بالزوجات أم بغيرهن، وبذلك اعتبروا في الإذن بالزوجة الثانية القدرة على الانفاق على من تجب نفقتهم عليه من الأصول والفروع، وعلى تربية الأبناء الذين سينجبهم من الزوجتين أو الثلاث، وهذا نوع غريب من التقييد فإن المفروض عند من يتزوج الثانية أو الثالثة أنه يدفع شرا عن نفسه باعتبار الفترات التي تفقد فيها المرأة

استعداد القابلية، ويدفع شرا عن أمته باعتبار ما تتركه السنة الكونية وضغط الحياة من النساء الكثيرات ولا ريب أن دفع حاجة نفسه المحققة وكذلك حاجة أمته المحققة مقدم في الاعتبار على نفقة أصوله وفروعه، ولا يتوقف على احتمال العجز عن تربية أبناء قد يأتون وقد لا يأتون، وإذا أتوا لا ندري ماذا أضمره المستقبل من سعادة أو شقاء، أو موت أو حياة.

والعدل وإن جاء مطلقا في الآية فالمقصود به خصوص العدل بين النساء كما صرحت به الآية الأخرى : ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء﴾.

وكما بينته الأحاديث الكثيرة الواردة في شأن القسم بين الزوجات، ولم يقل أحد من الفقهاء أنه يتناول الانفاق على الأصول والفروع، والقدرة على تربية الأبناء. والعدل بهذا المعنى - الذي يشهد به القرآن وتشهد به الأحاديث - مطلوب في ظل الغنى وظل الفقر، فالغني مطالب بالعدل بين زوجاته بما هو متعارف في بيئة الأغنياء، والفقير مطالب بالعدل بين زوجاته فلا يميل كل الميل فيترك الأخرى كالمعلقة، وبهذا يتضح أن تفسير العدل بما فسروه به تحريف للكلام عن مواضعه.

#### الأسباب الحقيقية للتشرد :

4 - أما ما يذكرون في التشرد فحسبنا في ندرة ارتباطه بتعدد الزوجات، أن نشير إلى ما جاء في إحصائية لمكتب الخدمة الاجتماعية نتيجة لبحث حالات التشرد وبيان الأسباب التي

تحدثه مع النسبة المئوية لكل سبب، فقد جاء فيها أنه ليس لتعدد الزوجات من حالات التشرد أكثر من 3٪. وهي تساوي تماما في هذه الاحصائية نسبة قسوة المنزل على الطفل، وقسوة المخدم على الخادم، ولا ريب أنها نسبة ضئيلة جدا لا يصح أن يذكر بإزائها أن للتشرد علاقة بتعدد الزوجات، وأن تتخذ تلك العلاقة أساسا للتفكير في وضع حد للتعدد مع ما للتعدد من فوائد إجتماعية تربو بكثير وكثير جدا عن هذه النسبة.

ونحن لا نشك في أن التشرد داء وبيل في المجتمع يجب علاجه، ووضع حد لاستئصاله والقضاء عليه إن أمكن، ويكون ذلك بمحاربة أسبابه الكثيرة الغالبة كال فقر، وسوء تربية الوالدين، وقسوة الصانع، والمخدم، وزواج أحد الوالدين بعد موت الآخر، والأوساط الفاسدة، وفساد أعصاب الطفل مع الجهل بقواعد الصحة إلى غير ذلك من الأسباب التي لا نحصىها، والتي لها النصيب الوافر في إحداث حالات التشرد، فعلى الحكومات الساهرة على مصالح الأمة أن يشتد ساعدها في محاربة تلك الأسباب، أما تعدد الزوجات فسبب تافه ليس له أثر يذكر في حالات التشرد حتى يقصد بالمنع أو التقييد، ونحن إذا نسبنا حالات التشرد الناشئة عن تعدد الزوجات إلى اللقطاء، والأطفال الموءودة التي يعثر عليها البوليس والناس في الشوارع والأزقة والتي نشأت كثرتها عن الاعراض عن الزواج، وعن تأيم كثير من النساء، لوجدنا أن الحال تدعو إلى إغفال هذه النسبة من التشرد إغفالا تاما، والعناية الكبرى بتطهير المجتمع من كثرة اللقطاء والموءودين، وتعرف أسبابها والقضاء عليها.

### عبرة من الغرب :

ولعلنا عندئذ نعرف ونعترف - كما عرف واعترف كتاب الافرنج أنفسهم - أن منع تعدد الزوجات له دخل كبير في ارتفاع اللقطاء والموءودين، وقد أدركوا ذلك وخطب به خطبائهم، ونادى به مصلحوهم في أوائل هذا القرن، وذلك في المؤتمر الذي عقده الحكومة الفرنسية سنة 1910 للبحث عن خير الطرق في مقاومة انتشار الفسق، وكان مما قيل في المؤتمر : إن عدد الأولاد اللقطاء المجموعين في ملاجئ مقاطعة «السين» وحدها، وجار تربيتهم فيها على نفقة المقاطعة بلغ خمسين ألف لقيط، وأن بعض القوام على هذه الملاجئ يفحشون بالبنات اللاتي تحت ولايتهم، وأن نفس اللقطاء يفحشون بعضهم ببعض ولا زاجر يزجرهم.

وكتبت كاتبة إنجليزية في هذا الشأن : لقد كثرت الشاردات من بناتنا، وعم البلاء، وقل الباحثون عن أسباب ذلك، وإذا كنت امرأة تراني أنظر إلى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزنا، فماذا يفيدهن بثي وحزني وتوجعي وإن شاركني فيه الناس جميعا؟

لا فائدة إلا في العمل بما يمنع هذه الحالة التعسة، ولله در العالم الفاضل «تومس» فإنه رأى الداء ووصف الدواء وهو إباحة الزوج بأكثر من واحدة للرجل، وبهذه الوسطة يزول البلاء وتصبح بناتنا ربات بيوت، فالبلاء كل البلاء في إجبار الرجل الأوروبي على الاكتفاء بواحدة، وهذا التحديد هو الذي جعل بناتنا شوارد، وقذف بهن إلى التماس أعمال الرجال، ولا بد من تفاقم الشر إذا لم يبح

للرجل المتزوج بأكثر من واحدة، ولو كان تعدد الزوجات مباحا لما نزل بنا هذا البلاء، وهكذا أخذت تندب حظ بنات جنسها اللائي حرم على الرجال أن يتزوجوا منهن على زوجاتهم.

هذه الحالة التي نادت بمعالجتها الحكومة الفرنسية ووصفتها هذه الكاتبة الغربية هي الحالة التي نخشى بحق تفاقمها عندنا. أولا : بإعراض الشباب عن الزواج الذي أصبح ديدنا لكثرتهم الغالبة، وثانيا : بمنع أو تقييد تعدد الزوجات.

هي الحالة التي امتلأت نفوس شبابنا اليوم بمقدماتها وبواعثها.

هي الحالة التي قصد القرآن علاجها حينما وضع الزواج وحث عليه، وحينما شرع التعدد ووسع فيه، بينما يقول في إغراء الرجال بالزواج : «وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين». يقول إغراء بتزويج النساء : «فانكحوهن بإذن أهلن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان».

فالسفاح والمخادنة هما رأسا البلاء الذي حل بالأمم الغربية ولم تجد علاجا في دينها وتشريعها فراححت تلتمس ما وضعه الاسلام من علاج وتشريع.

وما كان ليصح أن ننظر حين التشريع إلى جانب ضيق ضئيل ونترك هذا الجانب الذي تقضي به طبيعة الجنس، وتقضي به سنة الله في كونه، وبذلك نترك المرأة والرجل تحت ضغط الطبائع

والسنن فيضطران إلى مقارفة الأثم مدفوعين بالطبيعة والسنن. وما أدق وألطف تنبيهه الله إلى هذا الجانب بقوله : ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا﴾.

### درس من الشرق

وهذه أمة شرقية مسلمة نشأت في أحضان الاسلام، ثم تغلبت عليها نزعات الغرب، ولوت وجهها عن الاسلام، واتخذت قانونا مدنيا صدر بموجبه منع تعدد الزوجات، وكان ذلك سنة 1926 ولكن لم تمض - بعد - ثماني سنوات حتى هال أولياء الأمر فيها عدد الولادات السرية، وعدد الزوجات السرية العرفية وعدد وفيات الأطفال المكتومة. وانظر في معرفة الاحصائية لكل ذلك في مدة الثماني السنوات، عدد 556 من مجلة آخر ساعة في 3 من يونيه سنة 1945 للكاتب المصري المعروف الأستاذ محمد التابعي، وكان مقيما إذ ذاك بتركيا.

### الأرقام تتكلم :

5- هذا وإذا رجعنا مرة أخرى إلى الاحصائيات المتعلقة بعقود الزواج، وبحالات التعدد خاصة لوجدنا أن الحالة بحكم انصراف الشبان عن أصل الزواج، وخفة ميزان الفضيلة في نفوسهم قد أخذت في التخلص من فكرة الزواج فضلا عن فكرة التعدد، ونخشى إذا اضطرد الحال - ولا نخالها إلا مطردة - فتفشو العزوبة وينعدم التعدد، وعندئذ تكثر البلوى وتعظم الشكوى، ونصبح نلتمس أكثر مما التمسته الحكومة الفرنسية في سنة 1901 ونادى به إذ ذاك عقلاء الافرنج فلا يجد نداؤنا سميعا، ولا استغاثتنا مغيثا.



أما أن تعدد الزوجات يسير إلى نقص مطرد فيدل عليه جدول مصلحة الإحصاء المصرية سنة 1943 إذ نزلت نسبة التزويج باثنتين في مدة عشر سنوات من 4,49٪ إلى 2,95٪ والتزوج بالثلاث من 29٪ إلى 17٪، والتزوج بأربع من 4٪ إلى 02٪.

وهي حالة تنذر قطعاً بانقراض التعدد، واتجاه الناس إلى الانصراف عنه بعامل انصرافهم عن أصل الزواج، وهو الاكتفاء بسبيل الصداقة والمخادنة.

### حاجتنا إلى تشريع عكسي :

6- وإن مثل هذه الحالة جدير بأن يدفع بالأمة إلى التدهور الأخلاقي، الذي شكا منه الغربيون أنفسهم، وجربته دولة شرقية إسلامية، وهو مما يوجب على عقلاء الأمة - اتقاء للانتكاس الخلقي - أي يفكروا لا في منع التعدد أو تقييده وإنما في وضع حد أعلى للعزوبة بالنسبة لأصل الزواج ووضع تشريع عكسي في تعدد الزوجات أقل درجاته مساعدة الذين يتزوجون بأكثر من واحدة مساعدة تحفز غيرهم إلى السير في طريقهم، وتساعدهم على الانفاق على زوجاتهم وعلى أولادهم الذين ينسلون من هذه الزوجات إن لم يكونوا أرباب يسار يمكنهم من ذلك وأن التشريع لمنع ما يسير في طريق العدم بمقتضى الظروف والأحوال والأفكار الخاصة لا يتجه إليه في أصول التشريعات الحية، فإن التشريع يقصد أن يعرضهم للوقوع في بؤر الشر، مما تعظم بواعثه في نفوسهم، ولم نسمع أن تشريعاً يكون معيناً، أو محرصاً لاندفاع الناس في تلك الهاوي، ثم يجد من يعمل عليه أو يعمل على حمايته.

ولا ريب أن التشريع الذي يراد لتعدد الزوجات هو في الواقع بملاحظة ما تقدم أكبر معين للناس في التخلص من العلاقات الشريفة ذات الآثار الطيبة في الأخلاق والاجتماع اكتفاء بما يقع في أيديهم من أعراض لم تجد من يغار عليها أو يعمل على صيانتها.

### خطأ آخر لأصحاب المشروع :

7- بقي أن هذا المشروع قد اتخذ أصحابه الفقر وعدم القدرة علي تربية الأولاد والانفاق على من تجب على الشخص نفقته أساسا لتقييد التعدد، ومعناه أنهم يبيحون للغني أن يعدد كما يشاء، وليس للفقير أن يتزوج أخرى.

ولو كان يصح اتخاذ الغنى والفقر أساسا لإباحة التعدد ومنعه لكان الواجب عكس القضية بأن يباح للفقير ويمنع عن الغني؛ فإن الفقراء يطمئنون بعضهم إلى بعض ويتعاونون على تحصيل رزقهم، فيسعى الرجل بقدر استطاعته، وتسعى كل زوجة بقدر استطاعتها، وليس عنده ما يمكن أن يحابي به إحدى الزوجات عن الأخرى.

أما الغني فتتنظر زوجاته إلى غناه، ويجد من ذات يده ما يحابي به إحداهن، فيقع الشقاق بينهن وتتفكك عرى الأسرة، وما دام الرجل غنيا قادرا فهو عند غير المحبوبة منهن مظنة المحابة والميل، وأمر الفقير مكشوف لزوجاته يعلمون دخله وخرجه فليس محلا لهذه المظنة.

فمنشؤه غيرة طبيعية لا يمكن سلامة النفوس منها، وقد وجدت هذه الغيرة في أعلى طبقات النساء « أمهات المؤمنين »، ولم تمنع من تعددهن لما في تعددهن من خير يربو على شر هذه الغيرة.

كما وجدت أساليب الكيد في أعلى طبقات أولاد الضرائر « يوسف وإخوته »، ومثل هذا الشأن الطبيعي لا يمكن وقف التشريع لأجله تحصيلاً للفوائد العظيمة المترتبة على التشريع.

والله الذي يعلم أن الغيرة أمر طبيعي في نفوس الزوجات، شرع تعدد الزوجات في قديم الزمن وحديثه، ولم تر الحكمة الالهية أن وقوع الكيد فيما بينهما، وفيما بين أولادهن مانع من إقرار التعدد، فدل ذلك على أن مقاصد التعدد في نظر المشرع الحكيم تسمى بكثير عما يقع من الكيد والتباغض أثراً لهذه الغيرة الطبيعية.

على أن هذا التباغض الذي يقع بين الزوجات، يرى مثله كثيراً بين الزوجة وأحمائها، ومثل ذلك عفو في نظر التشريع، لأنه وإن كان شراً إلا أنه شر قليل لا يترك لأجله الخير الكثير.

### الشريعة لم تهمل :

8- والشريعة من وراء ذلك كله لم تهمل جانب المواعظ والارشادات والتعزيزات التي من شأنها تلطيف آثار الغيرة الطبيعية، وتوجب مع هذا على أولياء الأمر تهيئة وسائل العيش والتربية الصحيحة للفقراء وأولادهم، وترى أن التقصير في ذلك يقع أولاً بالذات على كاهل الحكومات الإسلامية التي لا تعمل على

إيجاد النسل القوي الصالح بتوسيع طرق العمل والصيانة. وبعد : فإذا كان الواقع أن الطبيعة تسخو بالنساء أكثر مما تسخو بالرجال، وتقسو على الرجال أكثر مما تقسو على النساء وأن الاتجاه الطبيعي للجماعات في كل العصور إلى القوة لا إلى الضعف، وأن الرجل تطرد قوته الفاعلية إلى حياة أطول مما تستعد له قابلية المرأة، وأن الرجل لا تعتريه فترات يفقد فيها استعداداته على نحو ما يعترى المرأة من هذه الفترات، وكان من الرجال من تغلب عليه جنسيته لا تحصنه المرأة الواحدة، وكان الغنى والفقر مرتبطين بأسباب أخرى وراء الزواج ترجع إلى العمل،

إذا كان هذا هو الواقع، كان بلاشك مما يقضي بترك الشريعة كما أرادها الله، لا تقيد إلا بما قيدها به من مراعاة العدل بين الزوجات في الحدود التي رسم صاحب الشريعة.

وبعد مرة أخرى : أي الأمرين أحق بالقبول؟ منع التعدد أو تقييده، فتكثر النساء ويندفعن تحت ضغط هذه الكثرة، وتحت الحرمان إلى الإخلال بالشرف، وإلى ما صارت إليه الأمة الشرقية حينما قلدت الغربيين فيما يختص بالولادات المكتومة، والزواج العرفي السري. هذا أم ترك الأمر على ما هو عليه ولو تزوج الرجل في كل بلدة واحدة، وكان له منهن جميعاً أولاد شرعيون، يعرفون نسبتهن إلى أبيهن، ويعرف الناس نسبتهن إلى أبيهن؟ زوجات متفرقات بأولاد شرعيين خير أم أخذان يبعن عرضهن في كل مكان، ولكل شخص وبأولاد غير شرعيين؟ أي الفريقين أحق بالقبول إن كنتم تعلمون؟

- (1) الآية 3 من سورة النساء.
- (2) الآية 129 من السورة نفسها.
- (3) الآية 3 من سورة النساء.
- (4) الآية السابقة.
- (5) الآية 129 من سورة النساء.
- (6) راجع المواد 6-11 من القانون رقم 25 لسنة 1929.

\*\*\*\*\*

## قول في تعدد الزوجات

نص من «تفسير المنار» للشيخ محمد رشيد رضا

قال محمد رشيد رضا في تفسير المنار، ج 4، ص 350/348 نقلا عن محمد عبده.

الأستاذ الامام : جاء ذكر تعدد الزوجات في سياق الكلام عن اليتامى والنهي عن أكل أموالهن ولو بواسطة الزوجية فقال إن أحسستم من أنفسكم الخوف من أكل مال الزوجة اليتيمة فعليكم أن لا تتزوجوا بها فإن الله تعالى جعل لكم مندوحة عن اليتامى بما أباحه لكم من التزوج بغيرهن إلى أربع نسوة ولكن إن خفتم أن لا تعدلوا بين الزوجات أو الزوجتين فعليكم أن تلتزموا واحدة فقط. والخوف من عدم العدل يصدق بالظن والشك فيه بل يصدق بتوهمه أيضا، ولكن الشرع قد يغتفر الوهم لأنه قلما يخلو منه علم بمثل هذه الأمور، فالذي يباح له أن يتزوج ثانية أو أكثر هو الذي يثق من نفسه بالعدل بحيث لا يتردد فيه أو يظن ذلك ويكون التردد فيه ضعيفا.

قال : ولما قال : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾<sup>(١)</sup> علله بقوله : ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾<sup>(١)</sup> أي أقرب من عدم الجور والظلم فجعل

(١) سورة النساء الآية، 3.



البعد من الجور سببا في التشريع وهذا مؤكد لاشتراط العدل ووجوب تحريره ومنبهه إلى أن العدل عزيز. وقد قال تعالى في آية أخرى من هذه السورة (129)، ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ وقد يحمل هذا على العدل في ميل القلب ولولا ذلك لكان مجموع الآيتين منتجا عدم جواز التعدد بوجه ما، ولما كان يظهر وجه قوله بعدما تقدم من الآية ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَنَزَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ والله يغفر للعبد ما لا يدخل تحت طاقته من ميل قلبه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يميل في آخر عهده إلى عائشة أكثر من سائر نسائه ولكنه لا يخصصها بشيء دونهن، أي بغير رضاهن وإذنهن وكان يقول : «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك» أي من ميل القلب (قال) فمن تأمل الآيتين علم أن إباحة تعدد الزوجات في الاسلام أمر مضيق فيه أشد التضيق كانه ضرورة من الضرورات التي تباح لمحتاجها بشرط الثقة بإقامة العدل والأمن من الجور. وإذا تأمل المتأمل مع هذا التضيق ما يترتب على التعدد في هذا الزمان من المفسد جزم بأنه لا يمكن لأحد أن يربي أمة فشا فيها تعدد الزوجات فإن البيت الذي فيه زوجتان لزوج واحد لا تستقيم له حال ولا يقوم فيه نظام، بل يتعاون الرجل مع زوجاته على إفساد البيت كأن كل واحد منهم عدو للآخر ثم يجيء الأولاد بعضهم لبعض عدو، فمفسدة تعدد الزوجات تنتقل من الأفراد إلى البيوت ومن البيوت إلى الأمة.

(قال) كان للتعدد في صدر الاسلام فوائد أهمها صلة النسب والصهر الذي تقوى به العصبية ولم يكن له من الضرر مثل ماله الآن لأن الدين كان متمكنا في نفوس النساء والرجال وكان أذى

الضرة لا يتجاوز ضررتها. أما اليوم فإن الضرر ينتقل من كل ضرة إلى ولدها إلى والده إلى سائر أقاربه فهي تغري بينهم العداوة والبغضاء : تغري ولدها بعداوة إخوته وتغري زوجها بهضم حقوق ولده من غيرها وهو بحماقته يطيع أحب نسائه إليه فيدب الفساد في العائلة كلها ولو شئت تفصيل الرزايا والمصائب المتولدة من تعدد الزوجات لأتيت بما تقشعر منه جلود المؤمنين فمناها السرقة والزنا والكذب والخيانة والجبن والتزوير بل منها القتل حتى قتل الولد والده والوالد ولده والزوجة زوجها والزوج زوجته، كل ذلك واقع ثابت في المحاكم، وناهيك بتربية المرأة التي لا تعرف قيمة الزوج ولا قيمة الولد وهي جاهلة بنفسها وجاهلة بدينها لا تعرف منه إلا خرافات وضلالات تلقفتها من أمثالها، يتبرأ منها كل كتاب منزل وكل نبي مرسل، فلو تربى النساء تربية دينية صحيحة يكون بها الدين هو صاحب السلطان الأعلى على قلوبهن بحيث يكون هو الحاكم على الغيرة، لما كان هنالك ضرر على الأمة من تعدد الزوجات وإنما كان يكون ضرره قاصرا عليهن في الغالب. أما والأمر على ما نرى ونسمع فلا سبيل إلى تربية الأمة مع فشو تعدد الزوجات فيها فيجب على العلماء النظر في هذه المسألة خصوصا الحنفية منهم الذين بيدهم الأمر وعلى مذهبهم الحكم فهم لا ينكرون أن الدين أنزل لمصلحة الناس وخيرهم وأن من أصوله منع الضرر والضرار، فإذا ترتب على شيء مفسدة في زمن لم تكن تلحقه فيما قبله، فلا شك في وجوب تغير الحكم وتطبيقه على الحال الحاضرة : يعنى على قاعدة درء المفسد مقدم على جلب المصالح، قال وبهذا يعلم أن تعدد الزوجات محرم قطعاً عند الخوف من عدم العدل.

## هل للمرأة أو وليها أن تشترط عدم التعدد؟

قال ابن القيم الجوزية في «زاد المعاد» ج : 5 ص : 117 :

واستأذنه بنو هشام بن المغيرة أن يزوجوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابنة أبي جهل، فلم يأذن في ذلك، وقال : «الا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي، وينكح ابنتهم، فانما فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها، اني أخاف أن تفتن فاطمة في دينها، واني لست أحرم حلالا، ولا أحل حراما، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله في مكان واحد أبدا» (1).

وفي لفظ فذكر صهرا له فأثنى عليه، وقال : حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي. فتضمن هذا الحكم أمورا :

أحدهما : أن الرجل اذا شرط لزوجه أن لا يتزوج عليها، لزمه الوفاء بالشرط، ومتى تزوج عليها فلها الفسخ، ووجه تضمن الحديث لذلك أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أن ذلك يؤذي فاطمة ويريبها، وأنه يؤذيه صلى الله عليه وسلم ويريبه، ومعلوم قطعا أنه صلى الله عليه وسلم انما زوجه فاطمة رضي الله عنها على أن لا يؤذيها ولا يريبها، ولا يؤذي أباه صلى الله عليه وسلم ولا يريبه، وان لم يكن هذا مشترطا في صلب العقد، فانه من المعلوم بالضرورة أنه انما دخل عليه، وفي ذكره صلى الله عليه وسلم صهره

الآخر، وثناءه عليه بأنه حدثه فصدقته، ووعدته فوقى له تعريض بعلي رضي الله عنه، وتهيج له على الاقتداء به، وهذا يشعر بأنه جرى منه وعد له بأنه لا يريبها ولا يؤذيها، فهيجه على الوفاء له، كما وفى له صهره الآخر.

فيؤخذ من هذا أن المشروط عرفا كالمشروط لفظا، وأن عدمه يملك الفسخ لمشترطه، فلو فرض من عادة قوم أنهم لا يخرجون نساءهم من ديارهم ولا يمكنون أزواجهم من ذلك البتة، واستمرت عاداتهم بذلك كان كالمشروط لفظا، وهو مطرد على قواعد أهل المدينة، وقواعد أحمد رحمه الله : أن الشرط العرفي كاللفظي سواء، ولهذا أوجبوا الأجرة على من دفع ثوبه إلى غسال أو قصار، أو عجينة إلى خباز، أو طعامه إلى طبّاخ يعملون بالأجرة، أو دخل الحمام، أو استخدم من يغسله ممن عادته يغسل بالأجرة ونحو ذلك، ولم يشترط لهم أجرة أنه يلزمه أجرة المثل، وعلى هذا، فلو فرض أن المرأة من بيت لا يتزوج الرجل على نسائهم ضرة، ولا يمكنونه من ذلك، وعاداتهم مستمرة بذلك، كان كالمشروط لفظا.

وكذلك لو كانت ممن يعلم أنها لا تمكّن ادخال الضرة عليها عادة لشرفها وحسبها وجلالتها، كان ترك التزوج عليها كالمشروط لفظا سواء.

وعلى هذا فسيده نساء العالمين، وابنة ولد آدم أجمعين أحق النساء بهذا، فلو شرطه علي في صلب العقد كان تأكيدا لا تأسيسا.

وفي منع علي من الجمع بين فاطمة رضي الله عنها، وبين بنت أبي جهل حكمة بديعة، وهي أن المرأة مع زوجها في درجته تبع له،

فان كانت في نفسها ذات درجة عالية، وزوجها كذلك، كانت في درجة عالية بنفسها وبزوجها، وهذا شأن فاطمة وعلي رضي الله عنهما، ولم يكن الله عز وجل ليجعل ابنة أبي جهل مع فاطمة رضي الله عنها في درجة واحدة لا بنفسها ولا تبعا، وبينهما من الفرق ما بينهما، فلم يكن نكاحها على سيدة نساء العالمين مستحسنا لا شرعا ولا قدرا، وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى هذا بقوله : «والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله في مكان واحد أبدا»، فهذا اما أن يتناول درجة الآخر بلفظه أو اشارته.

وفي ص : 211/209 :

وأما طلاق السكران، فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ - النساء : 43 ، فجعل سبحانه قول السكران غير معتبر، لأنه لا يعلم ما يقول، وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه أمر بالمقر بالزنى أن يستنكه ليعتبر قوله الذي أقر به أو يلغى.

وفي صحيح البخاري في قصة حمزة، لما عقر بعيري علي، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم، فوقف عليه يلومه، فصعد فيه النظر، وصوبه وهو سكران، ثم قال : هل أنتم الا عبيد لأبي، فنكص النبي صلى الله عليه وسلم على عقبيه، وهذا القول لو قاله غير سكران، لكان ردة وكفرا، ولم يؤخذ بذلك حمزة.

وصح عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال : ليس لمجنون، ولا سكران طلاق، رواه ابن أبي شبيب، عن وكيع، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن أبان بن عثمان، عن أبيه.

وقال عطاء : طلاق السكران لا يجوز، وقال ابن طاووس عن أبيه طلاق السكران لا يجوز، وقال القاسم بن محمد : لا يجوز طلاقه.

وصح عن عمر بن عبد العزيز أنه أتى بسكران طلق، فاستحلفه بالله الذي لا إله إلا هو : لقد طلقها وهو لا يعقل، فحلف، فرد إليه امرأته، وضربه الحد. وهو مذهب يحيى بن سعيد الانصاري، وحميد بن عبد الرحمان، وربيعه، والليث بن سعد، وعبد الله بن الحسن واسحاق بن راهويه، وأبي ثور، والشافعي في أحد قوليه، واختاره المزني وغيره من الشافعية ومذهب أحمد في إحدى الروايات عنه، وهي التي استقر عليها مذهب، وصرح برجوعه اليها، فقال في رواية أبي طالب : الذي لا يأمر بالطلاق، إنما أتى خصلة واحدة، والذي يأمر بالطلاق، فقد أتى خصلتين حرمها عليه، وأحلها لغيره، فهذا خير من هذا، وأنا أتقى جميعا. وقال في رواية الميموني : قد كنت أقول : ان طلاق السكران يجوز حتى تبينته فغلب علي : أنه لا يجوز طلاقه، لأنه لو أقر، لم يلزمه، ولو باع، لم يجز بيعه قال : وألزمه الجناية، وما كان من غير ذلك، فلا يلزمه، قال أبو بكر عبد العزيز : وبهذا أقول، وهذا مذهب أهل الظاهر كلهم، واختاره من الحنفية أبو جعفر الطحاوي، وأبو الحسن الكرخي.

وقال في ص : 215/214 :

وأما طلاق الاغلاق، فقد قال الامام أحمد في رواية حنبل : وحديث عائشة رضي الله عنها : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا طلاق ولا عتاق في اغلاق»، يعنى الغضب، هذا نث أحمد



حكاه عنه الخلال وأبو بكر في « الشافى » و« زاد المسافر »، فهذا تفسير أحمد.

وقال أبو داود في سننه : أظنه الغضب، وترجم عليه : « باب الطلاق على غل 7 »، وفسره أبو عبيد وغيره : بأنه الاكراه، وفسره غيرهما : بالجنون وقيل : هو نهى عن ايقاع الطلقات الثلاث دفعة واحدة، فيغلق عليه الطلاق حتى لا يبقى منه شيء، كغلق الرهن، حكاه أبو عبيد الهروي.

قال شيخنا : وحقيقة الاغلاق : أن يغلق على الرجل قلبه، فلا يقصد الكلام، أن لا يعلم به، كأنه انغلق عليه قصده واراادته، قلت : قال أبو العباس المبرد : الغلق : ضيق الصدر، وقلة الصبر بحيث لا يجد مخلصا.

قال شيخنا : ويدخل في ذلك طلاق المكره والمجنون ومن زال عقله بسكر أو غضب، وكل من لا قصد له ولا معرفة له بما قال.

والغضب على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما يزيل العقل، فلا يشعر صاحبه بما قال، وهذا لا يقع طلاقه بلا نزاع.

الثاني : ما يكون في مباديه بحيث لا يمنع صاحبه من تصور ما يقول وقصده، فهذا يقع طلاقه.

الثالث : أن يستحكم ويشتد به، فلا يزيل عقله بالكلية، ولكن يحول بينه وبين نيته بحيث يندم على ما فرط منه إذا زال، فهذا محل نظر، وعدم الوقوع في هذه الحالة قوي متجه.

\*\*\*\*\*

- (1) هذه رواية البخاري رقم 5230، وسنده :
- حدثنا قتيبة : حدثنا الليث، عن ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : وهو على المنبر : الحديث كما أورده ابن القيم.
- وللحديث طرق أخرى عند كل من أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وأبو داود والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان والطبراني، والبيهقي، فمن طريق ابن أبي مليكة :
- البخاري « الصحيح » - ج : 3، ص 144، ك : فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ب : مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم منقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم.
- ج : 3714 :
- حدثنا أبو الوليد : حدثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني ».
- ومسلم في « الصحيح » ج 4، ص : 1902، ك : فضائل الصحابة ب : فضائل فاطمة بنت النبي عليهما الصلاة والسلام، ح 2449 :
- حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس وقتيبة بن سعيد، كلاهما عن الليث بن سعد، قال ابن يونس : حدثنا ليث، حدثنا عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة القرشي التيمي، أن المسور بن مخرمة حدثه : وساق مثل حديث البخاري المتقدم رقم (5230) سواء.
- و - ص : 1903، من طريق آخر :
- حدثني أبو معمر، اسماعيل بن إبراهيم الهذلي، حدثنا سفيان عن عمرو، عن ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما أذاها ».
- والترمذي في « الجامع الصحيح » - ج : 5 ص 698، ك : المناقب ب : (61) فضل

فاطمة بنت محمد صلى الله عليهما وسلم ح : 3876 - :وساق مثل حديث البخاري المتقدم رقم (5230) بنفس الاسناد واللفظ. وعقب عليه : هذا حديث حسن صحيح، وقد رواه عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة نحو هذا.

و - ص : 699/698 ح : 3869، قال :

حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا اسماعيل بن عليه عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير أن عليا ذكر بنت أبي جهل، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «انما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما أذاها، وينصيني ما أنصباها».

وعقب عليه : حديث حسن صحيح.

هكذا قال أيوب عن ابن أبي مليكة عن الزبير، وقال غير واحد عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة، ويحتمل أن يكون ابن أبي مليكة روى عنهما جميعا.

وأبو داود في «السنن» - ج : 2 ص : 226، ك : النكاح ب : ما يكره أن يجمع بينهن من النساء» - ج : 2071 - :

حدثنا أحمد بن يونس وقتيبة بن سعيد، قال أحمد :

حدثنا الليث، حدثني عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة القرشي التيمي وساق مثل حديث البخاري المتقدم رقم (5230) سواءا.

و - ص : 226 ح : 2070 - :

حدثنا محمد بن يحيى بن فارس، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري، عن عروة وعن أيوب، عن ابن أبي مليكة بهذا الخبر، قال : فسكت علي عن ذلك النكاح.

والنسائي في «السنن الكبرى» - ج : 5 ص : 97 ك : المناقب ب : مناقب فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم (رضي الله عنهما)، ح : 8370 - :

أخبرنا قتيبة بن سعيد قال : أنبأنا الليث عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «أما فاطمة بضعة مني يربيني ما أرابها، ويؤذيني ما أذاها».

و - ح : 8371 - :

حدثنا الحارث بن مسكين قراءة عليه عن سفيان عن عمرو بن أبي مليكة المسور بن مخرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ان فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني».

وابن ماجة في «السنن» - ج : 1 ص : 644/643، ك : النكاح ب : الغيرة، ح : 1998 - :

حدثنا عيسى بن حماد المصري، أنبأنا الليث بن سعد، عن عبد الله ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة. وساق طرفاً من مثل حديث البخاري رقم (5230). وابن حبان في «علاء الدين الفارسي» الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ج 15، ص 406/405، ك : (61) مناقب الصحابة ب : ذكر زجر المصطفى صلى الله عليه وسلم أن ينكح علي على فاطمة، ح : 6955 - :

حدثنا الفضل بن الحباب، حدثنا أبو الوليد الطيالسي، حدثنا ليث بن سعد، حدثنا ابن أبي مليكة، وساق مثل حديث البخاري المتقدم رقم (5230) سواءاً. والطبراني في «المعجم الكبير»، - ج : 22 ص : 404، ح : 1010 - : حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث، حدثني عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة القرشي أن المسور بن مخرمة أخرجه. وساق طرفاً من الحديث. - ح : 1011 - :

حدثنا موسى بن هارون، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة، وساق طرفاً من الحديث. - ح : 1012 - :

حدثنا أحمد بن محمد الخزاعي الأصبهاني، حدثنا أبو الوليد الطيالسي، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة وساق طرفاً من الحديث. والبيهقي في «شرح السنة»، - ج 14 ص : 158، ب : مناقب فاطمة الزهراء رضي الله عنها، ح : 3957 - :

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن اسماعيل، حدثنا أبو الوليد، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني». وعقب عليه : هذا حديث حسن. - ح : 3958 - :

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن اسماعيل، حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر : «إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا أذن، ثم لا أذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن

يطلق ابنتي، وينكح ابنتهم، فانما هي بضعة مني يريبنني ما أرابها، ويؤذيني ما أذاها».

وعقب عليه : هذا حديث متفق على صحته، أخرجه مسلم أيضا عن قتيبة عن ليث، عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة القرشي التيمي، وقال : « يريبنني ما أرابها ».

قال الفراء : راب وأراب بمعنى واحد، ويقال : أرابني، أي شككني وأوهمني فاذا استيقنت قلت : رابني.

ومن طريق علي بن الحسين، أخرجه كل من :

أحمد في « المسند » - ج 6 ص : 492، ح 18933 :

حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي قال : سمعت النعمان يحدث الزهري عن علي بن حسين عن المسور بن مخرمة أن عليا خطب ابنة أبي جهل، فوعد بالنكاح، فأتت فاطمة النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت : ان قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك، وان عليا قد خطب ابنة أبي جهل، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه، وقال : « انما فاطمة بضعة مني، واني أكره أن تفتنوها ». وذكر أبا العاص بن الربيع فأكثر عليه الثناء، وقال : « لا يجمع بين ابنة نبي الله وبنت عدو الله » فرفض ذلك.

و - ح : 18934 - :

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري، أخبرني علي بن حسين أن المسور بن مخرمة أخبره أن علي بن أبي طالب خطب ابنة أبي جهل، وعنده فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت له : ان قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح ابنة أبي جهل، قال المسور فقام النبي صلى الله عليه وسلم، فسمعتة حين تشهد، ثم قال : « أما بعد فاني انكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني فصدقني وان فاطمة بنت محمد بضعة مني وأنا أكره أن يفتنوها، وانها والله لا تجتمع ابنة رسول الله، وابنة عدو الله عند رجل واحد أبدا » قال فترك علي الخطبة.

و - ح : 18935 - :

حدثنا يعقوب يعني ابن ابراهيم، حدثنا أبي عن الوليد بن كثير، حدثني محمد بن عمرو، حدثني - كذا، وكلمة « حدثني » زائدة، وصوابه محمد بن عمرو بن حلحلة الدؤلي - ابن حلحلة الدؤلي أن ابن شهاب حدثه أن علي بن الحسين حدثه أنهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية مقتل حسين بن علي لقيه المسور بن مخرمة، فقال هل لك الي من حاجة تأمرني بها؟، قال : فقلت

له : لا قال له، هل أنت معطى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أخاف أن يغلبك القوم عليه، وأيم الله لئن أعطيتني لا يخلص إليه أبدا حتى تبلغ نفسي ان علي بن أبي طالب خطب ابنة أبي جهل على فاطمة، فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا، وأنا يومئذ محتلم، فقال : « ان فاطمة بضعة مني، وأنا أتخوف أن تفتن في دينها»، قال : ثم ذكر صهرا له من بني عبد شمس، فأثنى عليه في مصاهرته اياه فأحسن قال : « حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي، وانى لست أحرم حلالا ولا أحل حراما، ولكن والله لا تجتمع ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنة عدو الله مكانا واحدا أبدا».

وأخرجه مسلم في « الصحيح»، ج 4 ص : 1903/1904، ك : (44) فضائل الصحابة ب : (15) فضائل فاطمة بنت النبي عليهما الصلاة والسلام، ح : 2449 - :  
حدثني أحمد بن حنبل، وساق مثل حديث أحمد المتقدم رقم 18935. ومن طريق آخر :

حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، أخبرنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني علي بن الحسين أن المسور بن مخرمة أخبره أن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل، وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي صلى الله عليه وسلم، وقالت له : ان قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكحا بنت أبي جهل.  
قال المسور : فقام النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتته حين تشهد، ثم قال : « أما بعد فاني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني فصدقني، وان فاطمة بنت محمد بضعة مني وانما أكره أن يفتنوها. وانها، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبدا».

قال، فترك علي الخطبة.

ومن طريق آخر :

وحدثني أبو معن الرقاشي، حدثنا وهب (يعني ابن جرير) عن أبيه قال سمعت النعمان (يعني ابن راشد) يحدث عن الزهري، بهذا الاسناد، نحوه، وأبو داود في « السنن » - ج 2 ص : 225، ك : النكاح، ب : ما يكره أن يجمع بينهن من النساء، ج : 2069 :

حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا يعقوب ابن ابراهيم بن سعد حدثني أبي، عن الوليد بن كثير. وساق مثل حديث أحمد المتقدم رقم (ح : 19935) سواءا.

والنسائي في « السنن الكبرى » - ج 5 ص : 97، ك : المناقب ب : 74، ح : 8372 - :



وساق مثل حديث أحمد رقم (18935).

وابن ماجة في «السنن»، ج 1، ص 644، ك : (19) النكاح ب : (56) الغيرة  
ج : 1999:

حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا أبو اليمان، أنبأنا شعيب عن الزهري أخبرني  
علي بن الحسين أن المسور بن مخرمة أخبره أن علي بن أبي طالب خطب بنت  
أبي جهل وعنده فاطمة بنت علي صلى الله عليه وسلم، فلما سمعت بذلك فاطمة  
أنت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت : إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب  
لبناتك، وهذا علي ناكح ابنة أبي جهل.

وساق مثل حديث مسلم رقم (2449) الطريق الثانية ومن طريق عبد الله ابن  
الزبير :

الطبراني في «المعجم الكبير»، - ج 22 ص : 405، ح : 1013 - :

حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أحمد بن منيع. وحدثنا محمد بن  
صالح بن الوليد النرسي، حدثنا مؤمل بن هشام قالا : حدثنا اسماعيل بن علي  
عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن عبد الله بن الزبير أن عليا خطب بنت أبي  
جهل، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «ان فاطمة بضعة مني يؤذي  
ما أذاها ويغضبني ما أغضبها».

ومن طريق عبيد الله بن أبي رافع :

أحمد في «المسند» - ج : 6 ص : 487/486 ح : 18929 - :

حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا أم بكر  
بنت المسور بن مخرمة عن عبد الله بن أبي رافع عن المسور أنه بعث إليه حسن  
بن حسن يخطب ابنته فقال له : قل له فليلقني في العثمة، قال : فلقية فحمد  
المسور الله وأثنى عليه، وقال : أما بعد والله ما من نسب ولا سبب ولا صهر  
أحب إلي من سببكم وصهركم ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال :  
«فاطمة مضغة مني يقبضني ما قبضها، ويبسطني ما بسطها، وإن الانساب يوم  
القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري» وعندك ابنتها ولو زوجتك لقبضها  
ذلك، قال : فأنطلق عاذرا له.

ومن طريق أم بكر بنت المسور :

الطبراني في «المعجم الكبير»، ج 22 ص : 405 ح : 1014 - :

حدثنا جعفر بن هارون النوفلي المدني، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله  
الأويسى قال : حدثنا عبد الله بن جعفر المخرمي عن أم بكر بنت المسور عن أبيها  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «فاطمة شجنة مني يغضبني ما  
أغضبها ويبسطني ما أبسطها».

## آراء علمائنا في المرأة والزواج (\*) أسئلة وأجوبة

الاستاذ الطاهر حداد

حبا في أخذ آراء علمائنا اليوم في الفقه والقضاء، رأينا أن نضع أسئلة عن مقام المرأة والزواج في الإسلام ورغبنا الجواب عليها منهم حتى نعرف موقفنا وأين نحن من الإصلاح الذي يلزم اجراؤه في القضاء لفائدة العدالة ونهوض المرأة. وهذا نص الأسئلة:

1- هل للمرأة حق اختيار الزوج وهل لوليها ذلك ولمن تكون الكلمة الأخيرة؟.

2- هل ظهور العيب الموجب للفسخ في أحد الزوجين بعد البناء يعتبر مصيبة نزلت بالآخر لا مناص منها؟

3- هل الغيبة الطويلة المتلفة لمتعة الزوجية تعطي حق الخيار للمرأة في الطلاق أو أنه ممتنع ما بقي الإنفاق وهل المفقود وغيره في ذلك سواء؟

4- هل يمضي الطلاق بمجرد التلفظ به الناشئ عن حدة غضب أو تعليق أو أن المعتبر في ذلك تحقق استحالة العشرة بين الزوجين؟

---

(\*) فصل من كتاب : « امرأتنا في الشريعة والمجتمع » للطاهر حداد ص 86-109.

5 - هل للمرأة ضمان فيما أعطى الرجل من حق الطلاق . وهل هذا الحق بيد الرجل يوقعه على المرأة متى شاء وبلا حد ؟ .

6 - هل للمرأة أن تثبت لدى القضاء عدم التناسب بينها وبين زوجها في الروح والأخلاق والرغبات بما ينفي طيب العشرة بينهما فتطلب بموجب ذلك الطلاق ؟ .

7 - هل للمرأة أن تلاعن الرجل في رؤية الزنى أو أن ذلك من خصائصه وإذا كان كذلك فعلى أي نظر بني هذا الامتياز ؟

8 - هل يجوز أن يضمّر الرجل نية الطلاق في نفسه عند عقد النكاح فيصح ذلك ويتم النكاح ؟

9 - هل المرأة في البيت رفيق مساو للرجل يعملان باشتراك في الرأي والتنفيذ أو أنها قاصرة تحت رعايته كأداة لتنفيذ أوامره وهل إن امتنعت من هذا تجبر عليه أو ماذا يكون ؟

10 - ما هو مقدار الحرية التي تتصرف بها المرأة في مالها في تجارة أو غيرها متى كانت رشيدة وهل للزوج ولاية عليها في ذلك أو تفويض جبري ؟

11 - ما هو اعتبار المرأة بوجه أعم وهل من قائل بتقديمها في إمامة الصلاة وفي القضاء وغير ذلك من شؤون خارجة عن دائرة البيت ؟

12 - ما الذي يجب ستره من بدنّها عن الأنظار صونا للأخلاق .

ذهبنا لمقابلة بعض شيوخ العلم بجامع الزيتونة ورجال الشريعة بمحكمة الديوان الشرعي وتقدمنا إليهم بهذه الأسئلة راجين جوابهم عليها بما ينير الحق ويدحض الباطل فقابلونا بما عهد فيهم من اللطف والبشاشة ملبين دعوتنا عن سرور ورغبة شاكرين سعيننا في الموضوع. وهؤلاء الشيوخ هم :

سيدي الأستاذ الخطاب بوشناق، مدرس العلوم الإنسانية والمذهب الحنفي، وسيدي الأستاذ عثمان ابن الخوجة مدرس أول للعلوم الإسلامية والمذهب الحنفي، وصاحب الفضيلة سيدي عبد العزيز جعيط المدرس والمفتي المالكي بمحكمة الديوان، وصاحب الفضيلة سيدي الطاهر بن عاشور القاضي كان، وكبير أهل الشورى للمذهب المالكي اليوم، وصاحب الفضيلة سيدي بلحسن النجار المدرس والمفتي المالكي بمحكمة الديوان، وصاحب الفضيلة سيدي أحمد بيرم شيخ الاسلام، وإليك أجوبتهم تباعا بعد حذف الديباجة.

### جواب الأستاذ سيدي الخطاب بوشناق

الجواب عن (١) إذا كانت المرأة حرة مكلفة كان لها أن تتزوج بمن تشاء من الأزواج وتباشر عقد النكاح بنفسها، وليس لوليها أن يمنعها أو يجبرها على الزواج بغيره، قال في الكنز : نفذ نكاح حرة مكلفة بلا ولي ولا تجبر بكر بالغة على النكاح، قال في البحر : والأصل أن كل من يجوز تصرفه في ماله بولاية نفسه يجوز نكاحه على نفسه. والبالغة المكلفة يجوز أن تتصرف في مالها بجميع

وجوه التصرف فكذا لها أن تتصرف في نفسها وإنما يستحب لها تفويض الأمر إلى الولي كي لا تنسب إلى الوقاحة، نعم خول الشارع للولي حق التدخل إذا تزوجت بغير كفاء لها فيرجع الأمر إلى القاضي طالباً فسخ النكاح دفعا للعار عنه، وعلى القاضي فسخه إن ثبت عنده عدم الكفاءة ما لم تلد منه أو تحمل لئلا يضيع الولد.

الجواب عن (2) إنه متى كان بأحد الزوجين عيب لا يتخير الآخر لأن المستحق بالعقد الوطء والعيب لا يفوته. وقال الإمام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة إذا ظهر بالزوج الجذام أو البرص أو الجنون خيرت الزوج دون العكس فلا يخير الزوج لقدرته على دفع الضرر عنه بالطلاق.

الجواب عن (3) إنه ليس للمرأة حق في الطلاق بإعسار الزوج وعجزه عن النفقة، بل تؤمر بالاستدانة عليه وكذا لو كان غائبا لم يوفها حقها من النفقة ولو موسرا. واستحسن المشائخ أن ينصب القاضي الحنفي نائبا عنه ممن يرى التفريق بينهما إذا كان الزوج حاضرا وأبى عن الطلاق لأن دفع الحاجة الدائمة لا يتيسر بالاستدانة إذ الظاهر أنها لا تجد من يقرضها وعلى الزوج مالا أمر متوهم، فالتفريق ضروري إذا طلبته وان كان غائبا لا يفرق لأن عجزه غير معلوم حال غيبته، وأما المفقود فإن القاضي ينصب عنه وكيفا ينفق على زوجته وأولاده ومال بعض أصحابنا إلى أنها تطلق عليه بعد مضي أربع سنين.

الجواب عن (4) لاشك أن الزوج يملك الانتفاع ببضع زوجته في مقابلة ما دفعه من المهر، وله أن يسقط حقه في هذا الملك وذلك بايقاع الطلاق فيمضي طلاقه بمجرد التلفظ بصيغته إلا إذا كان في حالة غضب وبلغ به إلى أن أخرجه عن دائرة التمييز فلا يقع طلاقه حينئذ لالتحاقه بالمجنون، واختار بعض محققي الفقهاء أن الطلاق محظور لا يباح الإقدام عليه إلا لضرورة. الحديث : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق »

الجواب عن (5) ان حق الطلاق للرجل يوقعه متى شاء كما علم من جواب السؤال قبله وإنما للمرأة أن تشتترط وقت النكاح أن تكون عصمتها بيدها فيصير الطلاق حينئذ من حقوقها توقعه في أي وقت.

الجواب عن (6) غاية ما للمرأة أن تثبت اعتداءه عليها وإضراره بها ومتى ثبت ذلك لدى القاضي أجبره على الطلاق أو طلق عليه فأما ادعاء مجرد الاختلاف في الأخلاق والرغبات فلا يجبر به الزوج على الطلاق.

الجواب عن (7) هو من خصائص الرجل اذا اتهم زوجته بالزنا ولم يقدر على إثباته بالبينة ووجهه أن الإنتفاع بالبضع ملك الرجل كما تقدم وهو لا وليست الزوجة مالكة للانتفاع بزوجه بدليل ان له الزوج بغيرها فلا لها في اللعان عند اتهامه بالزنا، وأيضا إذا زنت الزوجة فقد تعلق من الزنا وتنسب لزوجه لأنه ولد على فراشه وهو بريء منه فيتضرر بذلك فمكنه الشارع من إزالة هذا الضرر باللعان وهذا المعنى مفقود في حقها كما هو بين.



الجواب عن (8) نعم يجوز ذلك ويتم النكاح وقد قال الفقهاء في المطلقة ثلاثا إذا تزوجها زوج ثان مضمرا طلاقها بعد الدخول بها لقصد إحلالها لزوجها الأول صح ذلك ويكون مأجورا لقصده الإصلاح.

الجواب عن (9) ليست المرأة كأداة في البيت يتخذها الرجل لتنفيذ أوامره بل لها من الحقوق مثل ما عليها ولذا قال ابن عباس أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي وليس للزوج إمرة عليها إلا في الدعاء إلى الفراش ومنعها من الخروج فلو أمرها لغير ذلك لم تجبر على الامتثال.

الجواب عن (10) متى كانت المرأة رشيدة كان لها حق التصرف في مالها بالاتجار ونحوه ولا ولاية للزوج عليها في ذلك وقد تقدم ما يشير إلى هذا في الجواب عن السؤال الأول.

الجواب عن (11) لا تكون المرأة كالرجل تصلح لجميع الوظائف فلا تصلح للإمارة لقصورها عن التدبير الذي يقتضيه الملك ولأن ذلك يؤدي إلى إهمال ما هو المقصود منها وهو الولادة والاشتغال بتربية الولد والقيام بشؤون المنزل وغير ذلك. نعم جوز أبو حنيفة لها أن تلي القضاء ولكن لا تقيم الحدود والقصاص لأن ضعف فؤادها ربما يبعث فيها عطفًا وحنانًا على المجرم تؤدي إلى أن تعفو عنه وتعطل الحد وأما تقديمها للإمامة في الصلاة فلا يجوز إلا على النساء فتؤمهن وتقف وسطهن وأما الشهادة فإنها أهل فيقبل قولها وحدها في مسائل كالبكارة والحمل وما لا يطلع عليه إلا النساء ولا يقبل إلا إذا انضم إليها الرجل في مسائل أخرى.

الجواب عن (12) وأما ما يتعلق بالنظر إليها وسماع صوتها فالمحرر أن الوجه ليس بعورة يحل النظر إليه لمن لا يخشى الافتتان، وقال القُهستاني بالاتجار ونحوه ولا ولاية للزوج عليها في ذلك، وقد تقدم ما يشير إلى هذا في تمنع الشابة في عصرنا من كشف وجهها لانتشار الفساد، والحجاب أدعى إلى العفة وأمن عليها أن تنظر إليها العين الفاجرة وأما صوتها فقليل عورة وهو ضعيف وإنما العورة تمطيط الصوت وترقيقه بكيفية تستهوي الرجل.

### جواب الأستاذ سيدي عثمان بن الخوجة

الجواب عن (1) المرأة إن كانت غير بالغة لوليها أن يزوجه بمن شاء فإذا بلغت ثبت لها الخيار إن شاءت أقرت فعل الولي، وإن شاءت ففسخت هذا إذا لم يكن الولي ابا أو جدا لها. أما في الأب والجد فلا خيار لها وإن كانت بالغة فلا ولاية عليها لأحد ولو كان ابا لها، ولها الحق ان تختار من الأزواج من شاءت. نعم لوليها حق الاعتراض بطلب الفسخ إن تزوجت بغير كفء.

الجواب عن (2) إذا ظهر عيب بأحد الزوجين بعد البناء ليس لأحدهما طلب الفسخ بسبب ذلك العيب.

الجواب عن (3) الغيبة لا تبيح التفريق ولو مع عدم الإنفاق حتى يموت غالب أتراب الزوج.

الجواب عن (4) متى تلفظ الزوج بصيغة الطلاق وقع الطلاق من غير نظر إلى الحالة التي عليها الزوج اللهم إلا إذا كان نائما أو صبيا أو مجنونا فلا يعتبر طلاقهم.

الجواب عن (5) ليس للمرأة ضمان فيما أعطيه الزوج من حق الطلاق بل هو حق من حقوقه يوقعه متى شاء

الجواب عن (6) ليس للمرأة أن تقوم بدعوى عدم التناسب بينها وبين الزوج في الروح والأخلاق وتطلب الفرقة بسبب ذلك بعدما علمنا انها مخيرة في اقتناء الأزواج من غير سيطرة لأحد عليها.

الجواب عن (7) ليس للمرأة حق طلب اللعان بل هو من خصائص الرجل، وهذا الامتياز مبنى على اختصاص الرجل ببضع زوجته بخلافها فإنها ليست مختصة ببضعه بدليل انه يعدد الأزواج إلى الأربع ويتسرى بالإماء بما لاحد له.

الجواب عن (8) إن المتزوج الذي يضمّر في نفسه ما ذكر في السؤال لنا فيه جهتان جهة قضائية وجهة أخلاقية. فأما من الجهة القضائية فالعقد صحيح نافذ تنبني عليه أحكامه من ثبوت نسب الأولاد وجريان التوارث بين الزوجين وغير ذلك من أحكام الأنكحة الصحيحة فلا يمنع سوء النية من صحة العقد قضاءً. وأما الجهة الأخلاقية فإن الإنسان متى كان مضمراً للخير بحسب اعتقاده كان مأجوراً ومتى كان مضمراً للشر بحسب اعتقاده كان مؤزوراً والله يجازي كلا على ما نوى جزاء وفاقاً. فالجهة القضائية تنظر إلى ما يجري بين الناس بحسب ظاهره لترتب عليه الأحكام الدنيوية التي ترجع إلى المنع والالزام. والجهة الأخلاقية تنظر إلى ما يجري بين الناس بحسب باطنه لترتب عليه الأحكام الأخروية التي ترجع إلى الثواب والعقاب فمعتمد الجهة القضائية الشروط والأركان وجوداً وعدمًا ومعتمد الجهة الأخلاقية النية خيراً وشرًا.

الجواب عن (9) المرأة من الوجهة الأخلاقية شريكة للزوج في الرأي والتدبير والتعاون على إصلاح شؤونها، وأما من الوجهة القضائية فليس لها من حق على الزوج بعد استيفائها لحقوقها من النفقة واللباس والسكنى والمبيت وهي مأمورة له فيما يجب عليها من حقوق الزوجية، وليس له أن يستعملها حسب إرادته في غير ما ذكر.

الجواب عن (10) المرأة معتبرة في المجتمع البشري كسائر أفرادها ما لسائر الناس وعليها ما عليهم إلا أنها لا تتقدم في إمامة الصلاة أصلاً لا لنقص في إنسانيتها وإنما هي بالنظر إلى أن ذلك الموقف مقتض لتفريغ القلب وإخلاصه إلى المولى سبحانه وتعالى بإظهار العبودية والانقياد، فمنع الشارع المرأة من أن تكون إماماً وذلك لما فطرت عليه النفوس البشرية من الالتفات إلى المرأة بوجه خاص يفوت الغرض المقصود من العبادة وهو تفريغ القلب، وليس في وسع الإنسان أن يبلغ ما بلغ من الكمال أن يعارض فطرته وطبيعته ومن ثم «أي أنها كسائر أفراد الناس» جاز لها أن تلي القضاء وينفذ حكمها لأن موقف القاضي الاجتماعي محض بمعنى أنه راجع إلى نظام الهيئة الاجتماعية لا لخضوع القلب وتوجهه نحو الخالق، وإذا جاز لها أن تلي القضاء جاز لها أن تلي غيره من سائر المناصب عند توفر الكفاءة.

الجواب عن (11) المرأة حرة في كسبها وتصرف في مالها كيف شاءت وعلى أي وجه أرادت متى كانت بالغة رشيدة. وليس للزوج عليها سيطرة ما، فهي مساوية له في سائر أنواع التصرف فكما أنه لا يتوقف على إرادتها كذلك هي لا تتوقف على إرادته.

الجواب عن (12) إن الذي نص عليه الفقهاء في فصل النظر واللمس من كتاب الكراهة والاستحسان هو أن الرجل لا ينظر إلى غير وجه الحرة وكفيها، ومن خاف الفتنة فما عليه إلا أن يغض بصره. قال تعالى : «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم». الآية. هذا حكم المسألة من الوجهة الفقهية وأما تحليلها من حيث الأخلاق والآداب العامة وبيان المعاني التي أشارت إليها النصوص الواردة في هذا الغرض فإن الأفهام اضطربت في ذلك فمن ثم رأيت أن أجيب عن هذا السؤال من هذه الجهة أيضا بما فيه نوع تفصيل.

لاشك أن المرأة كالرجل لا فرق بينهما من حيث أن كلا منهما مضطر إلى مد البصر واستنشاق الهواء، والتنقل من مكان إلى آخر، والسفر لقضاء المآرب، أو الاطلاع على صفات الكون وتنزيه النفس بشرط أمن التعدي على كرامتها، وهذا القدر متفق عليه بين جميع العقلاء لا فرق بين من يدين الاسلام وغيره وليس لنا دين من الأديان يجعل المرأة دون الرجل في شيء من ذلك.

لكن بما أن الدين الاسلامي جاء مؤيدا ومقررا لما اتفق عليه جميع العقلاء من أهل المدنية وهو المحافظة على الآداب العامة والتباعد من هتك ستار الحياء أوجب على المرأة حال بروزها بين العموم أن تستتر من جسدها ما يستلقت أنظار الرجال إليها بوجه خاص ولا ضرورة تدعو إلى كشفه، وذلك كالصدر والمعصم والساق وبالجمله ما عدا الوجه والكفين والقدمين، حيث لا ضرورة تدعو إلى كشف غير ما ذكر وقد اتفق العقلاء من أهل المدنية على أن كشف غير ما استثنى مغل بالمحافظة على الآداب العامة ومن لم يكن من أهل



الدين الاسلامي يعترف بأن ما يفعله المتبرجات من نسائهم انما هو من أنواع التهتك وصنوف الخلاعة.

ثم لما كانت مبادئ الدين الاسلامي ما علم أنفا منع المرأة أيضا من أن تظهر بين العموم بادية الزينة متجملة بما تستميل به القلوب مثل تكحيل العينين وتزجيج الحواجب، واستعمال الطيب وما أشبه ذلك من مثيرات الشهوة الطبيعية، ولا يخفى ان ظهور المرأة بين الرجال بهذا المظهر لا يرتضيه أهل العقول السليمة لا فرق في ذلك بين المسلمين وغيرهم فمن ثم كانت تعاليم الدين في هذا الغرض مؤيدة لما اتفق عليه العقلاء من أهل المدنية.

ان تأييد الدين لما ذكر نزداد به يقينا بأنه ليس مقتصرًا على التوحيد والعبادات، بل هو ملتفت نحو النظام الدنيوي الاجتماعي، حاث على المحافظة على الآداب العامة بوجه خاص، سالك مسلك التوسط والاعتدال في جميع اجراءاته، فالمرأة مثلا لم يعطها حرية تبلغ بها حد التهتك والتبرج بين العموم ولم يسلب عنها حقوقها الحيوية بحيث يذرها موؤودة وهي بقيد الحياة، ولاشك أن هذا القدر يقبله جميع العقلاء بسعة صدر وكل اطمئنان.

ان ما ينسبونه إلى الدين الاسلامي من إرهاب المرأة بستر وجهها بين العموم منشؤه اندفاع بعض من المفسرين والفقهاء وراء تأثير القوميات والأوساط التي ينشأون بها حتى اعتقدوا ان ستر المرأة وجهها بين العموم من الواجبات الدينية، واخترعوا لهذه العادة المحضة اسما مفخما سموه بالحجاب ونسبوا بضع أي



الكتاب إليه إذ يقولون كان كذا قبل نزول آية الحجاب، بحيث أن الواقف على هذه الكلمات ينقش في نفسه ان إرهاب المرأة يستتر وجهها مما نص عليه القرآن بالصراحة، ولشدة ما انطبعت نفوسهم بتأثير العادات القومية اقتحموا تفسير أي الكتاب العزيز بوجوه طبق ما يزعمون فحرفوا الكلام عن مواضعه وارهقوا فصيح الآيات بما أرهقوا به وجوه الغانيات، فمن مقدر لمضاف لا يقتضيه نظم الكلام إلى مخرج اللفظ عن مدلوله اللغوي وهكذا، فخطبوا خطب عشواء وركبوا متن عمياء والأنكى من هذا أن سموا قتلهم للروح القرآني دينا ولكن سبق الوعد بحفظه وما قتلوه يقينا.

ثم لما كان من الأمر ما علم وجب التعرض لبيان معاني الآيات التي ارهقت بما لا تطيقه قال تعالى : «وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمَرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبَعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ» الآية، الخمار لغة ثوب تضعه المرأة على رأسها كالعمامة بالنسبة للرجل، والجيب شق في أعلى القميص ينفتح عن النحر، فمعنى الآية حينئذ امرهن وقت البروز بين العموم بستر نحورهن وأعلى صدورهن لأن كشف ما ذكر بين عموم الناس، زيادة على كونه لا تدعو إليه الضرورة، مغل بصون الآداب العامة ومستلفت أنظار الرجال إليهن بوجه خاص. فمن فهم أن الخمار إسم لما يغطي به الوجه فقد أخطأ لأن غطاء الوجه يسمى برقعا فلو أريد ستر الوجه لقليل وليضربن ببراقعهن على وجوههن.

«وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ» الآية، الزينة أجلى من أن تعرف والمرأة منهية عن أن تظهرها بين العموم إلا ما كان ظاهرا لا يستلفت

النظر بوجه خاص مثل نعل جديد ورداء حرير، فإن الشرع أرقى من أن يلزم المرأة عند البروز بلبس نعل مرقع ورداء رث، بل منعها من إبداء الزينة الخفية المستميلة للقلوب واستثنى من كان التزين عادة من أجله وهو البعل ومن في إخفاء الزينة عنه تحرير المرأة بسبب ضرورة المساكنة أو ارتباط المصالح وهو من عداة من المذكور في الآية فمن قدر مضافاً في نظم الكلام وصير المعنى ولا يبدن محل زينتهن وهو الوجه وما شاكلة فقد أبعد لأن تقدير المضاف لا يلتجأ إليه إلا عند الاضطرار لتصحيح المعنى أو قيام قرينة تدل عليه. ولا يخفى انتفاء الأمرين هنا ويا ليت شعري كيف يفعل في الزينة المذكورة في آخر الآية عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيَعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ فهل يقدر المضاف مرة أخرى ويقترح التحريف وإفساد المعنى أو يبقيها على معناها ويمزق الآية حسبما يهواه.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ الآية، الجلباب القميص وثوب واسع للمرأة دون الملحفة أو ما تغطي به ثيابها من فوق كالملحفة أو هو الخمار وأياماً كان فهو ليس اسماً لما يغطي به الوجه خاصة وهو في الآية صالح لأن يراد منه كل معانيه إذ سوق للآية الاعلام بأن المرأة مأمورة بإدناء ثيابها من بدننها بحيث لا تنكشف أعطافها، وظاهر أن إرخاء الثياب وتركها متباعدة عن البدن بحيث تبدو من خلالها أعطاف البدن ضرب من التبرج الممقوت عند كل العقلاء. فليس في الآية دلالة على أكثر من الحث على مراعاة الآداب وإظهار العفاف وهو أمر محمود عند العقلاء، ومن المعلوم أن المرأة إذا تظاهرت بالعفة

قل طمع أهل الفساد في اقتفاء أثرها وقصروا من اذايته بفحش الكلام وهذا صريح بقية الآية ﴿وذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾.

﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾ سوق الآية للإعلام بأن من أراد سؤال شيء من أزواج النبي ليس له أن يلج عليهن في بيوتهن، إذ لا يخفى أن المرأة في بيتها قد تكون كاشفة عن شيء من بدنّها أو مشتغلة بتزيين وجهها أو ما أشبه ذلك مما تفعله المرأة في خلوتها فيقبح بالرجل أن يلج عليها في حالة لا ترضى أن يراها الأجنبي ملتبسة بها، فأمر الرجل إذا أراد سؤال متاع بأن يقف خلف الباب أو الحائط أو ما أشبه ذلك مما يكون حاجباً لها عنه حتى لا يخلجها. فالأمر وإن ورد في أزواج النبي غير مختص بهن لا طراد العلة كما لا يخفى فمن أراد أن يأخذ ستر الوجه بين العموم من هذه الآية فقد تكلف شططاً، فقد ظهر مما تقدم بسطه أن ما هو جار بين بعض الناس من حمل المرأة على ستر وجهها بين العموم أمر عادي محض وقومي صرف لا علاقة له بالدين أصلاً ولا نقصد بهذا أن نحط عن كاهل الدين ما أثقلوه به غلطاً واشتباهاً بسبب الاندفاع وراء التأثيرات القومية. ومن أغرب ما يسمع أن بعض الفقهاء بلغ به التطرف في هذا المقام حتى منع المرأة من الكلام بين العموم وادعى أن صوتها عورة يجب عليها ستره بين الناس ولو نظر في قوله تعالى : ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا﴾ لقصر من غلوائه وعلم أن النهي عن التليين والخضوع لأن ذلك يستميل القلب إليها فنهيته عن ذلك وأمرت بأن تسلك المسلك المتعارف بين الناس بحيث تكون بعيدة عن مظان الشبهات قال تعالى : ﴿وقلن قولا

**معروفاً**. وظاهر أن الأمر هنا للإباحة فالقرآن مصرح بإباحة القول المعروف لهن فالنص وان ورد في أزواج النبي فالحكم يتناول غيرهن لا طراد العلة كما لا يخفى.

### جواب صاحب الفضيلة سيدي عبد العزيز جعيط

الجواب عن (1) متى كانت المرأة غير ذات أب فهي التي لها الحق في اختيار الزوج ويتعين على وليها الإجابة لمن عينته من الأكفاء، وأما ذات الأب فالبكر والصغيرة يعتبر فيهما اختيار الأب وغيرهما العبرة فيه باختيارها.

الجواب عن (2) يفرق بين عيب الزوجة وعيب الزوج فحدوث العيب بالزوجة بعد العقد عليها يعتبر مصيبة نزلت بالزوج وان لم يحصل البناء، وحدوث العيب بالزوج يوجب الخيار للزوجة مطلقاً اذا كان العيب الجنون أو الجذام أو البرص، وأما اذا كان العيب داء الفرج فان حصل قبل الوطء كان للزوجة الخيار وان حصل بعد الوطء ولو مرة كان مصيبة نزلت بالزوجة الا اذا تسبب الزوج في ذلك فيكون لها حق الخيار حينئذ.

الجواب (3) الغيبة الطويلة المتلفة لمتعة الزوجية بأن كانت أكثر من ثلاث سنين تعطي حق الخيار للمرأة في الطلاق بعد الرفع للحاكم ومكاتبة الغائب المعلوم موضعه، ان كانت تبلغه المكاتبة بأن يقدم أو يرحل إليه امرأته أو تطلق عليه كما كتب بذلك عمر بن عبد العزيز لقوم غابوا بخرسان، فان لم تبلغه المكاتبة فالذي

اختاره جمع من المتقدمين والمتأخرين طلاقها عليه اذا اشتكت الضرر بترك الوطء وخوف الزنى لأنه أمر لا يعلم الا منها وهذا كله في الغيب غير المفقودين. اما المفقود المنقطع خبره فحكمه اذا كان فقدته بارض الكفر في غير حرب ان تطلق عليه بالفور اذا لم يترك لها نفقة فان ترك لها نفقة لزمها البقاء لمدة التعمير، واذا كان فقدته بارض الاسلام في غير حرب فبعد بحث الحاكم عنه وعدم معرفة موضعه يضرب لها اجلا قدره اربع سنين وبعد انقضاء الأجل تعتد الزوجة عدة وفاة وتحل للأزواج، وضرب هذا الأجل وضع من الخليفة عمر رضي الله عنه ووافقت الصحابة على ذلك. واما المفقود في الحرب فان كان الحرب بين المسلمين والكفار فقليل لا تتزوج زوجته الا بعد مضي مدة التعمير، وقيل يضرب الحاكم عاما من حين اليأس للمفقود ثم تعتد زوجته عدة وفاة وتحل للأزواج، وان كان الحرب بين المسلمين فقليل يتلوم الحاكم للزوجة باجتهاده فيما قرب من الديار بعد انصراف من انصرف وانهمزام من انهزم ثم تعتد وتتزوج وفيما بعد ينتظر سنة، وقيل فيما بعد يتربص أربع سنين، وقيل يضرب لامرأته بقدر ما يستقصى أمره ويستبرأ خبره وليس لذلك حد معلوم.

الجواب عن (4) يمضي الطلاق بمجرد التلفظ به وأن نشأ عن حدة غضب خلافا للحنفية ويمضي الطلاق المعلق على شيء بوقوع المعلق عليه ولا يعتبر في ذلك تحقق استحالة العشرة بين الزوجين.

الجواب عن (5) ليس للمرأة ضمان مادي فيما أعطى الرجل من حق الطلاق وانما لها ضمان معنوي وهو وقايتها من التعاسة التي



تنتشر بإرغام الزوج على إمساكها لها والطلاق بيد الرجل يوقعه على الزوجة متى شاء.

الجواب عن (6) إذا أثبتت الزوجة لدى القضاء عدم التناسب بينها وبين زوجها في الأخلاق والرغبات فلا تجاب إلى طلب الفراق وإنما لها ذلك إذا أثبتت إضراره بها.

الجواب عن (7) ليس للمرأة أن تلاعن الرجل في زناه بخلاف العكس والمدرّك في ذلك أن زناها يعود عليه بالمضرة إذ يتوقع منه دخول أجنبي عنه في نسبه أما زنى الزوج فلا يتوقع منه إدخال ذلك الضرر عليها.

الجواب عن (8) يجوز أن يضمّر الرجل في نفسه نية الطلاق عند عقد النكاح ويصح ذلك النكاح.

الجواب عن (9) المرأة راعية في بيت زوجها فعليها أن تقوم بهذا الواجب حتى تكفيه مؤونة التدبير في داخل المنزل فيتفرغ لبذل مجهوداته فيما يتعلق بشؤون الحياة خارج المنزل وبهذا تتحقق المشاركة بينهما، والتعاون على إصلاح شؤونها وهو من أعظم المقاصد في النكاح، وإذا أمر الزوج زوجته بشيء مما هو داخل المنزل حكمت العادة فإن كانت تقتضي قيام الزوجات به أجبرت عليه وإلا فلا ولاستناد هذا الفصل للعادة يختلف الحكم بين نساء البوادي ونساء الحواضر كما يختلف بالنسبة لأهل الشرف وبالنسبة للسوقة.



الجواب عن (10) للمرأة الحرية التامة في التصرف في مالها بغير التبرع إذا كانت رشيدة وليس للزوج نظر في ذلك وأما التبرع منها فللزوج النظر فيما زاد على الثلث فله أن يرد ما فعلته.

الجواب عن (11) صريح المذهب منع إمامة المرأة وولايتها القضاء.

الجواب عن (12) يجب بالنسبة للأجانب غير المحارم ستر جميع بدنها ماعدا الوجه والكفين ويجب عليها ستر الوجه أيضا إذا خشي منها الفتنة.

### جواب صاحب الفضيلة سيدي الطاهر بن عاشور

الجواب عن (1) إن للمرأة حق الرضا بمن تتزوجه، وليس لوليها أن يجبرها على زوج لا ترضى به إلا الأب في خصوص بناته الأبنكار فإن له حق الجبر في نظر المذهب المالكي ما لم يكن في جبره إيها ضرر عليها كما هو مفصل في الفقه.

الجواب عن (2) إن العيوب الموجبة للفسخ وهي المذكورة في كتب الفقه إن حلت بالزوج كان للزوجة الخيار بين البقاء في العصمة وبين طلب الطلاق بعد التأجيل فيما يرجى برؤه منه مطلقا سواء كان العيب قديما أو حادثا، وأما إن حل العيب بالزوجة وكان العيب قديما قبل العقد فهو يوجب للزوج الخيار بين الرضا وبين الطلاق مع الرجوع بالصداق على ولي المرأة الأقرب إذا كان عالما بعيبها

وكتمه، أو على المرأة إن لم يكن وليها قريباً بحيث يعلم حالها ولا يكون للمرأة حينئذ إلا ربع دينار إن بنى بها.

الجواب عن (3) أن الغائب في سفر لا تطلق عليه امرأته إذا كان معلوم المكان مادام مجرياً عليها النفقة إلا إذا شرط لها أنه إن غاب عنها فقد جعل لها طلاق نفسها، فحينئذ يكون لها حق تطليق نفسها وكذلك إذا طالت غيبته وتضررت منها المرأة وقدر ذلك بسنة على ظاهر المدونة، فإن تضررت من ذلك كتب إليه الحاكم بأن يقدم أو يرحل زوجه ويتلوم له بالاجتهاد ثم يطلق عليه وكذلك إذا تعذرت مكاتبته ولم يكن له عذر في التأخر عن القدوم من مرض أو اعتقال فإن كان الزوج غير معلوم المكان وهو المفقود فإن كان له مال تجري منه نفقة زوجة فلا تطبق عليه بعد أربع سنين في المفقود ببلاد الإسلام، وإلى أن يمضي عليه أمد التعمير وهو ما لا يعيش إلى مثله ذلك المفقود في مفقود أرض الحرب وإلى أن يمضي عليه عام في مفقود أرض الفتن الواقعة بين المسلمين.

الجواب عن (4) إن الطلاق يمضي بصدور صيغته بتنجيز أو تعليق أن حصل المعلق عليه ولو في حال غضب ولا يلزم طلاق المجنون ولا الذي يهذي بحمى أو أمراض الصرع ومن بلغ إلى حد ذهب معه تمييزه.

الجواب عن (5) أنه لا ضمان على الرجل في إيقاعه الطلاق على امرأته لأن عصمة الزوجية مظنة الرغبة في دوام المعاشرة فالزوج محمول على أنه ما طلق إلا حين لم يجد سبيلاً للمعاشرة والأحكام

في مثل هذا منوطة بالمظنة ومشروعية الطلاق روعي فيها استراحة الزوجين من معاشرة غير هنيئة، قال تعالى : «وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته»، وقال : «إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله».

الجواب عن (6) إن عدم التناسب إذا أدى إلى سوء المعاشرة بين الزوجين ولم يقع الوفاق بينهما وخيف تجدد الشقاق فقد شرع الله التحكيم بينهما، فقال : «وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما». واستحسن الفقهاء أن يقدم بين يدي ذلك وضعهما بين قوم صالحين أمناء لينظروا الظالم منهما ثم يقع التحكيم بعد ذلك إن وقع اليأس من الإصلاح.

الجواب عن (7) إن المرأة ليس لها حق اللعان إذا رأت زنى زوجها لأن علة مشروعية اللعان لنفي النسب اللاحق بالزوج الذي رأى زنى زوجته، وهي العلة مفقودة في رؤية المرأة زوجها يزني إذ لا يلحقها شيء من ذلك ولكن حكمها في القيام لذلك حكم المحتسب من المسلمين، وأما حلف المرأة فلدرء الحد عنها الثابت بحلف الزوج وقد أشار القرآن إلى ذلك وجعل صيغة إيمان المرأة في اللعان عن تكذيب من اتهمها.

الجواب عن (8) يظهر أن السائل عني بسؤاله أن يتزوج الرجل المرأة مضمرا تطليقها إلى أجل فهذا إن وقع مضمرا في النفس دون شرط بين الزوجين كان صحيحا. قال مالك رحمه الله : وليس

من أخلاق الناس وإن كان شرطاً فهو نكاح المتعة وهو باطل ويفسخ ولو بعد البناء باتفاق علماء السنة.

الجواب عن (9) إن المرأة رفيقة للرجل ولذلك سمي كلاهما زوجاً لأنه شفع للآخر، وهي حليلته في البيت وكلاهما مأمور بحسن معاشرة الآخر، وبينهما حقوق مشتركة. فللرجل على المرأة حقوق وللمرأة عليه حقوق وقد أشار إلى ذلك القرآن المجيد في قوله تعالى: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾، وبيان هذين الحقين مفصل في كتب الفقه فمن امتنع منهما بما عليه من الحقوق أجبر على ذلك سواء في ذلك الرجل والمرأة.

الجواب عن (10) إن تصرف المرأة في مالها كتصرف الرجل، فإن كانت رشيدة فلها التصرف في مالها بالبيع والشراء بما شاءت إلا أنها إذا تبرعت بما زاد على ثلث مالها كان لزوجها الرد، وليس للزوج ولاية عليها في مالها غير ذلك.

الجواب عن (11) إن اعتبار المرأة في المجتمع الإسلامي كاعتبار الرجل على الوجه الذي لا يخرجها عن أحكام الإسلام وأدابه الخاصة بالنساء دون الأحكام الخاصة بالرجال، قال تعالى: ﴿ولا تطلبوا فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾، وتتعلم وتعلم ويؤخذ عنها الحديث إذا اتصفت بالعدالة وتشهد في الأموال مع امرأة أخرى فتكون شهادة المرأتين كشهادة رجل في الأموال، وتشهد فيما لا يطلع عليه الرجال من أحوال النساء فتكون شهادتها في ذلك كشهادة الرجل ويوجهها

الحاكم في عيوب النساء وفي الحمل والرضاع ونحو ذلك، وتقوم بتمريض المرضى ومداواة الجرحى في الحرب، وتتولى من الولايات الحسبة ونحوها مما ليس فيه حكم بين الناس، وقد أولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أم الشفاء الحسبة ولا تولى الخلافة ولا الملك ولا الامارة ولا قيادة الجيش عند جمهور علماء الإسلام خلافا للشيعة، ولا تولى القضاء عند الجمهور. وقال أبو حنيفة تقضي المرأة فيما تشهد فيه، ولا تولى إمامة الصلاة في مشهور مذهب مالك خلافا لرواية ابن ايمن أنها تؤم النساء خاصة وهو أيضا قول الشافعي وجمهور فقهاء الاسلام.

الجواب عن (12) إن الذي يجب ستره من المرأة الحرة هو ما بين السرة والركبة عن غير الزوج وما عدا الوجه والأطراف عن المحارم والمراد بالأطراف الذراع والشعر وما فوق النحر، ويجوز لها أن تظهر لأبيها ما لا تظهره لغيره مما عدا العورة المغلظة، وكذلك لابنها، ولا يجب عليها ستر وجهها ولا كفيها عن أحد من الناس. ففي الموطأ قال مالك : لا بأس أن تأكل المرأة مع غير ذي محرم على الوجه الذي يعرف للمرأة أن تأكل به وهذا يقتضي إبداء وجهها ويديها للأجنبي، فوجه المرأة عند مالك وغيره من العلماء ليس بعورة واستدلوا على هذا بقوله تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، وقوله : ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾، وإنما يستحب للمرأة ستر وجهها كما قاله عياض ويحرم على الرجل النظر لوجه المرأة لريبة أو قصد فاسد واختلف في ستر قدميها على قولين.

هذا وقد تفاوتت عصور المسلمين وأقطارهم في كيفية ما أبيح لهم من احتجاب المرأة تفاوتاً له مزيد مناسبة لأحوال الآداب والمعارف الغالبة في عامتهم وفي نساءهم، وله مزيد تأثر بالحوادث الحادثة من اعتداء أهل الدعارة والوقاحة على الحرمات، فيجب أن يكون حال الآداب والتربية في بلاد الإسلام هو مقياس هذه الأحكام.

### جواب صاحب الفضيلة سيدي بلحسن النجار

الجواب عن (1) الحق للمرأة في اختيار الزوج إذا رغبت في كفاء وقال مالك والشافعي إلا إذا كانت ذات أب وهي بكر أو دون البلوغ فإن الاختيار لأبيها ويندب له استيثارها، فإن رغبت في شخص ورغب أبوها في غيره فالكلمة الأخيرة لأبيها. ففي صحيح مسلم: الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأمر وإذنها سكوتها. وفي سنن ابن ماجه أن فتاة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، قال، فجعل الأمر إليها فقالت قد اجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء.

الجواب عن (2) ظهور العيب السابق على العقد بأحد الزوجين يوجب للآخر حق الخيار في التماضي على الزوجية أو الرد. أما طروء الجنون والبرص والجذام بعد العقد فيوجب للزوجة وحدها طلب الفراق على التفصيل للفقهاء فإن كان الطارئ بالزوج يمنع الاستمتاع فهو مصيبة حلت.

الجواب عن (3) الغائب إما مفقود وإما أسير وإما غيرهما، والمفقود إما مفقود في غير أرض الإسلام في حرب أو غيره، وحكمه



أن امرأته لا تتزوج إلا بعد انقضاء أمد التعمير والحكم بموته، وإما مفقود في أرض الاسلام في غير فتنة وحكمه أن يضرب لزوجته أجل أربع سنين بعد العجز عن خبره. وإن كان في فتنة فإن لم تبعد أماكن المحمة فحكمه من مات حاضرا بعد التلوم له بقدر انصراف من انصرف وانهزام من انهزم ثم تعدد زوجته وتتزوج، وإن بعدت أماكن المحمة انتظرت زوجته سنة وهذا رآه في المعركة من تقبل شهادته وأما الأسير فتنتظر زوجته قدومه إلى أن يموت حقيقة أو حكما. وأما الغائب المعلوم الموضع فمشهور مذهب مالك أنه إن تبين قصده الاضرار بها بترك الإستمتاع فإنه يكتب إليه إما أن يقدم وينقل زوجته إليه أو يطلق فإن أبى ضرب له أجل أربعة أشهر ثم تطلق عليه، وإن لم يتبين قصد الإضرار فلا طلاق. وأفتى بعضهم بأن مجرد حصول الضرر لها بالترك يجعل لها حق الفراق فيكاتب إن علم موضعه ثم يتلوم له بالاجتهاد ثم تطلق نفسها.

الجواب عن (4) يمضي الطلاق بمجرد تلفظه بصيغة الطلاق الدالة عليه وعلى قصده لغة أو عرفا أو نواه بأي لفظ على تفصيل للفقهاء ولو تلفظ به في حالة غضبه. وخالف في ذلك ابن القيم الجوزية وقال بعدم لزومه للغضبان ولا فرق في ذلك بين إنشاء الطلاق تنجيذا أو تعليقه خلافا لابن تيمية وابن القيم الجوزية حيث فرقا بين أن يعلق الطلاق على الشرط لا يقصد بذلك إلا الحظر والمنع فإنه يجزيه فيه كفارة يمين إن حنث وبين أن يريد الجزاء بتعليقه فتطلق كره الشرط أم لا.

الجواب عن (5) حق الطلاق بيد الرجل وهو مكفول بما دلت عليه نصوص الشريعة من بغض الطلاق في حديث «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» وإن اللائق أن يوقعه بحكمه فيما يستحسن من مواقعه قال تعالى : «وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته» وقال سبحانه : «فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان» مع ما شرع من تمتيع الزوجة عن فراقها بجبر خاطرها قال تعالى : «ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره» كل ذلك يرشدنا إلى طلب لزوم الاعتدال في الطلاق والتصرف فيه بحكمه.

الجواب عن (6) إن كان المقصود من هذا السؤال هو قيام الزوجية بدعوى سوء المعاشرة فقد تكفل الشارع ببيان حكمه وهو ينظر لهما بالتوفيق والإصلاح فإن اشتد النزاع بينهما واشتبه الظالم بالمظلوم يصار إلى بعث الحكّمين، قال تعالى : «وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما».

الجواب عن (7) ليس لها أن تلعن لأن اللعان شرع لنفي نسب الحمل الظاهر أو المتوقع، فإذا خشي الزوج ذلك لاعن لنفيه عن نسبه وهذا منتف من جانب المرأة لأنه إذا ظهر حمل بالتي زنى بها زوجها لا يلتحق بها.

الجواب عن (8) لو أضمّر الزوج نية الطلاق عند العقد لم يفسد لكن قال مالك : ليس من أخلاق الناس.

الجواب عن (٩) المرأة في بيت زوجها رفيق يعمل معه ففي صحيح البخاري «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والأمير راع والرجل راع على بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته». وللمرأة من الحقوق بقدر ما عليها نعم إن الرجل له في بيته الزعامة بما أعطيه من القوة الخلقية واستنباط الحيلة فيزود عن أهله ويحمي حقيقته، قال تعالى : **﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾** تلك هي درجة الحفظ والدفاع والسعي والإنفاق من ذات يده. قال تعالى : **﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾** وبهذا التعاضد والتشارك في العمل : كل يقوم بدوره على حسب ما هيأته له الطبيعة والميراث الخلقية، كانت صلة الزوجية أمتن صلة اجتماعية تتكون منها صلة البنوة فهي حرية بالرعاية والاحترام، قال تعالى : **﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾**، وورد في نصوص الشريعة أمر المرأة وتحريضها على طاعة زوجها لكن في دائرة الحقوق من غير أن تطلق يده عليها ويستبد بها كيف شاء ففي سنن ابن ماجة «لو كنت أمرا احدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها». وقد أرشد الله تعالى الآباء إلى مشاورة الأمهات في مدة رضاع إبنها، قال تعالى : **﴿فإن أرادا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما﴾** فلم يجعل الرجل مستبدا على المرأة في ذلك، بل لا يصدر إلا عن اتفاق بينهما بعد الشورى ونظائره مثله، وفي صحيح مسلم أن أسماء بنت يزيد الأنصارية أتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه

فقالت بأبي وأمي أنت يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة فأمنّا بك وبالك، إنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم، وانكم معاشر الرجال فضلتُم علينا بالجمع والجماعات وعبادة المرضى وشهود الجنائز والحج وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل وأن أحدكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم وربينا لكم أولادكم أفنشاركم في هذا الأجر والخير فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه فقالوا يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها فقال أفهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل كل ذلك كله.

الجواب عن (10) للمرأة الحرية المطلقة في التصرف في مالها فلها الملك والبيع والشراء والوصية والوكالة والتجارة مستقلة في كسبها وموردها وسائر عقود المعارضات من غير إشراف لزوجها عليها ولا تأثير لعقد الزوجية على مالها بحيث لا تكون بحال مكفولة لتصرفات زوجها المالية ولها الهبة والتحبيس والصدقة وسائر التبرعات المعتدلة التي لا تخرج عن حد الاقتصاد وحسن التصرف إلى جانب الإسراف والتبذير بحيث لا تتجاوز في ذلك الثلث، والثلث كما في الحديث الصحيح كثير فإن تجاوزت الثلث فلا يمضي ذلك إلا بموافقة زوجها التي هي في الحقيقة نظر لها

بالمصلحة وتشاور على قاعدة حفظ مالها وصونه عن التبذير، وليس للزوج ولاية عليها في غير ذلك ولا تفوض في مالها ولا يمضي فعله في حقها إلا بتوكيل منها تسنده إليه عن رضاها واختيارها، ولها أن توكل غيره من تختاره ولا مقال له في ذلك.

الجواب عن (١١) المرأة نصف الانسان يتوقف ظهور مميزاته على وجودها توقفه على وجود الرجل، وهي في الإعتبار ذات احساس تام وشعور لطيف وأنفة وحنان وشفقة شديدة التأثر سريعة التنفيذ لإرادتها لها في الهيئة الاجتماعية سائر الحقوق التي لا تنافي ميزاتها وقد قال الأئمة الثلاث أبو حنيفة والشافعي وابن حنبل بصحة إمامتها للنساء في الفرض والنفل، وأجاز أبو حنيفة أن تكون قاضيا في الأموال قياسا على شهادتها فيها وقال أبو جعفر الطبري يجوز أن تكون حاكما على الإطلاق في كل شيء لأن الأصل هو أن كل ما يتأتى منه الفصل بين الناس فحكمه جائز إلا ما خصه الإجماع من الإمامة الكبرى (الخلافة)، أما شهادتها فمقبولة بنص الكتاب على تفصيل للفقهاء مبني على شدة الاحتياط في الحقوق نظرا لسرعة تأثرها ولطف عواطفها أما شأنهن في الفتوى فعظيم وقد اشتهر كثير منهن بالاجتهاد والإجادة في الرواية حتى قال الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال بعد أن خرج فيه أربعة آلاف منهم من المحدثين : وما علمت من النساء من اتهمت ولا من تركوها. وذكر الحافظ ابن عساكر أن من بين شيوخه بضعا وثمانين من النساء ولان النساء في عهد النبوة وبعدها يشهدن الخير ومجامع المسلمين ويحضرن الحروب لإسعاف الجرحى وتضميد جراحهم كما نقل ذلك عن أمية بنت قيس الغفارية وأم أيمن مولاة



رسول الله صلى الله عليه وسلم والربيع بنت معوذ إلى غيرهن كما حدثنا بذلك صحاح الأخبار وثقات المؤرخين.

الجواب عن (12) يجب على المرأة ستر وجهها وسائر بدنهما عن الأجانب منها بحيث لا تظهر منها إلا عيناها قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، والجلباب ثوب أوسع من الخمار وقيل هو الرداء وأدناؤه هو أن تلويه على وجهها حتى لا تظهر منها إلا عين واحدة تبصر منها، وقيل لا تظهر إلا عيناها. وقوله : ﴿أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ﴾ أي حتى يميزن عن الإماء اللاتي يمشين حاسرات.

### جواب صاحب الفضيلة سيدي أحمد بيرم

الجواب عن (1) لكل منهما حق اختياره في جهة ففيما يرجع للخلق والخالق ونحوهما لها الخيار، وفيما يرجع لحفظ مميزاتها وكفاءة الزوج لها يكون للولي الخيار.

الجواب عن (2) لا ترد حرة بعيب مطلقا.

الجواب عن (3) لا طلاق للمرأة غير المجعول لها ذلك، بل الطلاق لمن أخذ بالساق.

الجواب عن (4) يمضي بمجرد التلفظ به في غير ما ألغاه الشارع كطلاق الفار.



الجواب عن (5) لها حق الامتاع المنصوص عليه بآية : ﴿ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف﴾، الآية.

الجواب عن (6) تطلب ما شاءت أن تطلب وتستند لما شاءت أن تستند والله يحكم ما يريد.

الجواب عن (7) إنما يلاعن الرجل لحماية نسبه بخلافها وهو ظاهر.

الجواب عن (8) التوقييت يبطل العقد عندنا. قال في الكنز : «وبطل نكاح المتعه والموقت».

الجواب عن (9) الرجال قوامون على النساء فيما يرجع لصحة النظر وحماية الحق وأشباه ذلك وأما فيما عداها فهي رفيق مراعى الجانب ولا ولاية للزوج عليها فيما عدى حقوق الزوجية.

الجواب عن (10) الرشيدة مطلقة التصرف في مالها كالزوج من كل وجه.

الجواب عن (11) أن لها المقام الثاني بعد الرجل حيث التعمير منه ومنها الحضان والرعاية ولا اجتماع للنساء في الصلاة حتى تكون الواحدة منهن إمامة. قال الهامدي :

ولا يصلين معافان جرى توسطت امامة فقرا

وكذا لا قضاء لها.

الجواب عن (12) يجب سترها كلها في وقت انتشار فيه الفساد حتى الوجه والكفين وتحديد العورة للحرمة بكذا وللأمة بكذا منظور فيه لصحة الصلاة وبطلانها حال الانكشاف.

\*\*\*\*\*

# الفهرس

## دراسات :

3	عبد الله شقرون	: تأملات حول المسرح والمرأة.....
27	فاطمة شبشوب	: صورة المرأة في الخطاب المسرحي التقريري.....
		: تشكلات الخطاب التخيلي في كتابة
59	بشير القمري	: الأدب النسائي: الإشكال، التصور، الوظائف.....
98	نجاة المريني	: الكتابة والمرأة: المغرب نموذجا.....
119	أحمد سهوم	: المرأة في الملحون.....
		: وشم المرأة في الشعر الملحون: دلالة
144	عبد العزيز أعمار	: الرمز في خطاب الجسد وخيال الذاكرة.....

## إبداع :

### شعر :

159	محمد الحلوي	: الأم.....
161	أحمد عبد السلام البقالي	: الزوجة الأجنبية.....
163	مالكة العاصمي	: الأزمنة.....
170	عبد الواحد أخريف	: المرأة المغربية.....
172	عبد الكريم الطبال	: طفلة.....
173	محمد بنين	: نصيحة إلى الفتاة المغربية.....
175	فاطمة مجاهد	: لست يا أبتى قطعة نقدية (نص أمازيغي).....
181	أحمد الطيب العلي	: الخادمة الجديدة (مسرحية).....
221	مبارك ربيع	: الرأس والوسادة (قصة).....

## نصوص حول وضعية المرأة في الإسلام :

230		: المساواة بين المرأة والرجل في القرآن.....
245	علال الفاسي	: المرأة شقيقة الرجل.....
250	محمد حسن الوزاني	: المرأة المسلمة.....
265	محمد الحجوي	: تعليم البنات.....
		: المرأة راعية على بيت زوجها وولده
280	محمد بن العربي العلوي	: ومسؤولة عن رعيته.....
		: تحرير الاسلام للمرأة وتطويره لوضعها الاجتماعي
291		: صورة تطبيقية من السنة النبوية.....
306	قاسم أمين	: مقتطفات من كتابي «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة».....
323	محمد شلتوت	: تعدد الزوجات.....
346	للشيخ محمد رشيد رضا	: قول في تعدد الزوجات: نص من «تفسير المنار».....
349		: هل للمرأة أو ليلها أن تشتراط عدم التعدد؟.....
360	الطاهر حداد	: آراء لعلمائنا في المرأة والزواج أسئلة وأجوبة.....

## نصوص حول وضعية المرأة في الإسلام

إتماماً لما قصدنا إليه في العديدين السابقين، وفيما سلف من هذا العدد من بيان واقع المرأة الإسلامية خاصة، والإنسانية عامة، تاريخاً وحاضراً وما يشير إليه تطورها مستقبلاً، ولتحديد معالم مسار المرأة الإسلامية الذي تلتزمه وليس لها أن تحيد عنه في تطورها، وفي العمل على تحقيق مطامحها، نقدم فيما يلي صفوة من مقولات أئمة التفسير والتأويل، الأول والمحدثين، حول تبيان ما شرعه الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، وضعا وموقعا ومساراً للمرأة، ثم نماذج مما ورد في السنة المطهرة، وما اهتدى إليه الفقهاء المجتهدون قديماً وحديثاً، مما يجلو مقاصد الشرع الإسلامي التي رسم ملامحها القرآن الكريم.

الأستاذ محمد الحاج ناصر

## محتويات العدد الثالث والأربعين (43)

ملف قضية المرأة

I - إشكالياتها العامة ودوليا وإقليميا

تحية. محمد علال سيناو وزير الشؤون الثقافية  
خطاب صاحب الجلالة إلى ممثلات المنظمات النسائية المغربية  
استهلال. محمد علال سيناو وزير الشؤون الثقافية

### الوعي النسوي في البعد العالمي

- الأمم المتحدة و قضايا المرأة . د. هدى عبد العزيز صلاح
- الرهانات الدولية لمؤتمر فيينا. زهور العلوي
- الحقيقة لا تتعارض مع الحقيقة . أيام واصف
- النساء والرواية. فرجينا وولف .
- المرأة. جول ميشلي
- تأملات في قضية استعباد النساء. د. جون ستوارت ميل
- المرأة والتكوين والشغل في سياق محيط ثقافي متطور. د. بيرجيتة لندر
- حقوق المرأة الأمريكية ومحنة الثمانينات
- المرأة بكافة وجوهها. محمد خير الدين

### موقف الإسلام من الإشكالية

- المرأة في الاسلام. د. ناصر الدين الأسد
- المرأة وقضاياها المعاصرة واقع وآفاق. د. عائشة عبد الرحمن
- المرأة والولاية والتعدد والطلاق. محمد ميكو
- الاسلام ومظهر المرأة. محمد الحاج الناصر
- توجيه الشريعة الاسلامية للحياة الاجتماعية (المرأة نموذجا). د. يوسف الكتاني
- المرأة العربية وحقوق الانسان. حبيبة البورقادي
- دور المرأة في بناء المجتمع. عبد الغفور الناصر
- المرأة من خلال كتاب المدخل لابن الحاج - مقارنة أولية . د. محمد رزوق

## محتويات الجزء الرابع والأربعين (44)

ملف قضية المرأة

### II - المرأة المغربية : دورها، منزلتها

افتتاحية

تعديل محاور المدونة

تعديل مدونة الأحوال الشخصية

المغرب المعاصر

- المساواة بين الرجال والنساء. عبد الهادي بوطالب
- لمحات عن مسيرة المرأة في عهد التحرير والاستقلال. عبد الحق المريني
- جوانب من معاناة الامهات من أجل حقوق الاولاد. زينب الطالبي
- عن وضعية المرأة في القانون المغربي. السعدية بلخير
- المرأة المغربية تغيير وازدواجية. ليلي أبو زيد

### في تاريخ المغرب والأندلس

- المرأة في كتب التراجم الأندلسية د. محمد ابن شريفة
- المرأة في المجتمع الأندلسي. محمد زنيبر
- المرأة في تفكير ابن عرضون د. عمر الجيدي
- المرأة في تادلا من خلال كتب الرحلات في العصر الوسيط د. عصمت دندش
- ديوان شواعر الأندلس د. طريسا كارولو، ترجمة د. ميلودة الشرويطي
- نابهات من الغرب الاسلامي. مصطفى القصري
- السيدة أو الست الحرة. نفيسة الذهبي
- المرأة الأندلسية. د. إحسان عباس

### في مكتبة المناهل

- الوثائق الاجتماعية وتأثير المعمار الأندلسي. تأليف : جودية حصار بنسليمان، عرض : محمد علال سيناصر
- الرياضيات وما لانهاية له. حورية بنيس سيناصر، عرض : عبد السلام حجي
- المرأة في تاريخ الغرب الاسلامي. تأليف : د. عبد الهادي التازي، عرض : لحجة المريني



